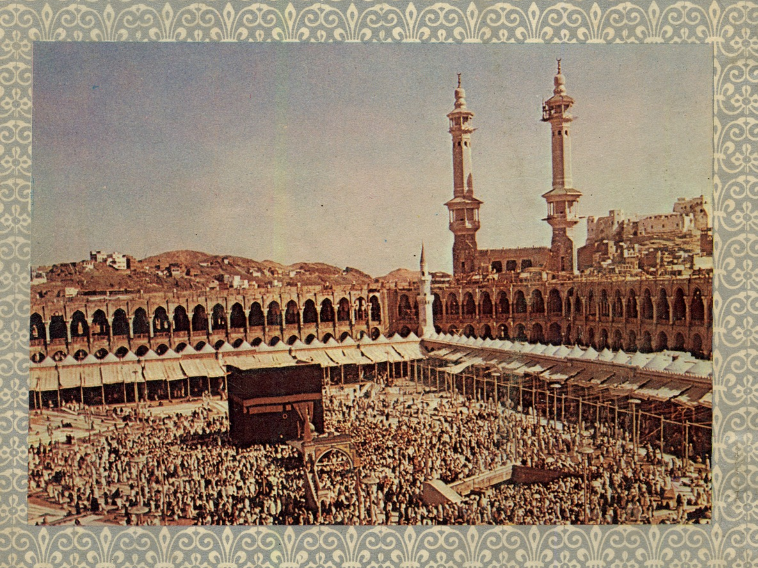
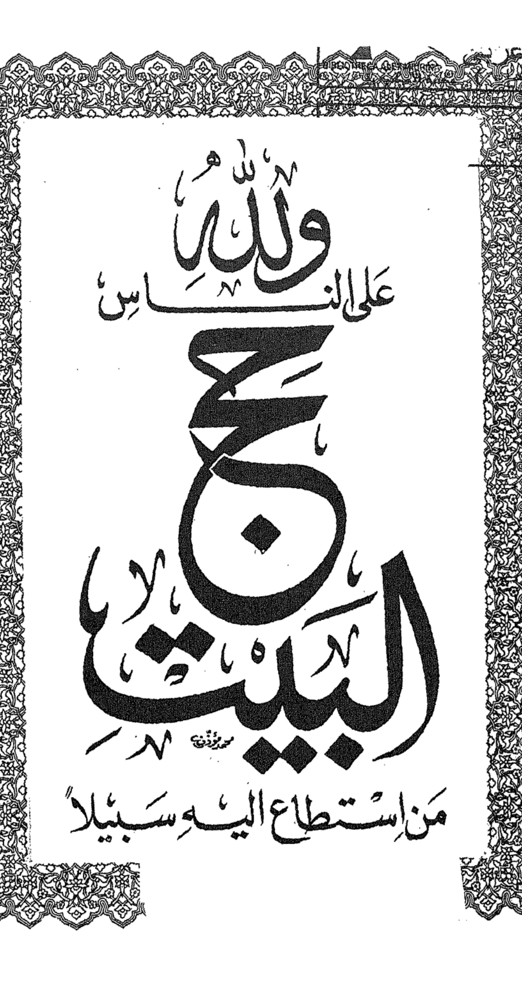
العدد القادم : ممتاز

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

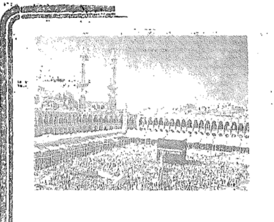


السنة الثامنة ـ العدد ٩٦ ـ غرة ذى الحجة ١٣٩٢


ولله
على الناس
حج البيت
من استطاع اليه سبيلا

البيت الأول

« إن اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين »



الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد ٩٦

غرة ذى الحجة ١٣٩٢ هـ

٥ يناير ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

الثمن

البلد	الثمن
الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوي للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار

في الخارج ٢ دينارات

(او ما يعادلهما بالاسترليني)

اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات

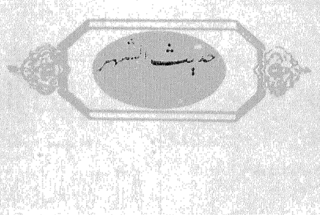
مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

ص.ب : ١٣ كويت

هاتف : ٤٢٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨





آمنوا واعملوا

إلى الذين فتح عليهم باب القول ، وأغلق عليهم باب العمل .

إلى الذين يظنون أنهم مظلومون ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

إلى الذين يكاد لهم نهارا ، ويدبر لهم علانية ، ويتآمر على إذلالهم وسحقهم جهرة ، وهم فى غفلة لاهون .

إلى الذين يطلبون العزة من غير سبب ، والنصر من غير جهد ، والغنى من غير سعى ، والنهوض من غير طاقة .

إلى الذين يقولون : اين العزة التى كتبها الله لنا على نفسه : ((ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)) والوعد الذى أنزله الله فى كتابه : ((وكان حقا علينا نصر المؤمنين)) والتمكين الذى سجله الله فى آياته : ((وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا)) .

إلى الوارثين الذين ملك آباؤهم اقطار الأرض وملأوها علما وحضارة بايمانهم وجهادهم وعقلهم وعلمهم ، ثم جاءوا من بعدهم فبددوا ما ورثوا ، وجهلوا ما علموا ، وكان أمرهم فرطا.

إلى الذين ياكلون ويلبسون ويركبون مما صنع غيرهم ، ولا يدرون كيف كان إعداد ما أكلوا ، ولا نسج ما لبسوا ، ولا تصميم ما ركبوا. يستهلكون ولا ينتجون .

إلى الذين يحلمون ولا يستيقظون، ويتمنون ولا يعتمـــون ، ويرددون : ((كنتم خير أمة أخرجت للناس)) ولا يذكرون : ((تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) .

إلى الـــــذين يؤمنون ولكنهم لا يعرفون تكاليف الايمان ، أو يعرفونها ولكنهم لا يعملون .

إلى هـــؤلاء وهـــــؤلاء .. إلى سبعمائة مليون مسلم ، من بينهم مائة مليون عربى حلت بهم فتنة لم تصب الذين ظلموا منهم خاصة .. إليهم جميعا هذا الحديث .

* * *

روى جماعة من اهل العلم بتفسير القرآن ان مجلسا ضم طائفة مـــن اليهود والنصارى والمسلمين ، فزعم كل فريق منهم انه اولى الناس بعون الله وتاييده فى الدنيا ونعيمه وثوابه فى الآخرة : اليهود قالوا : نحن أتباع موسى الذى اصطفاه الله برسالاتـــه وبكلامه ، والنصـــارى قالوا : نحن أتباع عيسى روح اللـــه وكلمتـــه ، والمسلمون قالوا : نحن أتباع محمد خاتم النبيين ، وخير أمـــة أخرجت للناس ... وشاء الحـــق تبـــارك وتعالى أن يفصل بينهم فى هذا النزاع وأن يبين لهم أن قاعدة التأييد والجزاء ترتكز على الايمان والعمل . لا على مجـــرد التبعية والانتساب فانـــزل سبحانه يخاطب المسلمين : ((ليس بأمانيكم ولا أمانى اهل الكتاب مـــن يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فأولئـــك يدخلون الجنـــة ولا يظلمون نقيرا)) .

* * *

إن الايمان بغير عمل شجر بـــلا ثمر ، ودمية لا حياة فيها ولا حركـــة ... إبليس كان يعلم أن ربه الله وانه واحد لا شريك له ، وكان يعـــلم أن مصيره اليه يوم سيبعثون ، ولكن لما صدر اليه الأمـــر الالهى بالعمـــل ((اسجد)) استكبر وتمرد ، وقال : لا ، فلم تشفع له معرفته بوحدانية الله لأن المعرفة المجردة عن معنى الخضوع المطلق لرب العالمين لا وزن لها ، ولأن العلم الذى لا يصاحبـــه العمل لا قيمة له ، ولذا كان جزاؤه ((فاخرج منها فإنك رجيم)) .

وكما ان الايمان من غير عمل لا يغنى فكذلك العمل من غير ايمان كبناء على غير أساس . على شفا جرف هار . كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء . كهشيم تذروه الرياح : ((مثل الذين كفـــروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون على شىء مما كسبوا . ذلك هو الضلال البعيد)) .

* * *

إن الايمان الحق بالله ، والايمان الصادق برسول الله وبكل ما جاء به عن الله قوة ايجابية محركة . طاقة بناءة هائلة . تمـــلأ قلب المؤمن ، وتسرى فى دمه ، وتنفذ الى عقلـــه وفكره ، وتسيطر على شـــعوره ووجدانـــه ، وتتحكم فى عزيمتـــه

وارادته ، وتوجه وتحرك جوارحه ، وتلازمه فى الليل والنهار ، وتصاحبه فى السر والعلانية ، فلا يعصى لـه أمرا ولا يرى إلا حيث احب الله ، ولا يفتقد إلا حيث يبغض الله .

إن الايمان بالله قوة منتجة مستكنة فى أعماق النفس المؤمنة تظهر آثارها وثمارها فى السلوك والتصرف فـى العمل الجاد لله ، والطاعة المطلقة لحكم الله والتضحية بالهوى مرضاة لوجـه الله .

وقد قرن الله الايمان بالعمل فى أكثر من سبعين آية من آيات القرآن الكريم ، فما من آية ذكرت الايمان مجـردا ، بل عطفت عليـه عمل الصالحات ، والصالحات جماع كل خير ومجد للفرد والجماعة ، وبهذا أصبحت صلة العمل والسلوك والخلق بالايمان صلة وثيقـة لا يعروهـا وهن ، قال تعالى : ((إنما المؤمنون الـذين آمنوا بالله ورسولـه ثم لم يرتابوا وجاهـدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون)) وقال عز من قائل ((والذين آمنـوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل اللـه والذين آووا ونصروا أولئـك هم المؤمنون حقا)) .

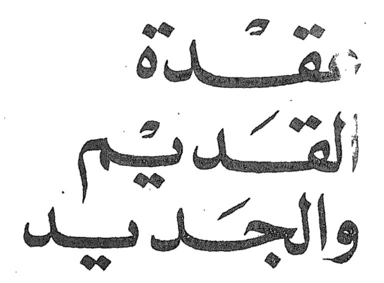
ولقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الحرص على لفت أنظار المؤمنين وتوجيه انتباههم إلى ان يكون سلوكهم مع الله ومع الناس، وتصرفهم فى كل شئون الحياة مصدقا لايمانهم ومظهرا لعقيدتهم ، فقال لمن سأله قولا فى الاسلام لا يسأل عنه أحدا غيـره : ((قل آمنت باللـه ثم استقم)) .

والظن بان مجرد دعوى الايمـان والانتسـاب للاسـلام ، والنطق بالشـهادتين والتسـمى بأسماء المسلمين يكفل المدعين نصر الله فى الدنيا ، ويفتح لهم أبواب الجنة فى الآخرة يدخلونها بسلام آمنين ، وإن كانوا غارقين فى المعاصى لأذقانهم . مفسـدين فى الأرض . كسـالى خامدين : هـذا الظن وهم وخطـأ وضلال بعيد .. هذا ايمان صورى لا ينجى صاحبه من خزى الدنيا وعذاب الآخرة ، فالسعادة ليست للفارغين الهازلين ، والجنة ليست للعاصـين المتمردين : ((ليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقـر فى القلب وصـدقه العمل ، وإن قوما خرجوا من الدنيا ولا عمل لهم ، وقالوا نحـن نحسن الظن بالله وكذبوا . لو احسنوا الظن لأحسنوا العمل)) .

إن الناظر فى ماضى المسـلمين وحاضرهم ليعجب اشـد العجب مما كانوا فيه ، وما صـاروا اليـه : المسـلمون فى أول أمرهم اتـوا بالعجائب غزوا وفتحوا وسادوا .. والمسلمون فى آخر امرهم اتـوا بالعجائب أيضـا ذلـوا واستكانوا وضعفوا ، والقـرآن هو القرآن ، وتعاليم الاسلام هى تعاليم الاسلام .. فلماذا ساد الأولون وذل الآخرون .. لا سبب إلا ان الأولين عملوا والآخرين تركـوا ، ولن يستقيم حالنا إلا بما استقام به ماضينا ايمان وعمل ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .. اعتصام بالله ووقوف عنـد أمره ونهيه ، واقتـداء برسول الله وعمل بسنته : ((لقد كان لكم فـى رسول الله اسوة حسنة)) .

رئيس التحـرير

رضوان البيـلى



عند خصوم الشريعة الإسلامية

للاستاذ محمد سعيد رمضان البوطى

يطيل بعض الباحثين القول فى بيان صلاح الشريعة الاسلامية لكل عصر ، يتعبون أنفسهم فى الكشف عن مزيد من الأدلة على مرونتها واستجابتها لمختلف المشاكل التى تبحث عن حل ، وعلى انسجامها مع مختلف الظروف التى يفرضها قانون التطور فى الحياة .. يأملون أن يتحول خصوم هذه الشريعة ، بذلك ، الى أصدقاء يعترفون بعظيم شأنها ويؤيدون الدعوة الى تطبيقها والاحتكام اليها ..

وواضح ان ما يقوله هؤلاء الباحثون صحيح .. فشريعة الاسلام منسجمة ومتسقة مع فطرة الانسان وحاجاته ، مهما تطور فى سلم الحضارة صاعدا أو هابطا .. وانها لحقيقة تفرض نفسها ، سواء آمن بها الناس أم كفروا .

الا أن وضوح هذه الحقيقة لن يغير من موقف الخصوم شيئا .. وهى باستقلالها لن توجد فى نفوس هؤلاء الخصوم اى حافز لتطبيق الشريعة الاسلامية ونسخ سائر النظم والقوانين الاخرى بها ، مهما قامت عليه من قواطع الأدلة والبراهين .

وفى اعتقادى أن الاطالة فى الحديث عن صلاحية الشريعة الاسلامية ومرونتها مضيعة للوقت ومناقشة فى غير محل النزاع ، فضلا عما تنطوى عليه من دوافع التغيير والتبديل لكثير من أحكامها بين الحين والآخر ، فى سبيل تثبيت المزيد من مظاهر هذه الصلاحية والمرونة أمام الآخرين .. !

عقدة نفسية ضد (القديم)

ان السبب الذى يجعل من هؤلاء الناس خصوما للشريعة الاسلامية ، عقدة تكمن فى غور بعيد من أعماق النفس وليست مشكلة قائمة فى الفكر أو العقل ..

انها عقدة (القديم) .. !

فالنفس الانسانية من شأنها أن تتبرم بالقديم وتعافه ، اذ يخيل اليها أن الزمن استحلب خيراته واعتصر كل ما قد كان فيه من جدوى ونفع .. ! كما أن من شأنها أن تحفل بكل جديد وتتشوق اليه ، اذ يخيل اليها انه قد يكون مليئا بما لم يكتشفه الزمن من النفع والخير . ولا يستثنى من التأثر بهذه الظاهرة النفسية والوقوع تحت سلطانها الا أولئك الذين بذلوا كل ما لديهم من جهد فى سبيل أن يعتقوا عقولهم من الأوهام وأن يحرروها من غوائل النفس .

خذ أحدث قانون اجتمعت على وضعه لجنة من خيرة علماء القانون ، يلبى كل حاجات هذا العصر وينسجم مع سائر ظروفه وأحواله ، ثم قدمه الى المجتمع على انه قانون قديم يعود الى عهد جستنيان ، ثم انظر كيف يعافه الناس من علماء وجهال ، وتأمل كيف يختلقون فيه نقيصة اثر اخرى . ولئن لم يتمكنوا من أن يفعلوا به ذلك فحسبه نقيصة على كل حال انه يحمل على كاهله اثقالا من القرون والأجيال المتراكمة .

وانظر الى القانون الفرنسى القائم اليوم ، وتأمل فى عدد الدول التى اعجبت به واعتمدته — والكثير منها دول عربية اسلامية — تجد أن قيام هذا القانون فى واقعه على كثير من الاحكام الفقهية المدونة فى مذهب الامام مالك، لم يحل دون اقتباسه والاعجاب به . لأنه عندما قدم للعالم انما قدم اليه على أنه ابداع جديد فرض نفسه فى أعقاب الثورة الفرنسية ، ولم يقدم اليه على انه يحوى طائفة كبيرة من الاحكام الفقهية فى كثير من مسائل العقود والمعاملات !

وللدكتور أحمد عبد العزيز النجار دراسات جديدة هامة فى الاقتصاد تستهدف انشاء نظام مصرفى ، بل اقتصادى ، متكامل ، لا ينهض على شىء من الفائدة الربوية .. ولعل كثيرا من القراء يعلم أن مشروعه هذا لم يلق قبولا حتى بعد ميلاده حيا سليما قادرا على أن يقف مستقيما على قدميه .. ! ولكن دراساته هذه استأثرت باهتمام طائفة من الاقتصاديين فى المانيا ، وتحول الاهتمام لديهم الى دراسة جادة وبحث ونقد لهذه الاستراتيجية (الجديدة) فى محاولات التنمية والاقتصاد . واغلب الظن أن مشروع الدكتور النجار هذا سيلقى الاعجاب والقبول التام من أولئك الذين رفضوه بالأمس ، اذا كتب له أن يعود اليهم من المانيا بكسوة أوروبية حديثة وبميلاد جديد لا ينتمى الى القرون السالفة بأى علاقة أو نسب .. !

اعتراضات تقليدية لمجرد صرف الانظار

وهكذا ، فان أمر الجدة والقديم ، هو الذى يلعب الدور الفعال فى ايجاد دوافع القبول والرفض ، وان ظهرت هذه الدوافع بمظهر اى شىء آخر ..

قد تظهر هذه الدوافع بشكل استهجان لقسوة ما فيها من الحدود .. ! وقد تظهر بشكل ادعاء بأن أحكامها المالية لا تتفق والنظم الاقتصادية الحديثة ! .. وقد تظهر بشكل حيرة أمام ما تفور وتموج به — على حد تعبيرهم — من نوازع الخلاف والاجتهاد وكثرة القيل والقال ! .. الا ان شيئا من هذه الدوافع الشكلية لا يعتبر الحاجز الحقيقى الذى يصد خصوم الشريعة الاسلامية عن قبولها .. بل ان هذه الدوافع الشكلية مجتمعة ومتضافرة لا تشكل فى الحقيقة اى سبب ذاتى من اسباب الرفض .. !

وما عجبت من باحث تعجبى ممن يصطنع البحث العلمى اذ يقول : ان الحكم بقطع يد السارق او رجم الزانى ينطوى على قسوة ترفضها انسانية القرن العشرين — يقول هذا دون أن يتذكر بأن قانون المقصلة والسحل والتذويب فى الاحماض من أخص مقومات حضارة القرن العشرين .

ولست اقصد بهذا أن اقابل استنكارا بمثله ، فان استنكار العقوبة من حيث ذاتها ، لما قد يتراءى فيها من قسوة بالغة أو ليونة زائدة ، خطأ فى اصل النظر والتقدير .

عقوبات القوانين انعكاس لنظرتها الى القيم

ان شرع عقوبة ما ، من حيث ذاتها ، انما هو فرع عن النظرة المعينة الى الجريمة التى استوجبته . وما تشتد العقوبة او تلين الا تبعا لتقويم الجريمة التى اقتضتها والايمان بمدى خطورتها . وبناء على هذه الحقيقة الواضحة فان توجيه النقد الى العقوبة بحد ذاتها ، مفصولة عن النظر الى الفعل الذى استوجبها ، يعتبر غباء عجيبا وذهولا عن ابسط النظم العامة التى يقوم عليها شرع العقوبات .

رب كلمة واحدة لا نرى لها من شأن عندنا ، يتفوه بها فرد من رعايا دولة مجاورة ، تواجهه بسببها عقوبة الاعدام . ورب فاحشة عظمى نرى وجوب مكافحتها أكثر مما يكافح داء وبيل ، تشيع بين رعايا تلك الدولة فلا يؤبه بها ولا يلتفت اليها بأى نقد أو استنكار . ولقد كان قدماء الرومان يغمسون أولادهم فى الأيام الاولى من ولادتهم فى مياه غامرة أو نبيذ ونحوه ، حتى اذا عجز أحدهم عن المقاومة واختنق ، مات غير مأسوف عليه .. ! ولم يكن القضاء ينظر الى هذا العمل بأى استهجان او استنكار ، ولو أن أحدا من الناس فعل اليوم ذلك لعوقب عليه عقابا يوصله الى الموت .. !

وواضح أن احدا ممن يحترم عقله لا يشغل تفكيره بالتعجب من مفارقات هذه الاوضاع .. لأنه يعلم ما قد يعلمه كل عاقل ، أن شرع العقوبات فى اى أمة انما يترتب على ما اعتمدته فيما بينها من فلسفة للقيم ونظرة الى الحياة . وانما الشرط القانونى لسلامة العقوبة أن تنسجم مع فلسفة الأمة التى اعتمدتها ، لا أن تنقاد لرأى من لم يكن له من شأن بها أو التفات اليها .

قاعدة تشمل الاسلام وغيره

واذا كان لكل أمة أن تقيم نظام الروادع فى حياتها على أساس ما انتهت اليه من نظرة الى الحياة وقيمها ، فان الشريعة الاسلامية ينبغى أن تملك — على فرض أدنى الاعتبارات — هذا الحق نفسه . واذا ما أراد أحد أن يوجه اليها اى نقد يتعلق بنظام ما فيها من روادع ، فان عليه أن يتجه بنقده الى تقويمها الاساسى للحياة ، لا الى ما تفرع عنه ، بسائق الضرورة ، من المقتضيات والاحكام .

ومع أن هذا الكلام ترديد لحقيقة واضحة لا يمكن أن تغيب عن بال احد من علماء القانون او المفكرين عامة ، فان خصوم الشريعة الاسلامية يتصرفون في نقدهم لها كما لو كانوا على جهل تام بها .. ! يعذرون دولة ما من دول العالم اليوم في ان تزهق روحا انسانية كريمة من اجل كلمة واحدة ، بحجة أن لها ذاتيتها المعينة التي تكسبها نظرة خاصة الى المصالح والقيم ، ثم لا يعذرون شرعة الاسلام « ولنفرض انها من وضع دولة وليست حكم إله » في أن تحكم بقتل الزاني بناء على مالها من ذاتية مستقلة اكسبتها هي الاخرى نظرة خاصة الى المصالح والقيم .. !

غير أن الحقيقة ان منبع استنكار هؤلاء الخصوم ليس استشعارا لقسوة في الحكم ، ولا رحمة مزعومة في القلب ، ولا هلعا صادقا على الانسانية .. وانما منبعه — كما قلت لك — معاناة هؤلاء الناس لعقدة الجديد والقديم .. !

ومعلوم ان العقد النفسية لا تبرز في كلام اصحابها بهويتها الحقيقية ، وانما تبرز على السنتهم في مظهر من النقاش الفكري والنقد العلمي والدفاع الانساني ..

لا تحل العقدة الا بالعقيدة

ولنتساءل بعد هذا : فما الوجه في حل هذه العقدة .. ؟

والجواب أن اى انصراف الى (تزويق) الشريعة الاسلامية وتجميلها ، او الى التفنن في عرضها وتيسير السبيل الى معرفة احكامها — لا يمكن أن يبدل شيئا من نظرة الخصوم تجاهها ؛ اى لا يمكن أن يقوى على حل شىء من هذه العقدة التي في نفوسهم عنها .. !

وانما الوجه في ذلك ان نعود بهم الى اساس العقيدة الاسلامية التي اتجه بها القرآن الى الناس يغرسها في نفوسهم وينبه اليها عقولهم خلال ثلاثة عشر عاما ، دون أن يخاطبهم طيلة تلك المدة بكلمة واحدة في التشريع ..

الوجه في حل هذه العقدة ، أن يقتنع هؤلاء الخصوم بأن هذا التشريع انما هو حكم الله .. ! لم ينبع من أرض عربية ، ولا اقتبس من امة اعجمية ، ولا اخترعته « ادمغة قانونية »(١) خلال التاريخ . وانما تنزل وحيا من الله الذي لا اله الا هو على قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ليبلغه الى الناس كلهم فيحتكموا اليه في كل زمان ومكان .

ولا يخدعنك ما قد يظهر به احدهم امامك من منطق الاسلام وسيما الايمان . فإما انه يخدعك بما يتظاهر به أمامك ، وإما انه يخدع نفسه بما يرضيها من كلمات الايمان والاسلام .

ان اطلاق كلمة « التشريع الالهى » على الشريعة الاسلامية استعمال شائع على السنة كثير من الناس اليوم . ولكن استعمال هذه الكلمة شىء ويقين القلب بمضمونها شىء آخر .. ! الم تر كيف يهحط بعض الباحثين في هجوم حاقد عجيب على الشريعة الاسلامية ، ثم يستدرك قائلا : ولكنى مسلم حججت والدتى وأختى على حسابى مرتين .. !!

مثل هؤلاء الناس يخدعون انفسهم او يخدعون من حولهم ؛ عندما يرددون شعار الاسلام وكلماته . والمشكلة في حياتهم ليست مشكلة التشريع الاسلامى وحده ، بل هي مشكلة كل ما يتفرع عن الاسلام من مبادىء وقيم وأحكام .

واذا كان الامر كذلك ، فان حديثنا مع هؤلاء الناس ينبغى ان يعود الى أول الطريق : هل يوجد أدنى احتمال بأن القرآن من تأليف محمد عليه الصلاة والسلام ، وانه كان يكذب — والعياذ بالله — في نسبته الى الله .. ؟ وهل

---

(١) هكذا يقول المستشرق الالماني شاخت .

تسمح سيرته عليه الصلاة والسلام وما قد عرف به من خلق وسلوك باسناد مثل هذا الكذب اليه .. ؟ وهل ثمت أدنى احتمال بأن يكون الإله مجرد وهم فى اذهان المؤمنين به .. ؟ واذا قيل لنا : أعوذ بالله ، بل الإله حقيقة ذاتية تفرض نفسها على الكون بأسره ، قلنا : افيمكن ان يكون هذا الإله عابثا فى خلقه ، ابدع الانسان وركب فيه التفكير ومقومات النظر والتدبير ، وسخر لطاقته معظم ما يراه من حوله من المكونات والمخلوقات المختلفة ، ثم اطلقه بين سمع الدنيا وبصرها ليفعل ما يشاء وليعثو بالحياة وما فيها كما يريد ، يجعل لكل شىء من مخلوقاته المختلفة وظيفة دقيقة لا يتخلى او ينحرف عنها ، ثم يترك الانسان الذى هو محور هذه المخلوقات كلها لينطلق مع رياح الوجود كما تنطلق ريشة فى الهواء .. ؟!!

افيمكن هذا .. ؟!

ولعمرى ، ليس العجب الذى يذهل العقل ، الا يهتدى الانســــان الى الايمان بوجود الإله ، فربما قامت أمام هذا الانســــان حواجز — الى حين — صدت عقله عن رؤية هذه الحقيقة العظمى ، فيكون له من ذلك نوع من العذر .

وانما العجب الذى لا نهاية له ، أن يهتدى الانسان الى الايمان بالله ، وان ينشر بين الناس كل يوم مزيدا من دلائل وجوده ومظاهر حكمته وعظيم تدبيره ، ثم يترك نفسه فى الحياة على سجيتها دون أن يتساءل عن اى مسؤولية قد يكون حمّلها من قبل هذا الإله .. !!

وما أشبه حال مثل هذا الرجل بحال من الجأه الليل الى كهف منقطع فى بطن جبل .. فأشعل نارا وراح يقلب العين فى جوانب الكهف وارضه ، فرأى عظاما عليها بقايا لحم مأكول ، فهز راسه مقررا بأن بعض السباع قد اتخذ من هذا الكهف مثابة له .. ثم استلقى على جهة من تلك الارض واسلم عينيه لسبات عميق .. !!

إله عظيم اوجدك وجعل من حياتك محورا لمعظم مظاهر هذا الكون ، تؤمن بذلك وتقر به ، الا ينبغى أن يؤرقك اذاً أمر هذا الإله ومدى ما قد يكون له من سلطان عليك .. ؟ الا ينبغى أن تفكر طويلا ، قبل أن تلقى بنفسك فى أحضان رغباتك المختلفة ، فيما قد يكون محظورا عليك منها فى حكم هذا الإله .. ؟

المؤمن بالله لا يمكن ان يجلس معه على مائدة مستديرة

تلك هى السبيل التى لا بديل عنها ، لحل عقدة القديم والجديد ، لدى خصوم الشريعة الاسلامية .

فاذا ما أتيح لهم أن يتبينوا هذه الحقيقة ويجزموا بها ، ولم يجمدوا هكذا فى منتصف الطريق بين الكفر والايمان ، فان المشكلة كلها تزول . وسوف لن تسمع من احدهم بعد ذلك شيئا من النقد المكرر المعاد على قانون العقوبات فى الاسلام ، او على نظمه المالية المختلفة ، او على غيرهما من بقية الاحكام .

ذلك ان الذى يتجه بالنقد الى شىء من أحكام الشريعة الاسلامية — بعد ثبوته بالإدلة الصحيحة — انما هو انسان يريد ان يُجلس نفسه مع الله تعالى على مائدة مستديرة ليناقشه فى قراراته واحكامه . وهيهات لمن آمن بألوهية الله عن صدق ويقين ، وايقن أن القرآن كلام الله حقا ، وأن محمدا نبيه دون أى ريب — أن يضع نفسه لحظة واحدة « وهو العبد الذليل لله عز وجل » موضع الشريك له فى شىء من مظاهر الوهيته وتدبيره .

وما من لغز من هذه الألغــــاز التى تعيش فى أذهان كثير من الباحثين

والمفكرين ، عن الشريعة الاسلامية ، فتجعلهم فى حيرة من امرها ومصدرها وتحليل ذاتها ، الا ويزول اثره ويتضح أمره عندما يؤمنون بالله هذا الايمان .
مرة يقولون : ان الشريعة الاسلامية مأخوذة من القانون الرومانى الذى كان سائدا فى بلاد الشام وما حولها ايام الفتح الاسلامى ، حتى اذا رأوا ان شيئا من الأدلة لا يساعدهم على هذا الفرض عادوا يقولون : بل هى مقتبسة من التوراة والكتب السماوية السابقة ، حتى اذا تنبهوا الى أن هذا الكلام لا معنى له ما دام أن الكتب السماوية كلها منزلة من عند الله عز وجل وأن الدين عند الله واحد منذ بعثة آدم وهو الاسلام ، تحولوا الى القول بأنها ثروة قانونية تجمعت من نتاج أدمغة قانونية على مر الزمن .

حيرة فى العقل لا مذهب فى الرأى

وواضح أن هذا ليس الا مظهر حيرة عقلية فى السبيل الذى يمكن أن يحل به اللغز .. ! وليس بحثا علميا مركزا بحال من الاحوال ..
ولا ريب أن الشريعة الاسلامية لغز يتمرد على كل حل ، بالنسبة لمن أقام أمامه سدا يمنعه من اليقين بأنها حكم الله وقانونه الى الناس ..
اذ أن قوانين الدنيا كلها انما يوجدها المجتمع الراقى ، فى حين أن الشريعة الاسلامية هى التى أوجدت المجتمع الراقى .. ! اى أنها وجدت وتكاملت فى بيئة بدائية لا تحتكم الى غير الاعراف والعادات ..
وقوانين الدنيا كلها موصولة النسب بأفكار قانونية ذات مراس وخبرة بهذا الشأن .. فى حين أن قانون الاسلام ليس له من نسب فى الظاهر الا الى رجل أمى لم يقرأ كتابا ولا سمع بقانون ..
وقوانين الدنيا كلها تنمو متدرجة فى أطوار متجهة الى الكمال والتخلص من الاخطاء والنقص ، فى حين أن شريعة الاسلام ولدت كاملة لا تشكو نقصا أو اضطرابا .
قانون هذا شأنه يعتبر لغزا فى حق من أغلق أمامه بصيرة الايمان بأنه قانون الله . ولا بد له من أن يلصقه بالرومان تارة ، واليهود أخرى ، والفقهاء الذين توالوا مع الزمن تارة ثالثة ، سواء وجد الدليل على ما يذهب اليه أو لم يجد .. لأن العقل الانسانى لا يمكن أن يتصور قانونا معلقا فى الفضاء ، ليس له نسب يشده الى السماء ولا جذور ترجعه الى أرض أمة من الناس . ولولا ايمانى اليقينى بالله وبأنه صاحب هذا القانون ومنزله ، لاحترت فى شأنه كما احتاروا ولاضطربت فى فهمه كما اضطربوا .

—— ● ——

وجماع هذا الكلام كله يتلخص فى قوله عز وجل :
« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .
فالايمان بالله وتحكيم شريعته متلازمان . اذا فقد أحدهما فقد الثانى لا محالة . هكذا يقول الله .
وصدق الله فيما قال .. وكذب من قال انه مؤمن ولكنه لا يرضى بشرعة الاسلام أو لا يقتنع بصلاحيتها للحياة .



اللواء الركن محمود شيت خطاب

استطعت اقناع قسم من الضباط لصلاة يوم الجمعة ، وكنا في معسكر (المنصور ، الواقع على نهر (ديالى) بين (بعقوبة) و (جلولاء) ، فقصدنا مسجد (المقدادية) القريبة من معسكر المنصور ، وكان ذلك عام ١٩٤٥ .

وحين اعتلى الخطيب المنبر ، اخرج من جيبه ورقة صفراء مطبوعة ، وأخذ يتلو ما فيها متعثرا مترددا ..

وكان مما جاء في الخطاب : « ان الدنيا فسدت منذ عهد النبوة ، فكيف نرجو صلاحها ونحن في القرن الثامن .. ؟! » .

ومن الواضح ان الخطبة التي تلاها الخطيب في يوم الجمعة في القرن الرابع عشر الهجري ، قد كتبت في القرن الثامن الهجري ، أي قبل ستة قرون من قراءتها ..

ومع ذلك لم ينتبه خطيب الجمعة الى تصحيح تاريخ القرن على الأقل ، فيستبدل بالقرن الثامن القرن الرابع عشر .

فاذا كان ذلك مبلغ ذكاء خطيب الجمعة وعلمه ، فكيف نطمع أن يوجه الناس الى الخير والصلاح .. ؟!

وحين سمع الضباط من الخطيب جملة : « القرن الثامن » ، بالاضافة الى كل ما سمعوه من هراء يتلوه من ورقة صفراء مستلة من كتاب منبري مطبوع ، وبالاضافة الى مظهره الزرى وجهله بالعربية وعدم تمكنه من القراءة الصحيحة والالقاء السليم ، ابتسموا أولا ثم تطور ابتسامهم في المسجد الى قهقهات بالغة في خارجه .

وكانوا بين اثنين : مؤدب اعتبر القضية منتهية بعد مغادرته المسجد ، ومهرج انتهزها فرصة سانحة للتهريج على خطباء المنابر وعلى عقلياتهم المتخلفة وعلى الدين ايضا .

والنتيجة أن هؤلاء الضباط تركوا الصلاة ، منهم من تركها مدة من

الزمن ثم عاد اليها بالتشجيع والحث ، ومنهم من تركها حتى اليوم .
ومن الصدف أننى رأيت احد هؤلاء الضباط قبل ايام ، وقد علاه الشيب وأصابه الوهن ، ولكن (عقدة) خطيب المسجد (اياه) لا تزال عالقة فى ذهنه ، يحدث الناس عنها فى كل مناسبة ، ويرفض ان يعود الى اداء فريضة الصلاة .. !!
والسؤال الآن هو : هل وجود مثل هذا الخطيب فى مكانه خطيبا وإماما ، مفيد للاسلام والمسلمين ، أو هو مضر بهما .. ؟
وما هو واجب المسئولين فى الأوقاف وفى المراكز الدينية الاخرى المسئولة عن تعيين الأئمة والخطباء فى المساجد واعداد هؤلاء الأئمة والخطباء للنهوض بكفاية ومقدرة ونائدة بواجباتهم الدينية .. ؟
ان وجود خطيب جاهل ، يلحق أبلغ الضرر بالاسلام والمسلمين .
ومن الافضل ألا تلقى خطبة الجمعة من خطيب جاهل ويبقى الجامع بدون خطيب ، أفضل من أن يلقى خطبة الجمعة مثل هذا الخطيب الجاهل ، لأنه ينفر الناس من الصلاة ومن يوم الجمعة ، ويعطى فكرة سيئة عن الدين ..
ان التكلم فى الدين سلاح ذو حدين : اذا احسن المتكلم افاد السامعين ، وأعطى فكرة عالية عن الدين ، وشجع الناس على الاقبال بشوق ولهفة للانصات الى المتكلمين فيه . واذا أساء ، اضر بالسامعين ، ونفر من الدين ، وجعل الناس يشمئزون من سماع المتكلمين فيه .
وقد ضاعف اختراع المجهار(1) وانتشار استعماله وظهور الاذاعة المسموعة والاذاعة المرئية — من أهمية المتكلمين فى الدين ، لأن ما يقولونه أصبح مسموعا فى أوساط لا تعد ولا تحصى من الناس : فى الدار ، وفى الطريق ، وفى النوادى والمقاهى ، وفى كل مكان تصل اليها موجات الاذاعة فى العالم .
لذلك أصبح ضرر المسىء من المتكلمين فى الدين عظيما وواسعا ، وأصبحت فائدة المحسن عظيمة وواسعة ايضا .
ولست انسى يوم كان المرحوم الشيخ محمد رفعت يرتل آيات الذكر الحكيم من اذاعة القاهرة فى الثلاثينيات من هذا القرن ، فقد كان الاقبال على سماعه مذهلا حقا ، ليس من المسلمين فحسب ، بل من غير المسلمين ايضا ..
وقد كنت أدرس اللغة الفرنسية عند احد القسيسين الذين يتقنون هذه اللغة فى مدينة الموصل عام (١٩٣٦) ، وكانت هذه اللغة مقررة فى الصفين الرابع والخامس من المدرسة الاعدادية ، وكان مدرسها فى الاعدادية مخيفا صارما ، مما حرم التلاميذ من مناقشته وسؤاله ، ودفعهم الى التماس تعلمها من القسيسين الذين لم يكن احد غيرهم فى الموصل يتقن الفرنسية ليتقوا صرامة معلمهم فى المدرسة وشره .
وكان الشيخ محمد رفعت يقرأ القرآن قبل أن ننتهى من دراستنا عند ذلك القسيس ، فكان يلتمس من طلابه ان يستريحوا مدة قراءة القرآن لينصت هو الى تلاوة الشيخ محمد رفعت .

(1) الميكرفون .

وكلان طلاب القسيس الذين يدرسون الفرنسية معى ، يرقبون انسجامه العظيم مع المقرىء الشيخ محمد رفعت ، وكان لا ينفك يردد بين آونة واخرى .. عظيم .. عظيم ..

وبعد انتهاء مدة القراءة ، يبقى القسيس فى شبه غيبوبة نحو خمس دقائق ، ثم يستأنف التدريس بعد أن يقدم أحر الشكر لطلابه على السماح له بالانصات الى تلاوة الذكر الحكيم .

وكثيرا ما كان ذلك القسيس يبدى اعجابه الشديد ببلاغة بعض الآيات التى سمعها وبمعانيها وسمو أهدافها ..

لقد كانت قراءة المرحوم الشيخ محمد رفعت فى الاذاعة المسموعة دعاية ضخمة للقرآن ليس بين المسلمين فحسب ، بل بين غيرهم من أصحاب الأديان الاخرى ايضا ..

وكنت أسمع صوته من اجهزة المذياع فى دور قسم من المسيحيين فى مدينة الموصل ، ولا بد أن غيرى سمع صوته وهو يرتل القرآن الكريم يخترق جدران غير المسلمين فى أصقاع كثيرة من البلاد العربية .

وما يقال عن أثر المرحوم الشيخ محمد رفعت ، يقال عن أثر كل قارىء مجيد ، وكل خطيب مجيد ايضا ، تنقل أصواتهم الاذاعة المسموعة أو الاذاعة المرئية . أو ينقل أصواتهم المجهار .

واذا كان المجيدون قد أحسنوا الى الدين ، فما أكثر اساءة الذين أساءوا الى الدين ..

ولو كنت مسئولا عن الاذاعة فى بلد عربى أو اسلامى ، لحرمت غير المجيدين من الاقتراب من دار الاذاعة ..

ولو كنت مسئولا عن رجال الدين ، لحرمت غير المجيدين من الاقتراب من منابر الخطابة فى بيوت الله ..

ولو كنت مسئولا عن قضايا التدريس فى المدارس والمعاهد والجامعات ، لحرمت غير المجيدين من الاقتراب من تلك المعاهد العلمية .

ان حرمان غير المجيدين من المتكلمين فى الدين خطباء ووعاظا ومدرسين وأساتذة ومقرئين ، اكبر خدمة نقدمها للدين الحنيف .

والمتكلمون فى الدين لا يمكن أن يقاسوا بالكمية ، أى بكثرة عددهم ، بل المهم فى هذه الناحية هى (الكيفية) لا (الكمية) ، فقد يفيد عدد قليل من المتكلمين فى الدين ، ما يقصر عنه الكثيرون ، وقد يفيد عشرة من المجيدين ، كما لا يفيده مائة من غير المجيدين .

فما هى المزايا التى يجب أن يتحلى بها المجيد من المتكلمين فى الدين .. ؟

يروى أن أحد العبيد سأل إماما من ائمة المسلمين ، أن يتكلم فى موضوع « أجر عتق الرقيق عند الله » .

ووعد الإمام أن يتكلم فى هذا الموضوع بأقرب فرصة سانحة ، وكان العبد يحضر كل يوم مجلس وعظ الإمام . وكان سيده من المعجبين بهذا الإمام ، يحضر مجالس وعظه كل يوم بانتظام ، ويصغى الى أقواله اصغاء تاما ، وينفذ ارشاداته ويطبق مواعظه ..

ومضى عام دون أن ينطق الإمام بكلمة واحدة حول الموضوع ، والعبد

يحضر كل يوم ويكاد يتميز من الغيظ على الإمام الذى اهمل موضــوعه فنساه او تناساه . .

وبعد مضى عام كامل من مراجعة العبد للإمام ، ووعد الإمام بانه سيتكلم قريبا فى موضوع : اجر عتق الرقيق عد الله ، تكلم الإمام فجاة وأفاض فى ذلك الموضوع وأجاد ، فلم يبق فى مجلسه رجل سمع كلامه الا واسرع فى عتق رقبة او رقاب ، وكان ســـيد ذلك العبد من بين المستمعين فأعتق عبده واطلق سراحه من الرق . .

وأصبح ذلك العبد حرا يستنشق عبير الحرية بملء رئتيه . ولكن بقى فى نفسه شيء من ذلك الإمام الذى تأخر فى ازجاء موعظته . وكان بامكانه أن يفعل دون تأخير . .

وجاء العبد يسأل الإمام : لماذا جعلتنى اقضى عاما كاملا وانا أنتظر موعظتك الحسنة واقضى هذا العام فى العبودية والرق . وكان بامكانك أن تقول كلمتك بعد يوم او يومين من وعدك بالكلام ، فتنقذنى من الرق ومن عذاب الانتظار . . ؟

وقال الإمام : « يا بنى ! لم اكن أملك ثمن عبد ، وكان على أن أقتصد من نفقاتى لأملك ما اشترى به عبدا . ومضى عام حتى استطعت توفير المال اللازم لشراء عبد ، فقصدت سوق النخاسين امس ، واشتريت من هناك عبدا ، ثم اعتقته لوجه الله . وحينذاك وعظت الناس بما سمعت وسمع سيدك ، فأعتقك سيدك واعتق غيره عبيدهم . ولو خاطبت الناس قبل أن أخاطب نفسى ، فأطبق (عمليا) على نفسى ما أطالب به غيرى ، لما كان لكلامى تأثير فى السامعين ، ولما اعتق احد عبده » .

ان الكلام لا يؤثر فى الناس ، ما لم يمتلىء من نفس قائلة ، فيصبح عملا ولا يبقى كلاما . .

والمتكلم فى الدين — فى أول مزاياه — أن يكون عالما متينا ، عاملا بعلمه ، يثق بأن تعاليم الاسلام اعظم التعـــاليم وانقاها واقدرها على معالجة مشاكل الحياة .

فاذا لم يكن عالما متينا ، فانه يهرف بما لا يعرف ، ويفتى بما لا يعلم ، ويقود الى الضلال لا الى الهدى .

واذا لم يكن عاملا بعلمه ، فانه لا يؤثر فى الناس ، ولا يكون قدوة حسنة لهم ، يقتدون به ويقتفون آثاره .

واذا لم يكن مؤمنا غاية الايمان بعظمة هذا الدين وصلاحيته مرشدا فى الحياة الدنيا وهاديا الى الطريق المستقيم الذى يؤدى الى الجنة ، فانه لا يكون متحمسا يصدر عن قناعة تامة وايمان عظيم .

ولو سئلت : أيهما تفضل : عالم متين لا يعمل بعلمه او يعمل ببعضه ، او اقل من الأول علما واكثر عملا . . ؟ لأجبت بدون تردد : افضل الاقل علما الأكثر عملا ، لاننا بحاجة الى علماء عاملين لا الى علماء قوالين .

ومن اعجب العجب فى امر هذا الدين العظيم ، أن كثيرا ممن نشروا الدعوة شرقا وغربا كانوا تجارا يجوبون الاقطار : علمهم قليل ، ولكنهم كانوا مثالا رائعا لتطبيق تعاليم الاسلام ومبادئه ، فكانوا بسيرتهم الحميدة مثالا شخصيا لغيرهم من المسلمين وغير المسلمين ايضا . وقد قال غير

المسلمين لأنفسهم ؛ لو لم يكن دين هؤلاء عظيما ، لما كانت سيرتهم عظيمة . وهكذا أقبلوا على الاسلام ، ودخلوا فى دين الله افواجا .

اعرف رجالا صالحين ، علمهم قليل ، ولكن عملهم صالح ، استطاعوا أن يستقطبوا كثيرا من الناس ، يلتفون حولهم ، ويقتبسون منهم العمل الصالح ، ويتوجهون الى الله بعقولهم وقلوبهم .

واعرف علماء من الطراز الأول علما وتفقها ، ولكنهم منصرفون الى الدنيا بكل طاقاتهم ، لم يستطيعوا أن يؤثروا فى شخص واحد ، وليس منهم أحد غير كتبهم وسمعتهم التى لا يحسدون عليها .

وليس سرا أن هناك هوة عميقة بين الشباب من جهة ورجال الدين — او اكثرهم على الأصح — من جهة ثانية .

والسبب الأول لوجود هذه الهوة ، هو ما يردده أولئك الشباب ، بأن اقوال أكثر رجال الدين تناقض أعمالهم ، فهم يقولون قولا حسنا ، ويرددون مبادىء سامية ، ولكنهم لا يعملون بما يقولون ، ولا يلتزمون بما يرددون .

وبالطبع فان الأيدى الخفية التى تعادى الدين ، تبالغ فى وصف بعض رجال الدين ، لتبعد الشباب عنهم وتصرفهم عن أماكنهم .

ومع ذلك ، فلا تزال حقيقة واقعية يلمسها الناس هى : أن الاعمال لا تتناسب مع الأقوال ، وان الاعمال هى دون المستوى المطلوب الذى لا يمكن السكوت عن تيسره — على اسوا الاحوال .. !!

ان هذه الهوة السحيقة موجودة بدون ريب ، وهى خطرة على مستقبل هذه الأمة ، ووضع الرءوس فى الرمال — كالنعامة حين يداهمها عدو لا طاقة لها به — والتعلل بالأمانى والأوهام ، لا يجدى فتيلا ولا يصلح خللا ..

ان العمل الصالح وحده ، وتطبيق تعاليم الدين الحنيف عمليا ، هى الجسور السليمة القوية الصالحة التى تربط بين جانبى الهوة السحيقة التى تفصل بين الشباب وقسم من رجال الدين ، وبالتالى بين الشباب والدين نفسه ..

ان هذه الجسور وحدها حتى التى تربط بين جانبى الهوة ، وتجعل الشباب يعبرون عليها الى ساحل الأمان .. ساحل الدين .. ساحل النور ، بأمن وسلام واطمئنان ..

وهذه الجسور هى (الاعمال) ، أما (الأقوال) وحدها ، فتزيد الهوة عمقا ، والشقة بعدا ، ولا تؤدى أبدا الى خير .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم ، من أقل الناس (كلاما) ، ولكنه كان من أكثرهم (عملا) ، لذلك جمع الناس ووحد القلوب ورص الصفوف على كلمة الله .

وكان عليه افضل الصلاة والسلام اذا قال أوجز ، ولكن قوله فصل الخطاب ، ثم يبدأ بنفسه وبأهل بيته وبالاقربين فيطبق اقواله عليهم ، ويشتد هو على نفسه فتكون أقواله بالنسبة الى اعماله شيئا يسيرا ، اذ أن اعماله عليه الصلاة والسلام كانت تفوق اقواله ، وكثيرا ما كان يراف بأمته فيخفف عنهم ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ولكنه مع نفسه كان يعمل

ويعمل ، حتى يصوم فلا يكاد يفطر ، وحتى يقوم الليل فتتورم تدماه من القيام ، وحتى يعيش واهله لايستوقد بنار الشهر والشهرين ان هما الا الاسودان : التمر والماء ..

والعلماء ورثة الأنبياء ، والعالم العامل يستطيع ان يقدم خدمات لابناء عقيدته ولغيرهم ايضا لا تقدر بثمن ، وتكون خدماته بمقدار عمله او أعماله ..

وليس من شك ان المادية قد طغت على هذا العصر ، ولكن هذه المادية وحدها لم تصرف الشباب عن الدين ، بل هى احدى الاسباب ، وتقصير العلماء غير العاملين من الاسباب الحيوية ايضا .

كان فى الموصل عالم عامل هو المرحوم الشيخ الحاج محمد الرضوانى ، وكان آية من آيات الله فى العلم والورع .

وكان هذا العالم العامل موضع ثقة الناس على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم واديانهم ، فقد كان يلجأ اليه الخصوم ومنهم النصارى ، ويرضون بحكمه ويخضعون لتوجيهاته . وكان مقصودا من المسلمين للتبرك به او طلب الرقية منه ، وهذا امر طبيعي ، ولكن الامر غير الطبيعى هو ان يكون مقصودا من النصارى ايضا للتبرك به وطلب الرقية منه .

لماذا اصبح هذا الشيخ الورع موضع ثقة المسلمين وغير المسلمين ؟ لقد كان فى الموصل شيوخ لا يقلون علما عن الشيخ الرضوانى ، ولكن لم يقف احد على بابهم ولم يلجأ اليهم احد الا نادرا .

طبعا اصبح الرضوانى عليه رحمة الله موضع ثقة الناس به ، لأنه لم يقتصر على العلم وحده ، بل كان عاملا بعلمه الى ابعد الحدود .

ولست انسى يوم مات المرحوم الرضوانى ، فقد خرجت الموصل عن بكرة ابيها لتشييعه ، واقفلت الاسواق وتعطلت المصالح ، وشارك فى تشييعه المسلمون وغير المسلمين بنفس اللوعة والحزن والأسى .

وقد ظهر الفقر بعد موته على اكثر من مائتى عائلة ، كان يمدها بما يكفيها من مال سنويا ، دون ان يعرف احد من الناس من امرها وامره شيئا ..

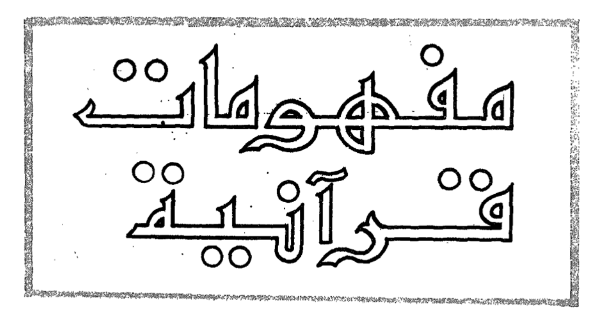
ولم ار فى حياتى رجلا متواضعا ورجلا على جانب عظيم من الخلق الرفيع ، كالرضوانى عليه رحمة الله .. كان يفر من الشرف والشرف يتبعه ..

لقد كان عالما عاملا بكل معنى الكلمة ، لذلك كان اذا قال سمع الناس ، واذا امر سارع الناس الى تنفيذ اوامره ، وكانت اشارته العابرة تعتبر امرا لا يخالف ..

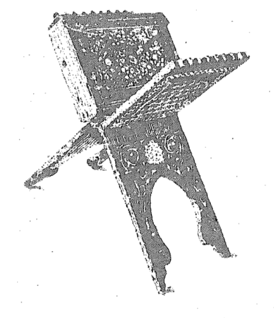
وكان اذا حكم بين خصمين ، تقبلا حكمه برحابة صدر ، وكانت قوة حكمه أقوى من قوة حكم المحاكم العسكرية والمدنية فى وقته ..

حكم تلك المحاكم خاضع للاستئناف والتمييز ، وحكمه غير خاضع لسلطات غيره .. فهو قطعى .. والغريب ان المحكوم عليه يتقبل حكمه بنفس الحماس والقناعة التى يتقبل بهما حكمه المحكوم له .

((للبحث صلة))



للأستاذ : احمد محمد جمال



التطميع في العبادة :

عقائد الناس وعباداتهم — في دنياهم — مختلفات ، ومتعددات . فمنهم من يعتقد « المجد في المال » يبذل عرضه وكرامته في سبيل جمعه للمال الكثير . ومنهم من يعتقد « المجد في اتباع السادة » يستلذ التمسح بالاعتاب وتقبيل الايدى الجديرة بالقطع ! ويحمد الركوع والسجود بين أقدام الكبراء والرؤساء من أجل أن يعرف بالقرب من فلان الكبير وعلان الخطير ، فيرجى نفعه ، ويتقى أذاه .

ومن الناس من يعتقد « المجد في الشرف » فليست الحياة بحذافيرها عنده شيئا اذا ضيم عرضه ، أو اقتحم حماه ، ومن تعتقد « المجد في العفة » فليس الحب بلذائذه ومتعه عندها شيئا اذا أريد لعرضها ان تلغ فيه الكلاب ، وتختلط في مخاونتها الأنساب .. وعكس هذه المعتقدات موجود في دنيا الناس في قديم الدهر وحديثه ، على سواء .

★ ★ ★

وللمجتمعات — كما للأفراد — عقائد وعبادات .. هي ما نراه من عادات وأعراف اجتماعية واخلاقية ومذاهب اقتصادية يتوارثها الاخلاف عن الأسلاف .. في نظام المعيشة ، ومعاملة الأفراد بعضهم لبعض ، وفي سياسة الحكومة للأمة ، وفي التعامل التجارى ، وغير ذلك من أوضاع وتقاليد ، تميز المجتمعات الانسانية بعضها عن بعض .

ومظاهر هذه (العقائــد) هو ما نعنيه (بالعبادات) ، فأساس التصرف هو الاعتقاد ، والاعتقاد هو مصـــدر السلوك ، بلا جدال .

أريد أن أقول ــ بهذه المقدمة الوجيزة ــ : إن العقيدة لازمة انسانية لحياة كل فرد وكل جماعـــة ، برفع النظر عن الوانهـــا ومجالاتها وموضوعاتهـــا المختلفات . وقد ينسى بعض الناس أو يغفل عن لزوم (العقيدة) ووجودها . ولكنها مع ذلك تظل حقيقة قائمة تحكم سلوك الأفراد والأمم وتوجه أنظمتهم الاجتماعية والاقتصادية ، والسياسية .

ونتحدث ــ بعد هذا التمهيد ــ عن عقيدة المسلم وعبادته التي تصـــدر عنها ، كما يريدهما القرآن . وقد أسميت موضوع حديثي هنا (التطميع فـــى العبادة) ، وأنا أقصده قصدا ، وأعمد الى لفظة (التطميع) عمـــدا لأصور حقيقة سعة الكرم الالهى بل امتيازه واختلافه عن كل ما يعرفه الناس من كرم ..

ولأقرب هذا المعنى أذكر الحديث النبوى : (إن الله يحب أن يسأل .. ومن لم يسأل اللــه يغضب عليه).

وقد صور الشاعر المسـلم هذا التوجيه النبوى فى قوله :

لا تسألن بنى آدم حاجـــة ... وسل الذى أبوابه لا تحجب
فالله يغضب إن تركت سؤاله ... وبنى آدم حين يسأل يغضب

★ ★ ★

إن مائــدة القرآن سخية بهذا (التطميع) فى عبادة الله .. بخوفه حين يجب أن يخاف ، ورجائه حين ينبغى أن يرجى ، وبذكره تمجيدا وتحميدا حين يجب أن يذكر :

يقول الله تبارك وتعالى :

ــ « ادعونى أستجب لكم .. »
ــ « ادعوا ربكم تضرعا وخفية .. »
ــ « فادعوا الله مخلصين لــه الدين » .
ــ « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب » .
ــ « واسألوا الله من فضله .. »
ــ « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم » .
ــ « فاذكرونى أذكركم ، واشكروا لى ولا تكفرون » .
ــ « فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا .. » .
ــ « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » .
ــ « قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ؟ بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه إن شاء . » .

ماذا بعد (تطميع) الله عز وجل لعباده فى عبادته على هذا النحو السخى الشهى ؟

أما يخجل بعد ذلك من يلتمس الخير والبركة والمنافع عند من لم يخلقوا شيئا وهم يخلقون ، ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون ؟ .

إن الله سبحانه هو الخالق ، وهو الرازق ، وهو المحيى ، وهو المميت . واعتقاد هذه (العقيدة) هومفتـــاح عبادة المسلم لربــه ، وإذعانه له ، ورجوعه إليه فى البأساء والضراء وحين البأس ، وفى السراء كذلك .. هنالك يرجوه كشف الغمة ، وهنا يبثه شكر النعمة .

ولذلك حرص نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام أن يوصى أمته وهو يفارق

دنياه ، بالحفاظ على هذا الزاد الذى لا ينفد ، والسلاح الذى لا يفل : « الصلاة الصلاة .. ».

وكان يقول عندما يحين وقتها : « أقم الصلاة يا بلال — أرحنا بها » وقال صلى الله عليه وسلمأيضا:«جعلت قرة عيني في الصـلاة » وتتابعت آثاره واخباره تؤكد : أن الصلاة عماد الدين — وأنهـا مفتاح الفـلاح — ومعراج المؤمن — وانه كان عليه الصلاة والسلام إذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ليفـرغ فيها همه ، ويغذى عزمه ، ويطمئن قلبه بذكر الله : « ألا بـذكر الله تطمئن القلـوب » .

★ ★ ★

إن العبادة سواء اكانت صلاة أم دعاء أم استغفارا ، وسواء أكانت صوما أم زكاة أم حجـا — إنما هى أغنى زاد ، وأمضى سلاح ، وأغلى كنز .. يصحبها المسلم فى حياته ، ويكون بها فى (معية) الله قويا غنيا عزيزا ، تهون عنده متاعب الدنيا ، وترخص متارف الجاه والمال ، ويذل الأعـداء والخصوم ، ويكون الله تبارك وتعالى بهدايته ورعايته ، — كما جاء فى الحديث القدسى — : سمعه الذى يسمع بـه ، وبصره الذى يبصر به ، ويـده التى يبطش بهـا ورجلـه التى يسعى بهـا ..

ومع أن الله عز وجل هو الغني وعباده هم الفقراء إليه فإنه يدعوهم فى كتابه ، ويكرر الدعوة ، ويلح فى التذكير بها .. يدعوهم الى استغفاره مـن خطاياهم ، والى التوبة النصوح عن سيئاتهم ، والى سؤاله من فضله الواسع ، والى الا يقنطوا من رحمته فهو يغفر الذنوب جميعا ، والا ييأسوا من روحه ، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون . ويدعوهم أن يذكروه فى سلمهم وحربهم ، فى سرائهم وضرائهم .. فنصره هو النصر ، وهو وحده كاشف الضر ، وهو الذي يطعم ويسقى ، ويمرض ويشفى ، وهو الذى يخذل وينصر ، وهو الذى يمنع ويمنح ، وهو تبارك وتعالى قبل ذلك كله « وسع كل شىء رحمـة وعلما » .

إن (معية) الله : فى عبادته السالمة من كل شرك ، الدائمة فى كل وقت . وقد كرر القرآن الكريم أن معية الله قائمة للمحسنين ، والمتقين ، والصابرين . والاحسان والتقوى والصبر هى ثمرات (العبادة) الخالصة الدائمة . ولن يفوز انسان بصلة الله ومعيته حتى تكون صلاته وصومه وحجه وزكاته وكل عباداته من ذكر ودعاء وخـوف ورجاء : (عقائد) ضمير قبل أن تكـون أعمال جوارح .

— إن فى الصلاة : دعاء ورجاء ، وخوفا وطمعا ، وشكرانا ورضا .
— وفى الصوم : مصابرة والتماسا لعفو ورحمة وغفران .
— وفى الحج : رياضة بدنية وروحية ، وتعارفا مع الاخـوة المسلمين .
— وفى الزكاة : تعاونا بين الأغنياء والفقراء ، وتزكية للنفس والمال معا .

إنها — هذه العبادات : معية الله قبل معية الناس . وما أكرم معية الله واجودها بأطايب الثمـار ، وجلائل الآثار . وصدق اللـه العظيم ، وصدق رسوله الكريم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : « ما تقرب الى عبدى بشىء احب إلىّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده الـتى يبطش بها ، ورجلـه التىيمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه .. » وفيما يقوله سبحانه حـين ينزل كل ليلـة الى سماء الـدنيا فى

ثلث الليل الآخر : « مـــن يدعونى فأستجيب لـــه ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ مـــن يستغفرنى فأغفر له ؟) ويقول عز وجل : (هل من تائب ؟ هل من داع ؟ ومن يقرض غير عـــدوم ولا ظلوم ؟) .

هكذا يطمعنا الله تبارك وتعالى فى عبادته ، ويغرينا بذكره ، وهو الغنى عنا ونحن الفقراء اليه ، ويعدنا مغفرة منه وفضلا ، ويبسط لنا معيته وظله .. وإنما يستجيب الذى يسمعون .

★ ★ ★

مكـــــارم التقـــوى :

وننتقل ــ على مائدة القرآن ــ الى موضوع قريب نسيب للأول ، الى مكارم (التقوى) وبركاتها وفتوحها فى عالم المادة وعالم الروح على سواء ، وهى ــ المكارم والبركات والفتوح ــ : عيش ميسر ، ونصر مؤزر ، وصلة بالله دائمة تمد المتقين بهداها ورضاها ،وبعزمها وعلمها ، وأنسها وحرسها ، وتدخر لهم فى معادهم الى الله خير مثوى ، وأكرم مصير ..

لقد رجحت كفـــة الباطل والإثم ــ فى ميزان الحياة ـــ اليـــوم ، وزين للناس حب الشهوات من ثراء ونساء ، حتى لم يعد للعفة والحياء عندهم معنى يفهمونه ، ولا لفظ يحترمونه ،وأصبح معتمدهم فى معاشهم على المال والجـــاه ، وامسى مبتغاهم : اللـــذة والنعيم ، وازداد تنافسهم على الزخرف الظاهر دون الجوهر ، وقامت فى سبيل حبهم للدنيا الحروب ، وخفقت بها القلوب ، وذهلوا من أجلها عن انسابهم وأرحامهم ، لا يصلونها ، وعن أعراضهم لا يحمونها أو يغارون عليها ، وغدت جهودهم وأموالهم الجمة تنفق بسخاء لكى يتغلب القوى على الضعيف ، ويظلم الغنى الفقير ، ويحيف السيد على المسود .

ومرد ذلك كله ، وسببه الوحيد الفريد : أن الانسان نسى سره ، وفقد ذخره .. نسى مما خلق ولمخلق ؟ وبم زود ؟

لقد خلق الانسان مما وصف لنا فى القرآن ، ومما نعلمه .. من سلالة من طين .. ولم يخلق كماخلق الملائكـــةمن نور ، ولا كما خلق الشياطين من نار ــ ليكون (خليفة) الله فى الأرض يعمرها بالخير والعدل والسلام . وزوده اللـــه لتحمل هذه (الأمانة) الثقيلة الجليلة التى اشفقت السموات والأرض والجبال ، وابين أن يحملنها ، زوده سبحانه بطاقة روحية تمكنه ــ ما ظل محتفظا بها ـــ من استلهام ربه ، والاستعانةبه، والاعتماد عليه .. فى فتح المغاليق وكشف الغم ، واستنباط (بركات) المادة ، وإنجاز (فتوح) الروح .

هذه الطاقة الروحية هى ذخر الانسان فى حياته ، وليس ذخـــره المال والمتاع من نساء وبنين وقصور ودثـــور . وهى (الإحساس) النابض الخفاق فى وجدانه ، الهاتف دائما فى ضميره : إن الله معك يعلم ما توسوس بـــه نفسك ، وما تخون بهعينك، وما تجترحه يداك ، فارقبه خوفا ، واطلبه طمعا ..

وهى ــ هذه الطاقة الروحية أو هذا الذخر الوجدانى ــ : (التقوى) : والله عز وجل إذا اتقى عبده محارمه أعطاه مكارمه : هدى وغنى ، وعزمة ونـــورا .

وهلم إلى مائـــدة القرآن التى تفيض بهـــذه (المكارم) لمن يتقى المحـــارم وينشد العزائم :

هل تريد رزقا مباركا طيبا ؟ إذن فاقرأ :

ــ « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

— « فقلت استغفروا ربكم إنـــه كان غفارا يرسل السـماء عليكم مدرارا والأرض » .
— « فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السـماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين » .
— « ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم .. » .
أم تريد تيسيرا لما تعسر من أمرك ؟! إذن فاقرأ :
— « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى » .
أم تطلب علما ورشدا ونورا تمشى به فى الدنيا ؟ إذن فاقرأ :
— « من يؤمن بالله يهـد قلبه » .
— « إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » .
— « واتقوا الله ويعلمكم الله » .
— « إتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ، ويجعل لكم نـورا تمشون بـه » .
أم ترجو ذكرى بعد نسيان ، وتوبة بعد حوبة ، ومغفرة بعد زلة ، إذن فاقرأ :
— « ومن يتق الله يكفر عن سيئاته ، ويعظم لـه أجرا » .
— « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » .
— « واذكر ربـك إذا نسيت ، وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هـذا رشدا » .
أم تريد حرسا إلهيا يرعاك ويتعهدك ؟ إذن فاقرأ :
— « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .
أم تطلب نصرا وفوزا فى حـرب مع عدوك ، فهذه الآيات تدلك عـلى مفتاحهما :
— « بلى إن تصبروا وتتقوا — ويأتوكم من فورهم هذا — يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكـة مسومين » .
— « إن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا » .
— « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .
ونصر الانسان لربـه هو طاعته وتقواه ..
أم تبتغى أن تكون من أولى العزم فى مكـاره الدنيا ومحابها ؟ فسبيل ذلك ترسمه لك هذه الآيـة :
— « وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » .
وأخيرا هل تريد مصيرا كريما وعاقبة حسنى ؟ إذن فاتل هذه الآية :
— « لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهـار خالدين فيها نزلا من عند الله ، وما عند الله خير للأبرار » .
وبعد : فهذه بعض مكارم التقوى وبركاتها وفتوحها فى عالم المادة وعالم الروح . وصدق الله العظيم : (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) .

قضية الفكر الاسلامي

للأستاذ : محمد احمد العزب

من طبائع الأشياء أن تكون الحركة الفكرية فى طور لاحق أثرى من الحركة الفكرية فى طور سابق ، وتتأكد هذه الفرضية إذا كان مسار « **الحياة العامة** » **سياسيا واقتصاديا** وحضاريا .. متجها الى الامام وليس الى الوراء ، فإن بين حركة الفكر — على كل مستويات هذا الفكر — وبين أطر الحياة العامة أواصر موشوجة تلهم وتستلهم فى جدل وجودى لا يكف فى لحظة من لحظاته عن امكانية المعاطاة .

فاذا انتكست الحركة الفكرية فى طور لاحق عنها فى طور سابق مع تدفق الأطر الحيوية الأخرى فى اتجاهها الصاعد فلا بد أن تكون هناك خلفية فاجعة تحتم هذه الرجعة أو قل هذا البوار !!

والمتأمل فى حركة « الفكر الإسلامى » يروعه ما يلاحظ من انحسار فاجع بلا تبرير ، مع توافر المتاحات الفكرية والعلمية والتقنية على مستوى لم يكن متاحا لكل المبدعين فى هذا الصدد قبل هذه السنوات الخصيبة العجاف فى آن !!

بمعنى أن جيل الرواد المعاصر لهذا الجيل من أمثال طه حسين ، وعباس محمود العقاد ، ومحمد حسين هيكل ، واحمد امين ، وغيرهم ، ما يزال هو الجيل القادر على التحرك فى اتجاه تشكيل ملامح المرحلة ، وإعطاء حركة الفكر الاسلامى أسلحة هائلة ما تزال هذه الحركة تقاتل بها اليوم هنا وهناك وعلى كل الجبهات !!

لا بد أن وراء هذه الظاهرة عوامل جذب ورائية تعيق من تقدم الفكر ، وتحد من انطلاقه الى أرحب الآماد .. وفى رأيى أن هذه العوامل ليست من النوع المادى الذى يمكن القبض عليه هكذا فى عفوية بادهة ، وإنما هى على النقيض من ذلك تماما تكاد تشكل قضية بذاتها تحتاج فى تأمل ابعادها الى دراسات واستقصاءات وتأملات .. أعنى أن تأمل هوية العوامل الورائية فى قضية الفكر الاسلامى ليس أقل خطورة وصميمية من تأمل قضية الفكر الاسلامى نفسها ، فإن جانبا هائلا من تعديل المسارات التاريخية يرجع بالضرورة الى فهم اسلحتنا المنتضاة فى هذا الصدد ،

بين المد والانحسار

وإلى فهم نوعية استعمالنا الصوابى لهذه الأسلحة المتضادة ، والى تأمل فرضية الفشل الى جانب تأمل فرضية النجاح ، هكذا بلا تفريق .. إن الاندفاع المتحمس في طريق التفاؤل لن يجدي على الاطلاق ، وخير منه بملايين الأحجام أن نتوقع نقيضه حتى ندرب كل طاقاتنا على السبح ضد إرادة التيار !!

ولست بقادر في هذه السطور على رصد كل الظاهرة واستقصاء كل عوامل جذبها الورائى ، فإن هذا الأمل هو منشودى من تحريك جهودنا الفكرية على هذه الطريق ، بمعنى انني لا اطمع هنا إلا الى لون من الاستنفار الحقيقى لهذه الغاية ، والدعوة الى تعبئة شاملة فى هذا المجال ، تماما كما حاولت من قبل فى دراستى لهوية « الأدب الاسلامى » .. ودراستى « للفكر الملحد » الذى يتفيأ صفحات ما يقرأ شبابنا من إبداعات مسرحية مترجمة (١) .

القضية الآن هى بالتحديد : لماذا استطاع جيل الرواد أن يبدع لنا هذه الشوامخ : « حياة محمد » ــ للدكتور محمد حسين هيكل ــ و « الله » و « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » و « العبقريات » ــ للأستاذ عباس محمود العقاد ــ و « مرآة الإسلام » و « على هامش السيرة » و « الفتنة الكبرى » ــ للدكتور طه حسين ــ و « فجر الاسلام » و « ضحى الاسلام » وكثير مما أبدع الدكتور أحمد أمين . وأحمد أمين بالذات ... وغيرها .. وغيرها .. ولم نستطع نحن ــ إلا على مستوى هامشى ــ أن نضيف الى ما بذلوا أو حتى أن نواصل مسيرتهم الجادة المتقفة على هذا الطريق ؟؟

إن معاناة بلا حدود يحسها الباحث المعاصر حين يتصدى لدراسة أكاديمية فى هذا المجال . لأن كل الجهود المعاصرة المبذولة حتى الآن تعيش عالة على هذه الدراسات الرائدة ، وتكاد من فرط العجز أو من فرط التثاؤب ــ لا أدرى ــ أن تمضغ مفاهيمها فى اجترار مكروه ، وذابل ، وبليد !! فلماذا ؟؟ لماذا نحاصر أقلامنا فى محدودية الانفعال ولا نقفز بها الى قمة الفعل ؟ لماذا لا تتصدى فى جسارة وانفتاح لمقولات بحجم ثقافة عصرنا اللاغط ، ونكتفى دائما بملامسة السطوح فى هشاشة توحى بمأساوية اللامبالاة ؟؟ لا شىء يبرر

هذه الوضعية الهابطة ســوى كوننا اصغر من كوننا الحقيقى ، أصغر من مقولاته وممكناته بلا حدود !!

لقد تصدى الدكتور محمد حسين هيكل فى « حياة محمد » لمقــولات هابطة حاصرت تاريخنا الاسلامى من شرق الأرض وغربها جميعا . وبعقلية رائعة ومنهجية أروع استطاع الرجل أن يحيل مناطق الهجوم على الاسلام الى منــاطق استســلام أو قل الى مناطق دفاع على أهون الفروض !!

ولقد تصدى الأستاذ العقاد مثلا فى « عبقرية محمد » لمقولات أبشع هبوطا حــاولت أن تجعل من قائــد الحركة الاسلاميــة عليه الصــلاة والسلام مجرد فاتــك بالسيف ، أو مجرد عاشق للجميلات ، واستطاع العقاد — من منظور عقلى معــاصر مستوعب — أن يرسخ مسلمة أن هذا النبى القائــد كان وما يزال وسيظل اعدل من قبض على حمائل سيف ، وأعف من نظر الى امرأة فى رحائب الوجود !!

ولقد تصدى الدكتور طــه حسين فى كتابــه « على هامش السيرة » لمقولات الجفاف فى النمط الاسلامى واستطاع الباحث الفنان فى طــه حسين — من خلال تقنية فاهمة — أن يسكب الاخضرار فى أعراق هــذا النمـــط ، وأن يحيل كل مســيرة الشخوص الى نبض وجودى زاخــر بأنبل ما على الأرض مــن عواطف البشر ، وبأروع ما فى الوجود مــن هواتف الأرض الرانية الى مناطها فى السماء !!

ولن اتحدث عما كتب أمين ، وعما تصدى له ، فان ذلك وحده يحتاج الى دراسة شاملة معمقة تفى بحقه على الجيل !!

وتســتطيع أن تقول ذلــك فى إبداعات أخرى مما ابدع هذا الجيــل الرائد — ولسنا هنا بصدد الاستقصاء بقدر ما نحن بصدد الايمــاء — الشىء الذى يرسخ فى الأذهان قضية أن الجيل الرائد كان يعــرف مــن أى المنطلقات يبدأ زحفه الهائل ، والى أى الآماد ينتهى مساره الكبير !!

فلماذا إذن توقف الزحف ؟ ولماذا إذن انتهى بهذا الجيل هذا المسار ؟ لماذا لم يواصل الجيل الخالف اندفاعه المؤمن قابضا على حركة التصــدى الفاعل فى حومة الحوار ؟

أكاد أزعم هنا أن الفارق الصميمى بين موقف كل من الجيلين : أن الجيل الرائد حين خرج الى القتال بالقلم فقد خرج شاهرا فى وجه كل التحديات إيمانه بنفسه ، وإيمانه بعقائديته ، وإيمانه بروعة مواريثه الثاوية — لا يهم — فى بطون الكتب الصفراء !! فى حين خرج الجيل الخالف الى القتال غير شاهر سوى إيمانــه المرتعش وعقائديته المدخولة ، وغير قليل مــن الشك فى مواريثه التى خجل معها أن يقال : إنه قــارىء كتب صفراء لا حمراء !! لقد انعكس هــذا التسيب العقائدى والفكرى على موقف هــذا الجيل الخالف فلم يستطع أن يصمد على جبهــة المواجهة مقاتلا هاجما أو حتى مقاتلا على جبهة الدفاع !!

لا تقولوا إن الزحف « فى هــذه المرحلة » يوشك أن يكون كاسحــا بأفدح مما تعرض له الجيل الرائــد تحت مظلة تفتح الفكر المهاجم على آفاق لم يكن يحلم بها فى قمة المرحلة الفائتة . . . فإن هذه المقولة مرفوضة من وجهين :

أولهما : أن عرامة اى هجــوم تقتضى بالضرورة استجابة دفاع أذكى واقدر !!

وثانيهما : أننا ما نزال نقاتل هــذا الهجوم الكاسح بفكر جيلنا الرائــد لا بفكرنا نحن ، وما يزال فكر هذا الجيل الرائد يقاتل لنا ومن أجلنا على كل الجبهات !!

إن المتبع لحركة الفكر الاسلامي يوشك من خلال أولئك الرواد ان يركز على أساسيات بارزة في إبداعهم :
كان بعض هذا الابداع بمثابة (تفجير للينابيع) .
وكان بعضه بمثابة « تأصيل للمفاهيم » .
وكان بعضه بمثابة « طموح الى التنظير » .
وكان بعضه بمثابة « ارتفاق منهج نصي » .
وكان بعضه بمثابة « تجول فني في حدائق العقائديات » .

وحتى لا يتصور أن حسا من التطوح الشعري يؤطر هذه الكلمات، فقد يكون من الأجدى أن نقول : إن « حياة محمد » لهيكل كانت خطوة على طريق تفجير الينابيع ، وكانت « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » للعقاد و « فجر الاسلام » و « ضحى الاسلام » لأحمد أمين ، خطوة على طريق تأصيل المفاهيم .. وكانت دراسة العقاد الفذة عن « الله » خطوة على طريق الطموح الى خلق نظرية إسلامية – من المنحى الفكري – في هذا المجال .. وكانت « مرآة الاسلام » لطه حسين خطوة على طريق احتواء المنهج النصي ... وكانت « على هامش السيرة » لطه حسين خطوة على طريق التجول بالفن في حدائق العقائديات !!
وهنا أستطيع أن أزعم أن إبداع هؤلاء الرواد لم يكن حركة لوح تلقائي يستريح من معاناته الكاتب بنفثه كلمات على وجه الورق ، وإنما كان حركة فكر ريادي يتكيء في اندفاعه الواثق على حس تكاملي كان يسيطر على حركة أولئك الرواد في قضية إبداعهم الفكري والفني ... بمعنى أن كل واحد منهم كان يشكل صوتا فكريا وفنيا مفردا ، لا يريد لنفسه أن يكون صوتا مكرورا ولا صدى لصوت مفرد أو مكرور ، وبهذا الحس المغامر الطموح استطاع هذا الجيل أن يشكل – من خلال إبداعه – دائرة متكاملة يقضي أولها الى آخرها بلا نشاز – فحين نرى اتجاها الى تفجير الينابيع هنا ، نرى الى جواره اتجاها الى تأصيل المفاهيم هناك .. وحين نرى غير بعيد ملامح اتجاه الى محاولة التنظير نرى غير بعيد كذلك اتجاها الى ارتفاق المنهج النصي ، وحين نرى ميلا هادفا الى التجول الفني في رحائب العقائديات نحس بأن هذا المتجه يأتي لتمام دائرة لا تتم في غيابه على الاطلاق ، وهكذا تنتهي الدائرة الى تفرد بارز من ناحية ، والى تكامل أروع بروزا من ناحية أخرى ، ولا تكون قضية المبدع هنا أن ينوع على لحن أساسي مكرور غامر بابتكاره سواه ، وإنما تكون قضيته أن يبحث في المدار الفكري والفني عن مناطق البكارة والأمل الصميمي في إضافة لبنة الى جدار الواقع العقائدي حتى ينهض الجدار ويتشامخ البناء .

ولعلني لست في حاجة الى شجب الجانب الآخر أو الدعوة الى شجبه ، أعني أنني لست في حاجة الى إدانة الجيل الخالف ، الذي يتحرك بالفكر والفن في مناطق النفوذ التي أفرغت أمعاءها تماما ... لقد شهدت المرحلة الاخيرة موجات من « الدعاية » الفكرية للقضية العقائدية مكرورة بلا ملال ، ومقلدة بلا حياء ، وتافهة بلا قرار ، ولم نلمح من خلال كل هذا اللجب اللاجب قضية واحدة قادرة على البقاء . ولا دراسة واحدة يمكن أن تضيف الى ضمير العصر أبعادا جديدة تثري حركة الفكر فيه ، أو حتى حركة الحوار !!
أن يكون الجيل الرائد مفجرا للينابيع ..
وأن يكون مؤصلا للمفاهيم ...
وأن يكون طموحا الى التنظير ...
وأن يكون مقترحا لمناهج متعددة..

وان يكون متجولا — على مستوى فنى — فى حدائق العقائديات .

وان يكون الجيل الرائد كل أولئك جميعا .. فإن هذا كله يعطى هـذا الجيل جدارة التمدد فى أخلاد الأبد .. وجدارة التخطى لملايين السدود !!

وأن يكون الجيل الخـالف عاجزا بتدرية فادحة عن مجرد العطاء فى أى من هذه المنطلقات فكريا وفنيا ، فإن هذا كله يعطى جدارة السقوط اللاهث تحت سنابك التاريخ !!!

اعلم ان جهودا بـذلت — عـلى مستوى الجيل الخالف — فى كل من هذه المجالات ، ولكننى لست عـن مجرد الجهد المبذول ابحث ، فقضيتى ابعد تجذيرا فى تربة الواقع الفكرى من مجرد الحركة أو مجرد الدوار ... وأوشك أن أجـزم بأن محـاولات مستحدثة قد بذلت بالفعل وهى ليست غريبة الغور فى هذا الصدد ، ولكنها فى النهاية تبقى محاولات مفردة تفتقر الى ما يعاونها على تكامل الـدورة ، وانسياب البعض فى حركة الكـل الكبير !! من هذه المحاولات — مثلا — بعض جهود مالك بن بنى (٢) فـى الجـزائر — وبعض جهـود نديم الجسر (٣) فى لبـنان . وبعض محاولات محمد البهى (٤) فى مصر .. وغيرهـا ... وغيرهـا .. وهى محاولات موفقة وطموحـة من غير شـك ، ولكنها كما قلت لا ترتكز فى تمامها على حس تكاملى يفضى فـى النهـاية الى ظاهرة بارزة التمام !!

ولقد كان من الممكن ان يشـكل الفكر الاسلامى بمتاحاته المعـاصرة حركة أروع من الحركـة الرائدة ، وثورة أشمل من كل ثورات الفكـر الاسلامى عبر كل العصور .. ولكنه — فيمـا يخيل الى — فكر قانـع ومستسلم وغير باحث عن حركـة الكدح او حركة المعاناة .. أو قل : إنه فكر قابض على قناعاته النهائية بما هو عاجز عن ديمومة الحوار مع فكر المراحل غابرها ومعاصرها على السواء !!

وحتى لا أنتهى الى مجرد التشنج او الى مجرد الصراخ فإننى اود أن اوجه من هنا دعوة الـى كل مفكرى الحركة الاسلامية على امتداد الرقعة التى يتقاسمون فوقهـا خبز العصر وهواءه :

ان يتلاقوا على كلمة سواء ..

وأن يتدارسوا إمكانية العطـاء المثقف المتكامل ..

وأن يتصدوا للقضايـا الصميمية وليس للقضايا القشرية ...

وأن يحركوا اقلامهم فى اتجـاه الحياة وليس فى اتجاه الموت ..

وان يكون حاضر الجيل ومستقبله وهمومه المثقفة هى محور اهتماماتهم الحقيقية ..

وان يهيلوا تلالا من الرمال علـى إحساسهم الفاجع بإقليمية الحركة ، وإقليمية الفكر . فإن جناح إسلامهم يغطى حتى الآفاق اللا منظورة فـى هذا الكون المائج اللا متناهى الأبعاد والآماد ..

وأن يقاتلوا — فى النهاية — او يستسلموا ، فلسنا فى حاجة الـى نائحين مأجورين .. والحركة المسلمة بعد قادرة على انتخـاب عناصرها القادرة حتى من تحت أطباق الظلام ..

والأفق ممتد .. والسواعد هائلة .. والنـداءات بحجم ما بين الأرض والسماء !!!

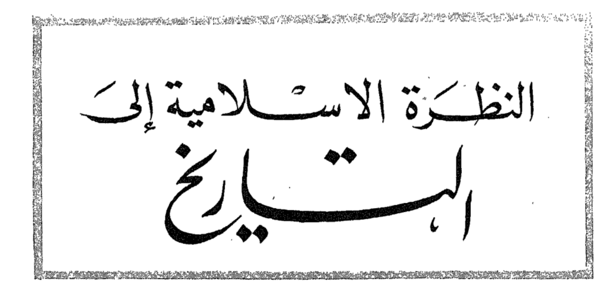
---

(١) نشرت الـدراسات بمجلـة « الوعى الاسلامى » فى اعداد سابقة .

(٢) اشير هنا الى كتابـه « الظـاهرة القرآنية » .

(٣) اشير هنا الى كتابـه « قصة الايمان » .

(٤) اشير هنا الى كتابه « الفكر الاسلامى والاستعمار الحديث » .



النظرة الاسلامية إلى التاريخ

للأستاذ محمد عطاء الله

أولا ـ التاريخ والنظرة الى التاريخ

تنطوى الكلمة « تاريخ » من حيث استعمالها فى العصر الحديث على دلالتين ، تعبر فى الأولى منهما عن احداث الماضى بصورة عامة ، وفى الثانية تعبر عن تسجيل هذه الأحداث، أو بكلمة اخرى تعنى العمل الذى يقوم به المؤرخ . ولئن حاولنا تتبع بدايات التدوين التاريخي لدى البشرية وجدناها تقترن باكتشاف الأنسان للكتابة ، حيث أدى هذا الاكتشاف الذى ظهر لأول مرة فى وادى الرافدين وفى حدود نهاية الألف الرابع ق.م على ارجح تقدير ، إلى انصراف الأنسان نحو تدوين ذكرياته عن نفسه وتسجيل افكاره عن الكون والحياة ، وقد تصاعد هذا التسجيل لدى البشرية قدما ، وأدت دراسته والنظر فيه إلى محاولة تفسيره والبحث عن معنى لأحداثه ومن ثم إلى محاولة اكتشاف الروابط بين هذه الأحداث والقوانين التى تحدوها وتتحكم فيها وهكذا ظهرت (النظرة إلى التاريخ) ..

وقد رافقت هذه النظرة الديانات العظمى « فكانت نظرة الصينيين القدماء من التاريخ نظرة (سكونية) أو (تصوفيه) وكثيرا ما عد المفكرون الصينيون التاريخ عملية تعليم دروس اخلاقية تتلقى فيها الرذيلة عملية العقاب على الدوام

وتحظى الفضيلة بأحسن الجزاء .. فخبرتهم بالتاريخ تقترن بالإذعان والاستسلام لا بالمسرة والجذل » ، أما اتجاه المذهب البوذى فكان فرديا ، فمدار التاريخ هو الأفراد فى مجموعة الحيوات المقدرة لكل منهم ، حتى يصلوا إلى هدف إطلاق السراح من جولة الميلادات والميتات المتكررة المتعبة ، وقد كان التفكير الأغريقى يسير فى اتجاه محدود ، لا يلتئم مع نمو التفكير التاريخى ، وإنما كذلك يستند إلى ميتا فيزيقا تمقت التاريخ مقتا شديدا . إن التاريخ علم يعرض لجهود الانسان أى ان المادة التى يعرض لها المؤرخ هى تلك الأعمال التى قام بها الرجال فى الماضى وتلك اعمال تتعلق بدنيا طبعت على التغير .. دنيا يحدث فيها اليوم ما يمتنع حدوثه فى الغد ، ومثل هذه الأحداث طبقا لوجهة النظر الميتافيزيقية للأغريق ، غير قابلة لأن تعرف ، ومن ثم يجب أن يكون التاريخ مجالا ، ولدى الرومان كان محور الاهتمام المسيطر على المؤرخ اللاتينى ، إنما هو تاريخ روما : اصلها واحوالها الداخلية وحياة كبار زعمائها وامتداد رقعة سلطانها ، وجرت العادة فى الجملة الا تذكر الشعوب الأخرى إلا من حيث علاقتها بالتاريخ الرومانى وقد قدمت الزرادشتية ايضا نظرتها الى التاريخ ، فهنـاك اتجـاه رئيسى للزرادشتيين من التاريخ ، وهو يتجلى فيما ورد فى الأسفار الجاثية من وصف لما فى خليقة الله من خير وطيبة ، فالله هو الذى يقيم الأرض والقبة الزرقاء ويقيهما شر السقوط .. وهو خالق البشر وبارىء أرواحهم واجسامهم وواهبهم حرية الارادة .. والعالم الفيزيائى هو المسرح الـذى يجلى عليـه التاريخ البشرى .. على أن اسفار الجاثا — Gathas. — لا تجعل تاريخ الفرد ينتهى عند حياته فى هذه الأرض ، فان زرادشت كان ممن يؤمنون بالخلود . وكان من ثم يصلى التماسا لما فى الحياة الأرضية من خيرات ، ولكى يتهيأ له فى النهاية الأخذ بنصيب فى الحالة النهائية من السعادة والنعيم يوم يستأصل الشر نهائيا من كل مكان .

كما قدمت لنا الأديان السماوية نظراتها الخاصة إلى التاريخ ، فكانت نظرة اليهودية إلى التاريخ تقوم اساسا وفى أوسع شمول على المذهب التأليهى .. فالطريق إلى فهم التاريخ هو فكرة السيطرة الالهية ، وانتقل الاسرائيليون إلى الأعتقاد بأنهم « شعب الله المختار » إذ سجلت الأسفار التاريخية ما فعله الله لهم وما أتاه من أجلهم . ثم جاءت المسيحية فكانت نظرتها إلى التاريخ تقـوم على أساس « سقوط آدم » وما نتج عنه من « الخطيئة لأولى » ، ثم دخول الله فى التاريخ متجسدا فى صورة بشرية وتبشير العالم بالأنجيل ومن ثم عودة المسيح للمرة الثانية إلى العالم جالبا معه « يوم الحساب » وافتتاح مملكـة السماء الموسومة بالكمال والمقرونة بأتم البركات ، وقد كتبت تواريخ كثيرة على هـذا أساس (سقوط آدم) وما نتج عنه من (الخطيئة الاولى) ، ثم دخول الله فى يكون عاما ، تدريا ، مرتبطا بحدوث الوحى ، ثم منقسما إلى فترات » ، وقـد قدم كثير من المفكرين تفاسير مختلفة للتاريخ خارج إطار النظرة الدينية .. فهناك التفسير الجغرافى والجنسى والاقتصادى والنفسانى .. الخ مما يضيق عـن عرضه مجال هذا البحث .. والذى يعنينا هو ايضاح النظرة الاسلاميـة إلى التاريخ ..

ثانيا : النظرة الأسلامية إلى التاريخ :

قبل البحث فى « تحديد خصائص النظرة الأسلامية إلى التاريخ » ينبغى علينا الأجابة عن سؤال يطرح نفسه ، هو « هل هناك نظرة إسلاميــة خاصة ومتميزة إلى التاريخ ؟ . .

وتقتضى الأجابة عن هذا السؤال البحث فى كلمة « تاريخ » نفسها هل هى عربية أو دخيلة ؟

أ ــ يشير (السخاوى) فى كتابه « الأعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » إلى هذا الاختلاف فى اصل الكلمة ، فيذكر قول (الجوهرى) : « التاريخ تعريفه الوقت والتوريخ مثله يقال : أرخت وورخت » وقد فرق (الأصمعى) بين اللغتين فقال : بنو تميم يقولون ورخت الكتاب توريخا . وقيس تقول : أرخته تأريخا . وهذا يؤيد كونه عربيا ، وقيل انه ليس بعربى محض ، بل هو مأخوذ من « ماه روز » بالفارسية (ماه) القمر . و (روز) اليوم . . قال ابو منصور الجواليقى فى كتابه «المعرب من الكلام الاعجمى » : يقال أن التاريخ الذى تؤرخه الناس ليس بعربى محض وإنما أخذه المسلمون عن أهل الكتاب » .

وقد حاول المستشرق (فرانز روزنثال) تتبع أصل الكلمة فى العربيــة فرجح أنها مستمدة من الكلمة السامية التى تعنى (القمر) أو (الشهر) وهى فى الأكدية « ارخو » وفى العبرية « يرخ » . . وفى اليونانية توجد الكلمــة « أرخى » بمعنى بداية أو حكم و « أرخايوس » بمعنى قديم . . وفى الكلدانية تعنى الكلمة « أركونا » حاكم أو رئيس . ولعل هناك علاقة بين هذه الكلمــات وكلمة « تاريخ » العربية .

ب ــ ومهما يكن فى أصل الكلمة « تاريخ » من اختلاف فانها لم ترد فى القرآن الكريم ، ولا فى الأحاديث النبوية الشريفة . . ويروى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أنه قال : « ذكر الله التأريخ فى كتابه لأن معاذ بن جبــل (رضى الله عنه ــ قال : يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ، ثم يزيد حتى يعظم ويستوى ويستدير ، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان على حاله الأول ؟ . . فنزل : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس » . فذكرت الوقت وقد سبق عندنا تعريف (الجوهرى) الذى أورده الســخاوى للتاريخ بأنه الوقت وتاريخ المسلمين أرخ من سنة الهجرة ، كتب فى خلافة عمر ــ رضى الله عنه ــ فصار تاريخا الى اليوم .

جـ ــ على أن القرآن الكريم جاء بنظرة جدية إلى الماضى ، واشار إلى أن ذكريات العرب الماضية محدودة ، وعاد إلى بدء الخليقة . واكد على امثلة التاريخ الغابر وعظاته ، وذكر حوادث الأمم والشعوب ، والواقع فان الأسلام دين يعتبر التاريخ أساسا فى عقيدته ، ويعرض فلسفة تضع نظما وقوانين لسير الانسان وسعادته والمجتمعات وتطوراتها ، والبشرية ومصائرها ، هذا فضلا عن تأكيده على علاقة القرآن بما فى الصحف الأولى . . وأن الأسلام والرسول (صلى الله عليه وسلم) يتبعان ملة إبراهيم حنيفا مسلما . . ويؤكد على المسلمين أن ينظروا إلى مصائر الأمم السالفة التى ورد ذكر قسم منها فى القرآن الكريم .

د ــ وهكذا فان توفر المادة التاريخية والقصص التاريخى فى القــرآن

الكريم ، نشط دراسة التاريخ لدى المسلمين نشاطا لا مزيد عليه « حيث دفع مفسرى القرآن إلى البحث عن معلومات لتفسير ما جاء فيه ، وقد أصبح الاهتمام بالمادة التأريخية على مر الزمن ، احد فروع المعرفة التى تمت بالارتباط بالقرآن » ، فازداد عدد المؤرخين المسلمين بحيث أحصى لنا (حاجى خليفة) وحده فى كتابه « كشف الظنون » ألفا ومائتى مؤرخ !!

كل ذلك يؤكد وجود نظرة إسلامية خاصة ومتميزة إلى التاريخ ، وسنحاول فى السطور التالية تلمح خصائص هذه النظرة ، غير أننا نحب أن ننبه قبل ذلك إلى حقيقة أساسية هى أن القرآن الكريم ليس محض كتاب يبحث فى التاريخ ، بل هو نظام حياة شامل عام ، وهكذا فالمعلومات التاريخية التى جاءت فيه وظيفية لم تقصد لذاتها وإنما هى « تحذير من المهاوى الواقعة فى طريقنا » ، وكجزء من هدفه فى توجيه الانسان إلى الله وتنظيم حياته الخاصة والعامة ، ولهذا نجده يؤكد على ضرورة النظر إلى التاريخ لفرض العبرة بمصائر الأمم السالفة : « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين » « أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها » .

ثالثا : خصائص النظرة الاسلامية إلى التاريخ :

نستطيع أن نجمل خصائص النظرة الأسلامية إلى التاريخ بالأمور التالية :

١ ــ النظرة الكونية :

النظرة الأسلامية إلى التاريخ نظرة شمولية تستمد ذاتها من العقيدة الأسلامية ممثلة فى التصور الأسلامى لله ، والكون ، والانسان ، والحياة . والمنطلق الأساسى للعقيدة الأسلامية هو الايمان بألوهية يتفرد بها الله سبحانه . وعبودية يشترك فيها كل من عداه وكل ما عداه ــ وكما يتفرد الله ــ سبحانه ــ بالألوهية ، كذلك « يتفرد » ــ تبعا لهذا ــ بكل خصائص الألوهية . . وكما يشترك كل حى ــ فى العبودية ، كذلك يتجرد كل حى وكل شىء من خصائص الألوهية . . فهناك إذا وجودان متميزان : وجود الله . ووجود من عداه من عبيد الله . والعلاقة بين الوجودين هى علاقة الخالق بالمخلوق . وهكذا نجد زاوية الرؤية فى النظرة الاسلامية الى التاريخ تتسع لتستوعب الكون والوجود كله ، وذلك برد نشأة هذا الوجود وحركته وما يجرى فيه ونهايته الى إرادة الخالق سبحانه وتعالى وقدرته . . . ومن شأن هذه النظرة أن تنقذ الأنسان من العبث وذلك بإضفائها المعنى على الحياة الانسانية ومن ثم على الوجود كله، وذلك يتم بتحديدها لأصل التاريخ وهدفه « وهما حدان لا نستطيع أن نصلهما بأى أسلوب من أساليب معرفتنا الخاصة ، ونجدهما فى الدين وحده » . . وهذه النظرة الكونية من شأنها أن تجعل الانسان مشتركا فى مشكلات الوجود لا متطلعا وحسب ، فالتاريخ خارج هذه النظرة لا يقدم لنا سوى « حضارات تولد ، وتنضج ، وتموت

لكن هل نحن على هذه الارض ببساطة لبناء ، ثم هدم حضارات ؟ هذه المصانع المؤقتة مثل نسل من ديدان الخشب يبنى مأواه الذى سوف يهدمه ، ثم يعيد بناءه فى استمرار للنوع لا طائل من ورائه » ، وهكذا يبدو البشر لا يملكون أى هدف أو خطة أكثر من « تلك التى يمتلكها صنف من الفراشات أو زهور الاوركيد Orchids كما يذهب اشبنجلر .

التصور الاسلامى اذا يضع هدفا محددا للوجود يتمثل بعبادة الله سبحانه وتعالى : « ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون » ، « الم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض ، والطير صافات ، كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون » ، فالهدف الرئيسى للقرآن الكريم كما يقول (إقبال) : « هو أن يوقظ فى نفس الانسان شعورا أسمى بما بينه وبين الخالق وبينه وبين الكون من علاقات متعددة . ولقد كان هذا المنزع التعليمى للقرآن الكريم هو الذى جعل (جيته) ، وهو يستعرض الدين الاسلامى بوصفه قوة مهذبة مؤدبة يقول لأكرمان : « أنت ترى أن هذا التعليم لا يخفق أبدا ونحن بكل مالنا من نظم لا نستطيع ، بل أقول بوجه عام ، إن أحداً من البشر لا يستطيع أن يذهب أبعد من هذا » .

ب ــ النظرة العالمية :

الاسلام دين عالمى الدعوة ، تتمثل العالمية فى دعوته على منحيين :

١ ــ تقريره وحدة الجنس البشرى « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا » و « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

٢ ــ تقريره لوحدة الدين وأن دعوته هى دعوة النبيين جميعا تجددت كاملة على يد محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ خاتم النبيين ، ولهذا فرض الاسلام الايمان بالرسل جميعا : « قولوا آمنا بالله وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » . لذلك فان النظرة الاسلامية الى التاريخ ترتبط بالتفسير الاسلامى للوجود الإنسانى ومن ثم بتحديد مكانة هذا الوجود بين غيره من أنواع الوجود ، وبعد ذلك بتحديد مكانة الإنسان بين كل جماعة من هذا الوجود الإنسانى ، فالقرآن الكريم يرجع النشأة الإنسانية الأولى الى الطين « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار

مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين ، ثم انكم بعد ذلك لميتون ، ثم انكم يوم القيامة تبعثون » . أما مكانة الإنسان فى هذا العالم فتتحدد بكونه خليفة الله فى أرضه يعمرهـا ويفيد منهـا وتكون بكل ما فيها من خلائق مسخرة لخدمته . « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ، قال إنى أعلم ما لا تعلمون » . « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » . ومعنى الخلافة هذا يتضمن معنى المسؤولية ، فالكائن الإنسانى كائن مسؤول فى هذا العالم عن نفسه ، وعن أنشطته ، فهو الذى يصنع تاريخه وهو الذى يحاسب على كل ما يحققه خلال هذا التاريخ ، (ومن أهم أصول التعاليم التى جاء بها القرآن الكريم ان الأمم تحاسب بمجموعها ، وأن العذاب يعجل لها فى الحياة الدنيا بما اكتسبت من سيئات ، ولكى يؤكد القرآن هذا المعنى فانه دائب الاشارة الى الأمم الخالية داعيا الى الاعتبار بتجارب البشر فى ماضيهم وحاضرهم) ، كذلك لا نجد فى الاسلام ما يفيد معنى اللعنة الأبدية كما فى التوراة ، فالأرض ليست منفى للبشرية ، بل هى بكل ما فيها مسخرة لخدمة الانسان ، ولعل هذه النظرة العالمية هى التى جعلت المؤرخين من المسلمين يبدءون تواريخهم ببدء الخليقـة .

جـ ــ النظرة المثالية الواقعية :

الإنسان فى القرآن الكريم روح وجسد ، وفيه استعداد لفعل الخير ، كما فيه استعداد لفعل الشر ، وهو مُخيَّر وحر فى سلوكه وافعاله ، يدل على ذلك ما فى الشريعة الإسلامية من تكليف ، ولذلك كانت نظرة هذا الدين تتميز بكونها مثالية وواقعية فى آن واحد ... مثالية من حيث تفسيرها للأصل والهدف ، وواقعية من حيث تعاملها مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود المستيقن ، والأثر الواقعى الايجابى ، فالتصميم الذى يضعه للحياة البشرية يحمل طابع الواقعية لأنه قابل للتحقق الواقعى فى الحياة الإنسانية يقول (إقبال) فى هذا الصدد : « إن المشكلة التى واجهها الاسلام كانت فى الواقع ما بين الدين والحضارة من صراع متبادل ، وما بينهما فى الوقت نفسه من تجـاذب متبادل . ولقد واجهت النصرانية فى أول عهدها المعضلة نفسها ، فكان أعظم ما عنيت به أن تبحث عن مستقر للحياة الروحية قائم بنفسه ، تلك الحياة التى رأى منشئها ببصيرته انه يمكن السمو بها لا عن طريق قوى عالم خارجي عن نفس الانسان وإنما بتجلى عالم جديد فى داخل النفس ذاتها ، والإسلام يقر هذه النظرة تماما ، ويكملها بنظرة أخرى هى أن النور الذى يضىء هذا العالم الجديد المتجلى على هذا النحو ليس غريبا عن عالم المادة ، بل هو متغلغل فى أعمـاقه » فالنظرة الاسلامية لا ترى فى التاريخ على انه نشاط من انشطة المادة فحسب ، كما انها لا ترى فيه نشاطا من انشـطة الروح فقط ، وإنمـا هو نشاط يجمع فى مضامينه هـذين العنصرين معا ، كما أن هذه النظرة المثالية الواقعية من شأنها أن تجعل الانسان

لا يغيرّ فكرته عن العالم والتاريخ من ثم فقط وإنمـــا تجعله يتساهم في تغيير هذا العالم وبالتالي يصنع التاريخ .

د ـ النظرة الحيــوية :

التاريخ في إطار النظرة الاسلامية يبدو مليئا بالحيوية والحركة ، وذلك منبعث من كونه اتجاهيا أو غائيا . أى أنه يبتدىء من بداية محددة تتمثل ببـــدء الخليقة في التصوير الإسلامي ، ويتجه الى نهاية محددة أيضا هي يوم القيامة . وهذه النظرة من شأنها أن تكون مستقبلية لا تقتصر على الماضي وحده وإنمـــا تمتد لتشمل المستقبل ، وهذا من شأنه أن يعمّق الإحساس التاريخي لدى الانســان المؤمن بهذه النظــرة ، وليس كما يذهب المستشرق (روزنثال) من أن « هــذا الامتداد لفكرة التاريخ الى المستقبل كان في الحقيقة ـــ كما يقول ـــ مسلكا خاطئا لأنه ـــ كمـــا يذهب ـــ قد أخرّ في قيمة التاريخ باعتبـــاره تفكيرا في العوامل الواقعية والمؤثرات في الحياة ، لأنه يعوزه التنوع ، ولأنه يتركز بصورة جامــــدة حول حقائق محدودة » ، والذى دعا (روزنثال) الى هذا الراى هو ما لاحظـــه من الحديث عن يوم القيامة في القرآن الكريم « بحيث أصبحت احداثه واضحة للناس وكأنها قد حدثت في الماضي القريب رغم أنها لم تحدث بعد » . غير أن (روزنثال) فاته أن يفهم أن هذه المسألة (استعمال فعل الماضي في الحديث عن يوم القيامة) تدخل ضمن الأسلوب البلاغي الفني الذى يتفرد به القرآن الكريم عن كل ما عداه من الأساليب ، كما أن القرآن لم يؤرخ للمستقبل بل تحدث عن المستقبل وعن نهاية العالم المتمثلة في يوم القيامة وأن حديثه عن المستقبل كان جزءا من قانونه الذى جاء به في تفسير رقي المجتمعات وتدهورها ، يضاف الى ذلك أن اتجاه الاسلام من التاريخ (كما لاحظ ويدجرى) ، اتجاه يقوم على المذهب التحسني ـــ Meliorcim ، فمتى تزايد إقبال الأفراد والشـــعوب على الطاعة لإرادة الله ، تحسنت الأمور .

ويلاحظ الأستاذ الباكستاني (عبد الحميد صديقي) أن فكرة النمو الخلقي المحتوم لا توجد بين المسلمين « فالإسلام لا يزعم أن أخلاق حقبة معينة تاريخية لا بدّ أن تكون أسمى من أخلاق الحقبة السابقة لها ، فالإسلام يمنح البشر الحرية في أن يختـــاروا بين السير قدما في طريق الأخـــلاق أو التراجع والنكوص . والاختيار النهائي يعتمد عليهم وحدهم . إن الله وملائكته لا يسحبون البشر الى الأمام . بل الأخلاق تتضمن تأديب النفس وتعويدها النظام والطاعة ، كما تتضمن السيطرة على الشهوات وتنظيم الإرادة في الســـعي وراء مثل أعلى . وهذا يتطلب جهودا متجددة دائما يقوم بها الأفراد أو الجماعات داخل دائرة الأخلاق . إنه لا يوجد نجاح خالد الى الأبد وتقدم باق دائم ، وانه من الممكن الانحطـــاط عن المستوى الخلقي الذى يبلغه الفرد أو الجماعة إذا قلّ الجهد المبذول » .

هـ ـ التفسير الإسلامي للرقي والتدهور :

ليس في الإسلام ما يشير الى مفهوم دورى محدود بزمن معين كما هـــو معروف لدى فلاسفة التاريخ الدوريين ، فالقرآن الكريم لا يوجب على المسلم -

مقدارا محدودا من السنين لخلق الكون ، او لخلق الانسان ، ولا نعلم ان ديانة من الديانات الكبرى التى يؤمن بها ابناء الحضارة عرضت لتاريخ الخليقة غير الديانتين : البرهمية واليهودية . والديانة البرهمية لا تقدر عمر الكون او عمر الحياة بمقدار محدود من السنين ، لأنها تقول بالدورة الأبدية التى تتكرر فيها حياة الإنسان مع حياة الكون بغير اجل معروف فى البداية او النهاية . وعند البرهميين ان الكون فلك كبير ، يتم دورته المتكررة مرة كل ثلاثمائة وستين الف سنة ، وقد يزاد هذا المقدار او ينقص فى تفسيراتهم الدينية على حسب المقادير المضاعفة عندهم للدورة الشمسية ، وهى عندهم مثل صغير للدورة الكونية الكبرى ، وكلما انتهت دورة بدات دورة اخرى من دورات الوجود السرمدى عودا على بدء الى غير انتهاء . اما المصادر اليهودية ، فهى على حسب تحقيق الفقيه الكبير « جيمس يوشر » المتوفى سنة ١٩٥٦م ، تدل على ابتداء الخليقة فى (شهر اكتوبر سنة ٤٠٠٤ ق.م) . كذلك فليس فى الاسلام ما يشير الى تحديد زمن معين معروف ينتهى به الكون وتنتهى به البشرية « يسألونك عن الساعة أيان مرساها ؟ فيم انت من ذكراها ، الى ربك منتهاها . إنما انت منذر من يخشاها . كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها » . وعلى هذا فبداية التاريخ الزمنية وكذلك منتهاه أمر مسكوت عنه فى الإسلام ويقع علمهما ضمن علم الغيب الذى يختص به الله تعالى وحده ، غير اننا نلاحظ ان التاريخ الإنسانى فى إطار النظرة الإسلامية ينقسم الى وحدات يطلق عليها القرآن الكريم اسم (الأمم) أو (الأقوام) أو (الشعوب) ويقرر أن تقدمها وتدهورها إنما يستند أساسا على إيمانها بالله وطاعتها له ، حيث ترتبط مناشط هذه الأمم كلها بهذا الإيمان وما يترتب عليه من قيم ، وبحيث أن فساده يؤدى بالضرورة الى فساد هذه القيم ومن ثم الى تدهور الأمة . والقرآن يقرر أن الأمم مربوطة بأعمار معينة لم يُبيِّن عددها ، ولذلك فان لها آجالا « ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

« ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون » . وهذا يقودنا الى القول بأن بقاء الأمم على مسرح التاريخ ليس ازليا بقدر ما هو محكوم بزمن معين ومشروط بنهاية . كذلك يقرر القرآن الكريم أن تقدم الأمة ورقيها وتغيير اوضاعها يعتمد بالدرجة الأولى على إرادة افراد هذه الأمة « إن الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، وهذا الربط بين مصير الأمة وإرادتها يفسِّر ما سبق من أن لكل أمة اجل ، حيث أن فساد الإرادة سيؤدى بالضرورة الى تدهور الأمة . وإن هذه الحقيقة تتمتع بالثبات من حيث سريانها على النشاط الإنسانى الذى لا يمكن أن يخرج بحال من حيث هوفعل قيمى عن دائرة الخير او دائرة الشر ، والحرية متروكة للأمة فى وضع عملها ضمن اية واحدة من هاتين الدائرتين ، وإن إنقاذ البشرية من مصائرها السود يعتمد على تدخل العناية الالهية وتتمثل هذه العناية ببعث الرسل والأنبياء كل بلغة قومه . والاسلام يختم النبوة بنبوة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، حيث يعتبر نفسه آخر دين جاء الى البشرية وانه صالح لذلك لكل زمان ومكان ، فمن شأنه اصلاح البشرية جمعاء على أساس ما فيه من تعاليم سماوية .



التكرار في قصص القرآن

عبد الكريم الخطيب

— ١ —

التكرار فى القصص القرآنى ظاهرة واضحة ، لافتة للنظر ، وداعية لكثير من التساؤل ، والبحث عن بواعث هذا التكرار ، وآثاره فى الحفاظ على وحدة الشخصية ، وترابط الحدث ..

وقد وجد أصحاب الأهواء ، ومرضى القلوب والعقول ، من الملحدين ، والشانئين للاسلام — وجدوا فى هذا التكرار مدخلا ملتويا يدخلون منه على هذا الدين ، للطعن فى القرآن الكريم ، والنيل من بلاغته واعجازه ، وليقولوا ان هذا التكرار قد أدخل الاضطراب فى مسار الاحداث ، وقطع أوصال الوحدة العضوية بين أجزائها ، فجاء بها أشلاء ممزقة ، لا يدرى أحد أين موضع الرأس أو القدم فيها .. ثم يخلصون من هذا الى القول بان أسلوب القرآن ليس على هذا المستوى البلاغى الرفيع الذى يتسع للدعوى التى يدعيها المسلمون له ، وانه معجز ، وانه منزل من السماء .. ثم يتمادى هؤلاء الملحدون فى هذا الضلال ، فيقولون : ان هذا التكرار انما هو اثر من آثار تلك الاحوال النفسية التى كانت تنتاب محمدا ، فتخرج به عن وعيه ، وتفقده صوابه ، فيلقى بهذه الكلمات التى ينطق بها فى تلك الحال ، مرددة مقطعة ، كما يقع هذا للمحمومين والمصروعين .. ((كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا)) ..

ان الذين يقولون هذا الزور من القول ، أو يحكونه عن غيرهم ، هم اعاجم، أو اشـــباه أعاجم ، لم يذوقوا البلاغـــة العربية ، ولم يتصلوا بأسرارها ، ولو انهم رزقوا شيئاً من هذا ، لما طاوعتهم ألسنتهم ان ينطقوا بهذا البهتان العظيم، ولردهم شيء من الحيـــــاء أن يقولوا قولا لم تجرؤ قريش في موقفها العدائي المنادي من النبي أن تتلفظ به ، أو تجريه على لسانها ، حتى على ســـــــبيل المهاترة والمجازفة ، وهي تتربص بالنبي ، وتتصـــيد التهم والمفتريات تـــرمى بها في معركتها مع القرآن الكريم ، الامر الذى لو وجدت فيه الزور من القول مكانا لألقت به في المعركة ، غير متورعة لما ينالها من خزى ، وما تلحقها من فضيحة .. ولكن هذا الزور الذى يقول به الملحدون عن التكرار في القصص القرآني ، اعيـــا قريشـــا أن تمسك به ، وأن تواجه به هذا الحـــق المشرق المبـــين .. !

واذا لم يكن لقريش ، أن تقول مثل هذا القول ، وأن تجعل منه ســـلاحا في معركتها مع القرآن ، وهي مرجع الفصاحة والبلاغة ، واليها الحكومة في فصيح القـــــول وبليغـــــه ـــ فكيف يســـــاغ هذا القول من أعاجم ، وأشباه أعـــــاجم .. ؟

ـ ٢ ـ

وانه لداء قديم هذا التحـــكك بالقرآن الـــكريم ، والطعن في بلاغته ، واتخاذ التكرار في قصصه شاهدا على أن هذا القرآن ليس من عند الله ، اذ لو كان من عند الله لما لبست القصـــة الواحدة فيه هـــذه الاثواب الكثـــيرة المختلفة الالوان والاشكال ، ولجاءت لونا واحدا . وصورة واحدة ، لانها تحكي حقيقة واحدة .. أما وقد جاءت معظم قصص القرآن في أكثر من صورة متعددة الالوان والاشكال ، كما في قصة موسى الذى جـــاء ذكره في القرآن في أكثر من مائة وعشرين موضعا ـــ فان ذلك يقطع ـــ عند هؤلاء الملحدين ـــ بأن هذا القصص ، والقرآن الذى حمله ، هو من صنع بشر ، يتصيد الاخبار ، وكلمـــا وقع له خبر تحدث به !! هكذا كان يقول الملحدون قديما ، وهكذا يردد المستشرقون وتلاميذ المستشرقين هذه المطاعن اليوم ، ويخلعون عليها من معارف العصر ، وطرائق البحث ألوانا خادعة ، تترقرق كما يترقرق السراب ، يحسبه الظمآن مـــاء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد زيفـــــا ، وضـــلالا ، وحقـــدا ، وموجدة .. !

ـ ٣ ـ

وقـــد تولى السلف الكريم من علمائنا ـــ رضوان الله عليهم ـــ دفع هـــذا الزور من القول ، ودفع اهله ، والباسهم ثوب الخزى والخسران .. وكـــانت أسلحتهم التي دخلوا بها في حربهم مع هؤلاء الملحدين ، قادرة على تحطيم كل ما رمي به الاعداء من سلاح في وجه المسلمين ، وفي افترائهم على كتاب الله .. اذ كان لكل عصر وسائله وأسلحته في الصراع بين الحق والباطل ، وفي الحرب بين المحقين والمبطلين .. فاذا نظرنا في مقولات السلف الكريم من علمائنا ، تلك المقولات التي دفعوا بها هذه المفتريات التي تفترى على كتاب الله ، ثم رأينا في هذه المقولات شيئا من القصور ـــ فان الحق يقتضينا أن نزن هذه المقولات بميزان

عصرها — لا عصرنا — وان نقابلها بمقولات متحدى زمنهم — لا زمننا — وعندئذ نرى أن علماءنا قد أبلوا فأحسنوا البـــلاء ، وجاهدوا فصدقوا الجهاد ، حتى كان لهم الغلب ، وكان لهم النصر ! ! فرضى الله تعالـى عنهم ، وأجـــزل المثوبة لهم ..

وانه لا بأس هنـا من أن نعرض بعضا من مقولات بعض أولئك الائمة ، فى مقـام الدفاع عن قضية التكرار فى القصص القرآنى ، كنموذج تتضح منه صورة من صور هذا الصراع المتصل بين القرآن الكريم ، وبين الملحـــدين والشـــانئين ..

فهذا أبو بكر الباقلانى يقول فى كتابه : « اعجاز القرآن » ، ردا على من يطعنون على مافى القرآن الكريم من تكرار :

« ان اعادة القصـة الواحدة ، بألفاظ مختلفة تؤدى معنى واحدا — من الامر الصعب الذى تظهر فيه الفصاحة ، وتتبين البلاغة » .

يريد« الباقلانى » بهذا أن يقول : ان عرض المعنى الواحد بأســـاليب مختلفة من القول ، دون ان يتغير جوهر حقيقته ، ودون ان يضعف أو يسف أسلوب عرضه ، هو من العسير الذى لا يقدر عليه الا من كان ذا ملكة بيانية عالية ، وذا اقتدار متمكن على امتلاك أعنة البلاغة ، وذلك فى حدود لونين ، أو ثلاثة من ألوان العرض .. فاذا جاوز هذا الحد ، اضطرب الأسلوب ، وبهتت المعانى .. ألا أن يكون ذلك من تدبير الحكيم العليم ، رب العالمين ، الذى لا تحد قدرته ، ولا يحصر علمه ، ولاتنفد كلماته ..

ثم يقول « الباقلانى » تعقيبا على ما سبق من قوله :

« وأعيد كثير من القصص — القرآنى — فى مواضع مختلفة ، على ترتيبات متفاوتة ، ونبهوا — أى العرب — بذلك على عجزهم عن الاتيان بمثله ، مبتدأ ومكـــررا » ..

ويريد « الباقلانى » بهذا أن يقرر أن من صور التحدى الذى عجز عنـــه العرب ازاء القرآن — عرض القصة الواحدة عرضا متفاوتا بين الطول والقصر ، والاطناب والايجاز ، والبسط والقبض ، فوسع بهذا على العرب مجـــال المعارضة والمحاكاة ، ويسر عليهم سبيل التحدى وأغراهم به ، فلم يكن منهم الا العجز ، والاستخذاء !

وهذا الامام « الزركشى » يقول فى كتابه « البرهان فى علوم القرآن » :

« ومنه — أى من التكرار — تكرار القصص فى القرآن ، كقصة « ابليس » فى السجود لآدم ، وقصـة موسى وغيره من الانبياء .. قال بعض العلماء : « ذكر الله موسى فى القرآن فى مائة وعشرين موضعا » ..

ثم يكشف « الزركشى » عن وجوه لبعض أسرار هذا التكرار ، فيقول :

« وانما كررها — أى القصة — لفائدة خلت عنها فى الموضع الآخـر ، وهى أمـور :

أحدها أنه — أى القرآن — اذا كرر القصة زاد فيها شيئا .. الا تـرى أنه ذكر الحيـــة فى عصـــا موسى ، وذكرها فى موضع آخـر ثعبانا ؟ (ونقول : وذكرها فى موضع ثالث « كأنها جـان ») ..

ثانيها : ان ابراز الكلام الواحد فى فنون كثيرة ، وأساليب مختلفة — لا يخفى ما فيه من الفصاحة ..

ثالثها : ان الله سبحانه وتعـــالى أنزل هذا القرآن ، وعجز القوم

عن الاتيان بمثل آية ، لصحة نبوة (محمد) صلى الله عليه وسلم .. ثم بين وأوضح الامر فى عجزهم بأن كرر القصة فى مواضع ، اعلاما بأنهم عاجزون عن الاتيان بمثله ، بأى نظم جاءوا ، وبأى عبارة عبروا » ..

وهـــذا القول الاخير الذى يقوله الزركشى ، يتفق مع قول الباقلانـــى ، من أن داعية التكرار ، هى امـــاء العرب فى أكثر من ميدان من ميادين التحدى بمبسوط القول ومقبوضه ، وحقيقته ومجازه .. وهذا مما يقطع بعجزهم ، ويدخل اليأس عليهم من أن يقولوا بعد هذا مثل قولهم الذى ذكره القرآن عنهم : « لو نشاء لقلنا مثل هذا ، أن هذا الا أساطير الاولين » ..

ونجـــد أبا بكر الصولى ، فى كتابه : « أدب الكاتب » يعلل للتكرار فى القصص القرآنى ، بعلة أخرى غير التحدى ، فيقول : « ولأن الانسان قد يقرأ بعض القرآن ، ويحفظ شيئا منه دون شىء ، فلم يخل الله عز وجل موضعا منه من ترغيب أو ترهيب ، وادكار واعتبار ، تفضلا منه على عباده ، واستدعاء لطاعتهم ، ونهيا عن عصيانهم ، فوقع التكرار لذلك ! » ..

— ٤ —

هـــذه بعض لمحـــات من نظر الاقدمين الى ظاهرة التكرار فى القصص القرآنى ، وهى فى جملتها كافية فى الرد على من يقفون موقف التساؤل والطلب لمعرفة وجـــه الحق فى هذا التكرار ، وما يحمل من أسرار ، سواء اكان طالبو هذا الحق من أتباع القرآن او من غير اتباعه ..

أما حين يخرج الامر عن هذا المجال ، الى المماحكة والجدل ، والى اثـــارة البلبلة والاضطراب ، بهذا الكيـــد الخبيث الذى يكيد به علماء تخصصوا فى التغرير بالعامة ، وأشباه العامة من شباب المسلمين ، وشيوخهم — فان مثل هذه المقولات لا تقوى على دفع هذه الحملات القوية المنظمة التى تثير مثـــل هذا الغبـــار الذى يحجب الرؤية الصحيحة عن الحق الذى يغمر الوجـــود بضوئه ، فتعمى لذلك أبصـــار وتزيغ قلوب ، وتضل عقول .. !

أتريد شاهدا لهـــذا ؟

منذ أكثر من ربع قرن ثارت ضجة كبيرة فى الاوساط العلمية والدينية ، حـــول رسالة جامعية ، تقدم بها صاحبها لنيل الدكتوراه فى الادب من كلية الآداب ، بجامعة فؤاد الاول (جامعة القاهرة الآن) وكان عنوان الرســــالة وموضوعها : « القصص الفنى فى القرآن » .. وقد منح صاحبها درجـــــة الدكتـــــوراه !! ..

وليس غرضنا من اثارة هذا الموضوع الان الا الاستشهاد لما اشرنا اليه من قبل ، من هذا الكيـــد العظيم ، الذين يكيد به أصحاب النـــوايا السيئة من المستشرقين للاسلام واصابته فى صميمه بالتشكيك فى القرآن الكــــــريم ، الذى هو دستور هذا الدين عقيدة وشريعة ، والذى ان وقع شك فى كلمة أو آية منه ، انهار بنيانه ، وتداعت أركانه ، وضاعت الثقة به ، والاطمئنان اليه ، وزايلته تلك القداسة التى تمسك به فى مواطن الايمان من القلوب .. فاذا كان هذا الكيد قد استطاع ان يغرر بعقول اصحاب الدرجات العلمية العالية ، ويقيمهم هذا المقام الزائغ المنحرف مع كتاب الله ، فكيف يبلغ الامر مع ناشئة المثقفين ؟ وكيف تنتهى الحال بالعامة وأشباه العامة ؟

واستمع الى قول الاستاذ المشرف على الرسالة — رحمه الله ، وعفـــا عنـــه — استمع اليه وهويقدم لهذه الرسالة بقوله : « وبهذا التفريق بـــين العرضين — الفنى والتـــاريخى — للحادثة والواقعة ، تبين فى وضـــوح أن

عرض القرآن لاحداث الماضين ووقائع حياتهم ، والحديث عن تلك الاحداث والاشخاص ليس الا العرض الفنى الادبى ، لا العرض التاريخى التحقيقى !! »..

ثم يمضى الاستاذ المشرف لتبرير هذا الرأى وتأكيده ، فيقول : « وفى العرض الاول — أى العرض الفنى — قصد القرآن الى الاخلال الواضح بمقومات العرض الثانى — أى التاريخى — فأغفل قصــدا تحديد الزمان ، وذكر المكان ، وتسمية الاشخاص ، والتعريف المعتاد بمن قد يذكر أسماءهم من هــــؤلاء الاشــــخاص !! » ..

وهذا قول صريح لا مواربة فيه ، بأن القرآن ، لكى يلبس قصصه الثوب الفنى ، ويبلغ به مستوى الفن — قد عبث عن قصــد بالحقائق ، فغير مــن صورها ، وبدل من أشكالها ، تماما كما يفعل أى أديب فى تلوينه للحقائق ، وصبغها بأصباغ الخيال ، حتى يسوى منها عملا فنيا ، يثير الخيال ، ويحرك المشــــاعر !! ..

ونحن لا ننكر على القرآن ، ولا على قصص القرآن ان يلبس ثوب الفن .. فما الفن الا الجمال ، والبهــاء ، والجلال ، اذا صدر عن طبع أصيل ، وخرج من يــد صــــناع .. والقرآن الكريم محمل كل جمال ، وجلال ، وبهاء ..

ولكن الذى ننكره هو ان يكون مصدر ما فى القرآن من جمال ، وبهــاء وجلال ، نابعا من غير منابع الحق المصفى ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. كما يقرر ذلك القرآن نفسه فى قوله تعالى : « وبالحق أنزلنــــاه وبالحق نزل » !

ولا ندرى كيف يقرأ مسلم هذه الآية الكريمة ، ثم يجد مساغا لصرف مثل هذا القول الذى يقوله الاستاذ المشرف على الرسالة ، عن صريح منطوقه ، اذ يقول : « وعلى هذا الاساس ، يستطيع المثقف الراقى حين يتدين ان يعتقد فى تسليم مطمئن بحديث القرآن الفنى فى قصصه ، ومع ذلك يحق ويحلل فى عمق ووضــــوح تاريخ هاتيــك الاحداث وأشخاص أصحابها ، وينفى فى ذلك ويثبت مطمئنا الى أن هذا لا يصــــادم بحال ما ذلكم العرض الفنى الآخر ، وأن هذا العرض الفنى مهما يقل التاريخ فى أحداثه لن يمس سلامة القرآن وصدقه !! »..

وأعجب ما فى هذا القول تلك العبارة التى يجعل منها الاستاذ المشرف، التدين أمرا عارضا عند المثقف الراقى ، وأنه فى حل من ان يتدين ، أو لا يتدين ، كأن التدين ليس دينـــا ، وليس عقيدة ، وانما هو مزاج شخصى ، وهــــوى ذاتى !! ..

هــــذا بعض ما يقوله الاستاذ المشرف على رسالة : « الفن القصصى فى القرآن » .. أما ما يقوله صاحب الرسالة ، فهو أعجب وأغرب ، وأجرأ فــى التهجم على القرآن ، وعلى صدق ما يقص من أخبار وأنباء ..

ولا يتسع المجال هنـــا لعرض مافى هذه الرسالة من اتهام صريح ، وشك مريب فى صحة القرآن ، وتنزهه عن اللغـــــو والباطل ، ويكفى أن نقف عند جزئية ، عرض لها صاحب الرسالة ، فى أول رسالته ، وهو يتساءل منكرا عن السر فى هذا التناقض فى قصص القرآن ، وفى تكراره للحدث القصصى فى صـــور مختلفة متباينة .. يقول الدكتور صاحب الرسالة :

« ســـؤال ســـاله العقل الاسلامى نفسه ، فيما يخص هذا التكرار ،

وهـــو أنه على فرض قدرته على الوقوف على الاسرار التى من أجلها كان هذا التكرار ـــ فلماذا هذا الاختلاف ؟ لماذا اختلف ايراد القصة الواحدة فى موطن عنه فى آخـــر ؟

ثم يعرض صاحب الرسالة امثلة لهذا الاختلاف ، فيقول ، متســـائلا فى اســـتنكار :

((لماذا اختلف وصف القرآن لموقف موسى من ربه ، فى سورة طه عنه فى غيره من السور ، مع ان الموقف واحد ، والحادثة واحدة .. ؟ لماذا قال القرآن فى سورة طه : ((وهل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا ، انى آنست نارا ، لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما اتاها نودى يا موسى انى أنا ربك ، فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى ، وانا اخترتك فاستمع لما يوحى ، اننى أنا الله لا اله الا انا ، فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى ، ان الساعة آتية اكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ، وما تلك بيمينك يا موسى ، قال هى عصاى اتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيهـــا مآرب اخرى ، قال القها يا موسى ، فالقاها فاذا هى حية تســـــعى ، قال خذها ولا تخف ســـنعيدها سيرتها الاولى ، واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير ســـوء آية اخرى ، لنريك من آياتنا الكبرى ، اذهب الى فرعون انه طغى)) ..

((ولماذا قال فى سورة النمل عن هذه الحادثة والموقف : ((اذ قال موسى لأهله انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر ، أو آتيكم بشـــــهاب قبس لعلكم تصطلون ، فلما جاءها نودى ان بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ، يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم ، والق عصاك فلما رآهـــا تهتز كأنها جـــان ولى مدبرا ولم يعقب ، يا موسى لا تخف ، انى لا يخاف لدى المرسلون ، الا من ظلم ، ثم بدل حسنا بعد ســـوء ، فانى غفور رحيم ، وادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين)) ..

((ولماذا قال فى سورة القصص غير هذين ؟

((ان الموقف واحد ، وان الحادثة واحدة ، ولكن الوصف مختلف ، والحوار غير الحوار ، وحديث الرب العلى مع موسى النبى فى موطن غيره فى آخر ؟؟))
(الفن القصصى فى القرآن : ص ٣٣) ..

ماذا يريد الدكتور ـــ صاحب الرسالة الجامعية ـــ ان يقول ؟ إتهام للرب العلى بأنه ينسى ما قال ، حتى اذا عاد لذكر ما قاله اولا اختلط عليـــــه الامر ، فترك بعض ما كان قد ذكره ، وجاء بجديد لم يذكره ؟ سبحانك ربى هـــــذا بهتـــان عظيم ! ..

ولا ندرى لحساب من هذا الاجتراء ، والافتراء على الله وعلى كتـــابه الكريم ؟ الحساب الفن ينزل القرآن الكريم من سموات العلا ويوضع فى كفة ميزان ((الفن القصصى)) كما تصوره صاحب الرسالة ، وكما تمثل مثله الاعلى فى قصص (ارسين لوبين) ومن اليه ؟ أم لحساب الشهـــرة عن طريق لفت الانظـــار ولو كان بالخروج على الناس بلا ثوب يستر العورة ؟

— ٥ —

وندع هـــذا .. لنقف بين يدى هذه الآيات ، التى خاطب فيها ((الرب)) ((العلى)) موسى ، فى ثلاث سور من القرآن الكريم ، ولنشهد من آيات اعجازها

ما يملأ الدنيا جـلالا ، وروعـة ، وخشـوعا ، تتخاضع له أعناق البلغاء ، وتعنو له جبـاه أرباب الفن فى كل مجال من مجالات الفنون ..

وننظر فنرى أن الحادثة التى ذكرها القرآن فى المواضع الثلاثة ، والتى قدمها صاحب الرسالة مستشهدا بها على ما يدعيه من أن القرآن الكريم ، لا يلتزم الصدق فى عرض قصصه ، ليحقق بذلك غرضا فنيا ، وليعطى الصورة الفنية حقها من الفن ، ولو على حساب الواقع ، وتجاوز الصدق فيـه الى التخييل والايهام ــ ننظر فى هذه الحادثة ، فنرى أنها تتضمن خمسة عناصر :

(١) موسى فى طريق عودته من أرض مدين الى مصر ، وقـد بلغ الطـور ، ومعه أهله ، وقد رأى نارا موقدة ..

(٢) طلبه الى أهله ان يمكثوا حيث هم ، وأن يذهب هـو الى حيث رأى تلك النـار ..

(٣) غايته من الذهاب الى حيث رأى النـار ..

(٤) نـداء الله تعالى له عند دنوه من النار .. واخباره بانه رسول الله المرسل الى فرعون ..

(٥) المعجزة أو المعجزات التى وضعها الله تعالى فى يد موسى ليحاج بهـا فرعـون ..

وليس يتسع المقام هنا لعرض هذه العنـاصر جميعها ، وما تحدثت به السـور الثلاث عن كل عنصر منها ، وما بينها من اختلاف لفظى ، وما وراء هذا الاختلاف من أسرار ..

ويكفى أن ننظر فى أى من هذه العناصر ، وما يقال فيه ينسحب عليهـا جميعا .. وليكن هذا العنصر هو ما تحدث به موسى الى أهله حين رأى النار ..

ففى سورة ((طـه)) : ((وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا ، انى آنست نارا ، لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى)) ..

وفى سورة ((النمل)) : ((وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ، اذ قال موسى لأهله انى آنست نارا ، سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون)) ..

وفى سورة ((القصص)) : ((فلما قضى موسى الاجل ، وسار باهله ، آنس من جانب الطور نارا ، قال لأهله امكثوا انى آنست نارا ، لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون)) ..

والذى يلاحظ فى هذه المعارض الثلاثة :

أولا : أن المقطع الاول من مقول القول ، قد جاء على صورة واحدة فى السور الثلاث(١) : ((امكثوا .. انى آنست نارا)) .. وهو قول واحد التزم به موسى ، وكرره ثلاث مرات ، حتى لا يتحول أهله عن مكانهم الذى هم فيه ، وحتى لا تنزع بهم نازعة الى مرافقته نحو تلك الوجهة التى يقصدها ، والتى لا يدرى على وجه التحديد ماذا يطلع عليه منها ، فى ظلمة هذا الليل الجاثم على صدر الصحراء المخيف .. ففى تكرار هذا المقطع تحذير لأهله أن يبرحوا مكانهم حتى يعود اليهم ..

ثم ان فى ترديد هذا المقطع من مقول القول ثلاث مرات ، ما يشير الى تلك الوحشة التى كانت تلف موسى واهله فى هذا المكان الذى لا انيس فيه ، ولا حس لانسان هنا أو هناك .. فلما رأى النار ايقن أن عندها من أوقدها ، واذن فهناك من الناس من يذهب بتلك الوحشـة ، ويخفف وطاة هذه العزلة الخـانقة .. ففى ترداد هذا القول : ((امكثوا .. انى آنست نارا)) تعبير

---

(١) الوعى : لنظرة امكثوا لم يرد فـى آيـة((النمل)) وورد فى ((طه)) و ((القصص)) .

عن تلك الفرحـــة التي غمرت قلبه ، وهزت مشاعره ، فارسلها على لسانه كلمات مرددة مهتاجة ، وكأنها حراب يطعن بها فى صدر الوحشة الهاجمـــة عليه وعلى أهله !! ..

ومن اعجاز القرآن الكريم فى هذا انه وزع هذه الكلمات المرددة ثـلاث مرات على ثلاثة مشاهد فى ثلاث سور ، متباعدة زمانا ومكانا .. فاذا قرأها قارىء ، او سمعها سامع فى ســورة ، أجزأه ذلك ، ووقع له علم بالواقعة التى حدثت .. ثم اذا قرأها أو استمع اليها فى السورتين الاخريين ، تأكد له هذا العلم الذى علمه من قبل ، ثم اذا سأل نفسه لم هذا التكرار ؟ جاءه الجواب من عالم الحق ، بأن ذلك هـــو الواقع مفصلا ، بعد أن ذكر فى كل مـــرة مجمـــلا !! ..

ثانيا : المقطع الثانى من مقول القول ، وهو قول موسى : ((لعلى آتيكم منها بقبس أو اجد على النار هدى)) ..

هذا المقطع قد ذكر فى السور الثلاث هكذا :

فى سورة طه : ((لعلى آتيكم منها بقبس أو اجد على النار هدى)) ..

وفى سورة النمل : سآتيكم منا بخبر أو آتيكـم بشـهاب قبس لعـلكم تصطلون)) ..

وفى سورة القصص : ((لعلى آتيكم منها بخبر ، أو جذوة من النار لعلكم تصطلون)) ..

وترتيب السور الثلاث فى المصحف الشريف ، هو على هـذا النحو ، طــه ، فالنمل ، فالقصص .. واذا كان هناك اختلاف بين العلماء ، فى ترتيب السور على ما هو عليه فى المصحف ، وهل هو توقيفى ، أم اجتهادى من عمل الصحابة ــ فان الذى نرجحه ، ونكاد نقطع به انه توقيفى ، وشاهد هذا هو ما بين السور من ترابط وتناسب ، وخاصة ما بين خاتمة كل سورة ، وبـدء السورة التى بعدها ، حيث تتعانق السورتان ، بحيث يمكن وصلهما قراءة من غير أن يفصل بينهما بالبسملة ، كما تتصل الآية بالآية فى السورة الواحدة..

وقد كان من منهجنا فى كتابنا : ((التفسير القرآنى للقرآن)) دراسة هذه الظاهرة ، ونصب الشواهد لها ، مما جعلنا نقطع بأن ترتيب السور فى المصحف الشريف هو توقيفى ، كترتيب الآيات فى سورها ..

نقول هـذا لنقرر أن هـذا المقطع الذى أشرنا اليه آنفا ، هــو ثلاث مقولات لموسى ، جاءت واحدة بعد أخرى على هذا الترتيب .. مافى سورة طه اولا ، ثم مافى سورة النمل ثانيا ، ثم مافى سورة القصص اخيرا ..

وننظر فى وجــه هــذه المقولات ، فنرى أن موسى ــ عليه السلام ــ حين رأى النــار ، جعل يردد هذا القول مخاطبا به أهله :

((امكثوا .. انى آنست نارا .. امكثوا انى آنست نارا .. امكثوا .. انى آنست نارا)) .. ثم انطلق مسرعا نحو موقد النار ، وهو يلقى الى اهله بما يفتح لهم به باب الامل والرجاء ، فيما سيحمل اليهم من خير من انطلاقــه نحو تلك النــار ، وعودته اليهم منها .. وهنا تتزاحم الكلمات على لسانه ، وقــد اطلقها من مشاعره المهتاجة المائجة بكثير من الخواطر والتصورات :

((لعلى آتيكم منها بقبس أو اجد على النار هدى)) .. ســآتيكم منها بخبر ، أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون)) ..

((لعلى آتيكم منها بخبر ، او جذوة من النار لعلكم تصطلون)) ..
فالمطلوب هنا من وراء هذه الانطلاقة نحو مصدر النار ، هو أمران : الاتيان بجذوة من النار ، ليوقدوا منها نارا يستدفئون بها ، أو يهيئون بها طعاما ، ثم الحصول على بعض الاخبار عند من أوقدوا تلك النار ، يعلم منها موسى وأهله أين هم من الطريق الى مصر ؟ وكم مرحله بينهم وبينها ؟ واين مواقع الماء على هذا الطريق ؟ وأين ، وأين .. الى كثير من الامور التى يطلب العلم بها من يقطع طريقا كهذا الطريق منفردا مع أهله ! ..
ويبدأ موسى هذا المقطع من قوله مصدرا بحرف الرجاء ((لعل)) .. ((لعلى آتيكم)) .. ثم يضرب على هذا الرجاء الذى يطفىء جذوة الامل التى اشتعلت في صدره ، فيلقى بالخبر على سبيل القطع : (سآتيكم) .. ثم يبدو له أن هذا القطع ليس له ما يبرره ، لانه لا يدرى من هناك على تلك النار .. الا يجوز أن يكونوا قطاع طرق، ويكون سعيه هذا اليهم منبها لهم على وجوده، فيقع هو وأهله وما معه صيدا فى شباكهم ؟ وهنا يكون أكبر أمله أن يعود الى أهله بخبر ما : ((لعلى آتيكم منها بخبر)) ..
وهكذا نجد موسى فى هذا الموقف ، بين أمل ويأس ، ورجاء وخوف ، تتنازعه الخواطر ، وتتغاير بين عينيه صور هذا المجهول الذى يلقى بنفسه بين يديه .. ثم نراه مرة يقدم أحد المطلوبين على الآخر ، ثم يعود فيؤخر ما قدم ، ويقدم ما أخر .. ففى حديثه الاول يقدم القبس على ما يجد على النار من هدى لان النار كانت أظهر مطلوب له ، لانها الدليل الى من يجد عندهم هدى يعينه على الرحلة .. ثم اذا تمثل له المشهد كله ، وانه سيلتقى عند النار ببعض الناس داخله الشك والخوف من جهتهم ، لأنه لا يدرى ما يكون من موقفهم منه حين يلقاهم ، وهو لهذا يجعل همه أولا متجها اليهم ، فيقول : ((سآتيكم منها بخبر)) .. ثم يرد هذا القطع بما سيأتى به ، ويجعله مجرد امل ورجاء : ((لعلى آتيكم منها بخبر)) وهذا الموقف الشاك المتردد ، الذى يقفه موسى ممن هم على النار ، هو نفسه الموقف الذى يقفه من النار ذاتها، وما يحصل عليه منها ؟ انه فى حال بين الرجاء واليأس ، واليقين والشك .. فهو على حين يرجو أن يأتى أهله منها بقبس — وهو القليل منها — ((لعلى آتيكم منها بقبس)) — يطلع عليه خاطر يقوى هذا الرجاء عنده ، فاذا هذا القبس قد بدا له شهابا ، ساطعا ، يبدد ظلمة هذا الليل البهيم : ((سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون)) ثم لا يلبث ان يرد عنه هذا الخاطر المسعد ، بما يطلع عليه من مخاوف يولدها هذا المجهول الذى هو مقدم عليه : ((لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون)) .. لقد تضاءل هذا الشهاب القبس ، فاصبح جذوة ، أى قطعة من الجمر ..

— ٦ —

فقل لى بربك ، الا تجد انك بين يدى هذا التكرار فى مواجهة معجزات قاهرة تطلع عليه من كل حرف ، وكل كلمة من هذا العقد النظيم ، من جوهر الحق المبين ، كلام الله رب العالمين ؟
وقل لى بربك ، أفى كلام البشر — فى اعلى مستوياته من البلاغة والفصاحة — ما يستطيع ان يرصد احوال النفس ، ومسارب الخاطر ، على نحو مقارب من هذا النظم القرآنى ؟
وقل لى بربك لو انه كان مما يقع فى مقدور البشر من رصد احوال النفس ، ومسارب الخاطر على هذا النحو — اكان مما يقع فى تقدير أحد من

أرباب فن القول أن يعمد الى تلك المشاعر ، وهذه الخواطر فيوزعها هـذا التوزيع فى ثلاثة مواقف متباعدة ـ زمانا ومكانا ـ فيلقاك منها فى كل مرة الوجود الكامل للانسان ، وما تلبس به من حال ، وان طلع عليك فى كل مرة بتعبير جديد يظهر على ملامح وجهه من انفعالات تلك الحال المتلبسة به .. ؟
ان غاية ما يبلغه تدبير البلغـاء فى تلك الحال أن يجتزىء بملمح واحد من تلك الملامح ، حتى يتجنب التكرار الذى يجور على البلاغة ، أو يجمع هـذه الملامح والانفعالات فى صور مكررة من النظم ، فتتراكب ألوان الصورة ، وتتدافع ، ويلطم بعضها وجه بعض !!

هذا ، ولك أن ترتب هذه السور القرآنية الثلاث على جميع الوجوه ، فتقدم ، وتؤخر فيها كما تشاء ، غير ملتزم الاخذ بما ذهبنا اليه من قبل من أن هذا الترتيب توقيفى ، وانك لواجد فى أى ترتيب تقيم السور الثلاث عليه ، هذا الاعجاز المبين من آيات الله وكلماته !

وهكذا نجد التكرار الذى يحدث فى بعض مشاهد القصة القرآنية ،يؤدى وظيفة حيوية فى ابراز جوانب لا يمكن ابرازها بادائها على وجه واحـد من وجوه التعبير ، بل لا بد أن تعاد « اللقطة » التعبيرية ، مرة ، ومرة ، لكى تحمل فى كل مرة بعضا من مشخصات الحدث ، وملمحا من ملامحه ، وان كان كل « لقطة » تعطى صورة مقاربة للحدث ..

ولنـا أن نشبه هذا التكرار ـ على بعد ما بين المشبـه والمشبه به ـ بالتصوير « الفتوغرافى » والتصوير « السينمائى » أو « التليفزيونى » .. ففى التصوير « الفتوغرافى » نرى الصورة الواحدة يمكن أن تصور الحدث كله ، وتتناوله من جميع أبعاده ، سواء فى صورة مصغرة ، دون مساحـة الكف ، أو مكبرة اكبر من مساحة الحدث نفسه ..

ومع هـذا ، فان الصورة « الفتوغرافية » وان أعطت جميع مـلامح المشهد ، الا انها تحتاج الى مهارة ، وحذق ، ومعاناة ، للكشف عن مضمونها أو بعض مضمونها .. أما الصورة (السينمائية) ـ فلأنها تتشكل من مئات « اللقطات » لاية جزئية من جزئيات الحدث ـ فهى من أجل هذا قادرة على تشخيص الحدث ، ونقله كما هو صامتا ، أو ناطقا ، ساكنا أو متحركا ..

ان تكرار الاحداث فى القصص القرآنى ، هو اعجاز من اعجاز القرآن، تتجلى فيه روعـة الكلمة ، وجلالهـا ، بحيث لا يرى لها وجه فى اية لغـة ، وفى أية صورة من صور البيـان ، يقارب هذا الوجه الذى تظهر به ، فى آيات الله ، جلالا ، وروعة ، وسطوة .. !

وهل شهدت الحياة الانسانية فى قديمها وحديثها أن الكلمة تؤدى مايؤديه العمل « السينمائى » اليوم من نقل المشاهد بابعادها الثلاثة ـ طولهـا ، وعرضها ، وعمقها ، وبحركاتها ، وسكناتها ، ونطقها وصمتها ؟

واذا كان للناظر فى القصص القرآنى ، وفى ظاهرة التكرار الظاهرة فيه ـ اذا كان له أن يتخذ من كل من التصوير « الفتوغرافى » والتصـوير « السينمائى » شاهدا محسوسا يعينه على تصور مفهوم صحيح لهذا التكرار فى القصص القرآنى ـ فان له أن ينظر فى هذا التكرار بنظرتين معـا : نظرة فى مواجهة العمل « الفتوغرافى » ، ونظرة فى مقابلة العمـل السينمائى ..

فهو فى مواجهة العمل « الفتوغرافى » يرى الحدث الواحد وقد جـاء

هى عدة معارض ، تختلف فى شكلها ، وفى حيزها ، ولا تختلف فى محتواها ومضمونها .. كمن يلتقط عدة صور لانسان ما بعضها صغير ، وبعضها كبير ، وبعضها يصور الوجه وحده ، وبعضها يصور النصف العلوى ، وبعضها يصور هذا الانسان كله ، ثم بعضها يقتصر على اللونين الابيض والاسود ، وبعضها بالالوان الطبيعية .. وهكذا .. وكل صورة من هذه الصور — مع اختلافها شكلا — تحمل كل ملامح هذا الانسان ، وكل مشخصاته ، بحيث اذا نظر ناظر فى أية صورة منها ، قال عنها انها لفلان هذا الذى أعرفه !!

فاذا نظرنا فيما تكرر من أحداث القصص القرآنى رأينا فى تكرار الصورة « الفتوغرافية » واختلاف اشكالها وألوانها لهذا الشخص الذى ضربناه مثلا — رأينا فى هذا التكرار للصورة « الفتوغرافية » أكثر من وجه شبه بينه وبين التكرار فى القصص القرآنى ..

ولنضرب لهذا مثلا بقصة موسى عليه السلام ، التى كانت أكثر قصص القرآن تكرارا ..

وننظر فى أقصر صورة جاء بها القرآن لقصة موسى من مبعثه الى نهاية فرعون على يده .. وفى هذا يقول الله تعالى :

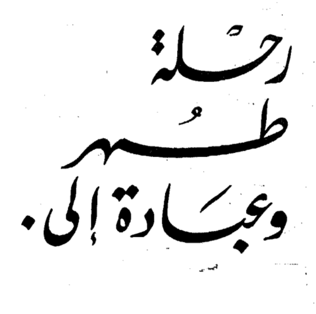
« هل أتاك حديث موسى ، اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ، اذهب الى فرعون انه طغى ، فقل هل لك الى أن تزكى ، وأهديك الى ربك فتخشى ، فأراه الآية الكبرى ، فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى ، فحشر فنادى ، فقال أنا ربكم الاعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والاولى ، ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى» (النازعات : ١٥ — ٢٦) ..

ان كل ملامح هذه القصة ، وكل مشخصاتها ظاهرة فى هذا الاطار المحدود من النظم القرآنى ، بحيث يقع لمن يقرأ هذه الآيات أو يسمعها ، علم كامل بأحداث القصة كلها ، وان غاب عنه بعض تفاصيلها التى لا تجور على المضمون ، ولا تنتقص شيئا من المحتوى ..

ثم انظر بعد هذا فيما جاء من تفصيل لهذا الاجمال فى سورة طه ، وفى الشعراء وفى الأعراف ، وفى القصص ، وفى يونس ، تجد ان أضواء كثيرة ألقيت على جوانب هذه الصورة المصغرة ، زادتها وضوحا ، وبيانا ، ولكنها لم تغير من وجهها شيئا .. مع أنها قد جاءت فى سورة طه فى خمس وستين آية (الآيات من ١١ الى ٧٦) وفى الاعراف فى اربع وثلاثين آية (الآيات : ١٠٢ — ١٣٦) وفى الشعراء فى ثمان وخمسين آية (الآيات : ١٠ — ٦٨) وفى القصص فى اثنتى عشرة آية (الآيات : ٣٠ — ٤٢) وفى يونس فى سبع عشرة آية (الآيات : ٧٥ — ٩٢) .. وهكذا تتعدد الصور طولا وقصرا ، دون ان تفقد واحدة منها شيئا من مضمون القصة ومحتواها .. وان كان فى كل صورة منها من الجزئيات ما ليس فى الاخرى ..

أما الذى ينظر الى هذا التكرار فى مواجهة العمل السينمائى ، فانه اذ يجمع هذه الصور بعضها الى بعض ، يرى الصورة وقد تجسدت ، وتحركت، كما تتجسد شخوص الاشياء وتتحرك فى الصورة السينمائية ، فيشهد الحدث من جميع جوانبه ، وبكل ابعاده ..

ذلك هو قصص القرآن ، وتلك هى بعض أسرار تكراره ، وان وراء ذلك لاسرارا واسرارا لا تنفد أبدا .. « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » ..



المسلمون في كل بقاع الأرض على موعد مع الحج الى البيت الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وامنا ، على موعد مع الطواف بأول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين ، على موعد مع السعى بين الصفا والمروة وهما من شعائر الله ، على موعد مع مناجاة ربهم وهم واقفون بجبل عرفات يدعونه ويستغفروه ، وهو سبحانه قريب مجيب ، على موعد مع شد الرحال لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة فى الروضة الشريفة والاستمتاع بريح هذا المكان الطاهر على موعد مع جهاد النفس ومقاومة ما فيها من رعونات فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، وإن جهاد النفس لأشد انواع الجهاد .

نعم المسلمون من مختلف الاجناس والبقاع والطبقات والثقافات على موعد للقاء فى هذه البقاع المقدسة والأماكن الطهرة يأتون اليها رجالا

مهد الوحي ومقر الرسول

للدكتور : محمد سلام مدكور

وركبانا وعلى كل ضامر ليشهدوا منافع لهم ويذكرون اسم الله وقد خلصت نواياهم وصفت نفوسهم وتطهروا من كل رجس ودنس جمعت بينهم كلمة الله ، واستجابوا لقوله جل شأنه : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » . فتسابقوا الى الحج فى رفق ، وتوافدوا عليه فى شوق ، وقد امتلأت نفوسهم بالايمان واجسامهم بالقوة والنشاط . او هكذا يشعر الشيخ المسن ومن به نوع مرض .

نعم يتحرك فيهم النشاط أو يتجدد لان رحلة الحج فيها حركة كثيرة وتنقل متتال ، وطواف وسعى وهرولة . عمل كله نشاط يجدد القوة ، ويبعث الهمة ، ويعود الانسان على الامتثال والصبر والطاعة ، والخشونة وتقوية العزيمة ، وغرس روح الجندية ، وتعويد الاعتماد على النفس ، وحط الرحال وسرعة الترحال ، وضبط النفس ، والتخلص من زخارف الدنيا ومتاعها وزينتها الى حين .

وما من شك أن رحلة الحج المباركة لأفضل واطهر واعز ما عرف الانسان من رحلات لما فيها من متع روحية ، وذكريات عزيزة تقوى الايمان وتشحذ الهمم وتصل الحاضر بالماضى البعيد اذ يطأ الواحد منهم الأرض التى وطأها المسلمون الاوائل ، ويمر بالبقاع التى مروا بها ، ويقطع المسافات التى قطعوها متخيلا مقدار

تحملهم لمشقة الطريق وقد كان غير ممهد ولا ميسر . فيدرك عن يقين أنهم فتية آمنوا بربهم فصنع الايمان في نفوسهم المعجزات وجعل منهم طاقة فعالة وقوة لا تقهر ، بعد أن كانوا اعداء فلما اعتصموا بحبل الله وحكموا كلمته فيهم أصبحوا اخوانا متحابين قد ألف الله بين قلوبهم .

وما من شك أن الحج من العبادات التي تتطلب من الانسان استعمال قلبه وبدنه وماله والعبادات التي يتقرب بها العبد الى ربه من شأنها كلها أن تطهر القلب وتزكي النفس ، وتبعث على الامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه ، وتقرب الناس بعضهم من بعض ، وقد غسلت من قلوبهم الضغينة والحقد ، وجعلتهم متعاونين متحابين كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

والحج يكون بالنية والاحرام من مواقيته ، مع التجرد من لبس المخيط ومن كل صنوف الزينة والترف ، وبالطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة والمشعر الحرام بالمزدلفة ، ورمي الجمرات ، وسوق الهدى . وهذه المناسك والأنفال تلقاها المسلمون جيلا بعد جيل عن الرسول صلوات الله عليه حيث أخذت عنه مناسك الحج ، ولكل نسك منها حكمته وغايته ، وكلها تحقق معنى العبودية لله . فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خذوا عني مناسككم ... »

والكثير من مناسك الحج لم تكشف لنا حكمته ، ولم نتبين علته ، شأنه في ذلك شأن بعض افعال تعبدية أخرى ، مع أن فهم الحكمة قد ينشط النفس عند الأداء ويحمي المكلف من الشبه التي يوجهها الاعداء إلا أن العبادة المؤداة في هذا الجو تشوبها شائبة المنفعة التي لولاها ما توجهت النفس اليها ، ولا تحملت ما فيها من مشقة ، وهي في درجة الاذعان لله اقل من العبادة التي يؤديها المؤمن لمجرد أنها امر من الله من غير تطلع الى ما وراءها من نفع ، ولا تعرف على ما اقتضاها من دوافع وانما يؤديها استجابة لأمر ربه وتفانيا في الخضوع والطاعة .

ومن هنا احتفظ الله جل شأنه بسر بعض التكاليف فلم يبينه ولم يشر اليه بأي اشارة تظهره أو تدل عليه ليمحص مدى الايمان والتصديق في النفوس . وفي هذا يقول الامام الغزالي في كتابه « إحياء علوم الدين » : واجبات الشرع ثلاثة أقسام : قسم هو تعبدي محض لا مدخل للحظوظ والأغراض فيه ، فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى ... » ويقول في موضع آخر من نفس الكتاب : ان ما لا يهتدي الى معانيه ابلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق الى مقتضى الاسترقاق ...

واذا كان الاسلام قد محا كل آثار الوثنية التي كانت تضمها هذه الأماكن ونهى معتنقيه من عبادتها ، وتهاهم عن التمسح بالأحجار وتقديسها فانه عاد سبحانه بعد خضوعهم لأمره فطوفهم حول احجار الكعبة بأمر منه وسعى بهم سبحانه بين الصفا والمراة على أن الطواف والسعي من شعائر الله من غير أن يرون لها بذاتها

قداسة وتقديرا إلا بتوجيه الدين انظر قول عمر بن الخطاب لما طاف بالبيت واستلم الحجر : انى اعلم انك حجر لا تضرولا تنفع ، ولولا انى رايت رسول الله يقبلك ما قبلتك » وهو ما يشير اليه قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لبيك حقا حقا تعبدا ورقا . »

فهذه العبارة فى هذه المناسبة تدل على ما فهمه عمر من قول الرسول عليه السلام فى العبارة المذكورة .

وتحسن المبادرة بالحج عند الاستطاعة ، واذا كان الفقهاء يتفقون على ان التعجيل بالحج افضل عند القدرة عليه وتحقق الاستطاعة ، فان منهم من يرى أن التعجيل به عندئذ واجب يأثم المرء بتاخيره حتى قال بعضهم : انه يفسق وترد شهادته اذ فى تأخيره بعد التمكن تعريض لفوات آداء الحج الذى لا يجب على المستطيع الا مرة واحدة فى العمر . وممن ذهب الى وجوب التعجيل والمبادرة الامام ابو حنيفة وصاحبه ابو يوسف ، وهو مذهب الحنابلة والظاهرية والشيعة الجعفرية ، وقول عن الامام مالك . لكن الذى استظهره متأخرو المالكية انه واجب على التراخى ، وهو ما اتجه اليه محمد ابن الحسن الشيبانى الفقيه الحنفى ، وهو مذهب الشافعى . لأنه مفروض فى العمر مرة واحدة ، فكان العمر فيه كالوقت فى الصلاة .

وقد عنى الاسلام بفريضة الحج عناية بالغة فأوردها فى آيات عديدة من الكتاب الكريم ينوه فيها بشأن البيت الحرام ، ويبين لنا فيها أن له اشهرا معلومات ، وأن له كرامة وحرمة ، وأن التزود له مطلوب وينبغى أن يكون أساس الزاد له التقوى ، وقد أنزل الله فى شأنه ، — برغم تأخر تشريعه إذ شرع فى السنة التاسعة للهجرة — سورة سميت بسورة الحج تضمنت كثيرا من أحكامه جاء فيها « إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم . وإذ بوانا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق . . »
الآيات .

والواقع ان المنافع التى اشارت اليها الآية الكريمة « ليشهدوا منافع لهم » ليست هى التجارة وحدها كما توهم بعض الناس ، ولكنها كل ما يهم المجتمعات الاسلامية التى جعلت من الحج مؤتمر اجتماع وتعارف وتعاون والتى جعلت منه فريضة تتميز بأن تلتقى فيها الدنيا والآخرة ، كما تلتقى فيها ذكريات العقيدة النابعة من المنبع الكريم ، وانما كانت الناحية الاقتصادية جزءا بارزا من اعمال ذلك المؤتمر الاسلامى الكبير .

ولو احسنت الشعوب الاسلامية وحكوماتها لأقامت لها معارض صناعية وتجارية وزراعية وثقافية فى موسم الحج . كل دولة تعرض ما عندها وتقدم خدماتها فتفيد وتستفيد ويعم النفع برواج السلع ، ونشر سبل الحضارة النافعة فى هذا الجو الروحى ، فينتفع كل بما عند الآخرين من مواهب وخبرات ومعرفة .

ولو قدر المسلمون هذا المعنى فى الحج واوفدت كل دولة مندوبيـــن رسميين عنها للعمل على تحقيق تلك الأغراض فى اجتماعات معدة منظمة فتعرض كل دولة ما فيها من شئـون تسترعى النظر لتمخض ذلك المؤتمر الاسلامى الكبير عن تصفية الشئون على اختلاف الوانها وتزول العقبات بفضل التعاون والتآزر والتآخى فى الدين .

* *

وقد اشرنا قبل الى ان الحج واجب ومفـــروض مرة فى العمـــر علـــى المستطيع البالغ العاقل ، وتتحقـــق الاستطاعة بتملك الزاد والراحلـــة والقدرة على الوصول مع امن الطريق يقول الله تعالى « ولله على النـــاس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » وعن على رضى الله عنه ان الرسـول صلى الله عليه وسلم قال « من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت ان شاء يهوديا وإن شاء نصرانيـــا » وملـــك الزاد والراحلة الذى تتحقق بهما او بالقدرة على نفقاتهما يشترط ان تكون فائضة عن حاجته الاصلية وحاجة من تلزمه نفقتهم من زوجة وأولاد واقـــارب واتباع حتى يعود اليهم من الحـــج ، غير أنه بالنسبة للمراة يشترط ان لا تكون معتدة من وفاة او طلاق كمـــا يشترط فوق ذلك ان يصحبها زوجها أو قريب محرم كابيها أو ابنها واخيها ممن تحرم عليهـــم ، ويكتفى بعض الفقهاء بأن تكون برفقة نسـوة ثقـــات او جماعة يؤمن عليها معهم مـــن الفتنة .

على أنه يستحب للزوجة استئذان زوجها عند خروجها للحج من غيـــر رفقته ، على أنه اذا لم يأذن لها جاز لها اداء الفريضة مع محرم أو مـــع النسوة الثقات على ما قلنا ، ومـــع ذلك فان من الفقهاء من يسقط حقها قبل الزوج فى النفقة فترة الحـــج لفوات الاحتباس بسبب من جهتهـــا وممن اشترطوا المحـــرم وراوا ان الاستطاعة بالنسبة للمراة لا تتحقق الا بوجوده ، فقهـــاء الراى ومنهم ابو حنيفة . وكذلك الامام احمد بن حنبل روى يحيى بن عبـــاد قال : كتبـــت امراة مـــن اهل الرى الى ابراهيـــم النخعى وقالت : إنى لم احج حجـــة الاسلام وانا موسرة ليس لى محرم . فكتب اليها ، إنك ممن لم يجعل الله له سبيلا .

ويروى الحافظ ان المشهور عنـــد الشافعية اشتراط الزوج او المحرم أو النسوة الثقات ، بل وفى رفقة الحجيج عند امن الطريق . ونستبدل هـــؤلاء بما رواه البخارى عن عدى بن حاتم قال : بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أتاه رجل فشـــكا اليه الفاقة ، ثم اتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل ، فقال : يا عدى هـــل رايت الحيرة ـــ قرية بالكوفة ـــ قال : قلت : لم أرها وقد انبئت عنها . قال : فان طالت بك حياة لترينة الظعينة ـــ الهودج فيه امراة ـــ ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله » كما استدلوا بأن نساء النبى صلـــى الله عليه وسلم حججن بعد ان اذن لهن عمر فى آخر حجة حجها وبعث معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف .

وقبل أن نترك موضوع الاستطاعة على الحج نرى انه من الواجب علينا ان نشير الى خطأ ما يحدثـــه بعض

الناس ممن ليست لهم قدرة على نفقات الحج . ويلزمون أنفسهم بذلك عن طريق بيع حاجياتهم الضرورية لمعيشتهم او عن طريق الاستدانة . روى البيهقى عن عبد الله بن ابى أوفى قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل لم يحج . أو يستقرض للحج ؟ . قال : لا . »

وواضح أن مثل هذا لا تتحقق بالنسبة له الاستطاعة فلا يلزمه الحج ، ومن يفعل ذلك يكون آثما بهذا التصرف وإن كانت الفريضة تسقط عنه ويصح حجه . هذا ومن حج لنفسه بمال تبرع له به غيره فانه يقبل حجه وتسقط عنه الفريضة ويثاب الآخر بقدر ما قد تم له من مال لأداء الفريضة .

واذا مات المستطيع قبل أن يؤدى فريضة الحج وجب على وليه أن يجهز من يحج عنه من ماله روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه أن امرأة من جهينة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أمى نذرت أن تحج ولم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال نعم حجى عنها أرايت لو كان على أمك دين اكنت قاضيته ؟ اقضوا الله . فالله احق بالوفاء » والحديث صريح فى وجوب الحج عن الميت من ماله كما هو مذهب الشافعى سواء أوصى بذلك أو لم يوص ، بينما يرى المالكية ذلك اذا ما أوصى الميت أما اذا لم يوص فلا يحج عنه لأن الحج عبادة بدنية مالية والجانب البدنى هو الغالب فلا يقبل النيابة لذلك . وقد علق الشوكانى ــ على الحديث المذكور ــ فى كتابه نيل الأوطار وقال : إن فيه دليلا على أن من مات وعليه حج وجب على وليه أن يجهز من يحج عنه من رأس ماله كما أن عليه قضاء ديونه » ويقول الصنعانى فى كتابه سبل السلام : إن الحديث دل على وجوب التحجيج عن الميت سواء أوصى أو لم يوص ، وينقل ابن قدامة الحنبلى انه يستحب أن يحج الانسان عن أبويه إذا كانا ميتين أو عاجزين ، وقال ابن حزم الظاهرى : إن ذلك واجب .

وهذا الكلام يستتبع القول فى حكم المستطيع الذى يرغب فى أن ينيب عنه غيره لأداء الحج عنه . هل يقبل منه ذلك وهل تبرأ ذمته بهذه الانابة ؟

الانابة فى الحج يختلف الفقهاء فى حكمها تبعا لتغليب بعضهم الناحية البدنية كما قلنا ، وتغليب الآخرين الناحية المالية فيه ، والذين يرون أن العبادة البدنية هى الغالبة فى الحج والمقصودة اصلا يمنعون الانابة ولا يسقطون الفريضة بها ، وهم المالكية يستوى فى ذلك عندهم ما إذا كان الشخص صحيحا او مريضا يرجى برؤه . أما المريض الذى لا يرجى شفاؤه بحال ، والعاجز عن الحج بنفسه فى أى عام من حياته فقد سقط عنه الحج لأن التكليف بهذه الفريضة للمستطيع . وقالوا ايضا : إن من قصر فى اداء الفريضة وأوصى قبل موته بالحج عنه ، أو فعل ذلك ورثته بدون إيصاء فان ذلك لا يسقط عنه حجة الاسلام التى لم يؤدها فى حياته مع استطاعته فلا تبرأ ذمته بفعل الغير .

أما الحنفية والشافعية والحنابلة : فانهم يرون أن الحج من العبادات التى تقبل النيابة لأنها ليست عبادة بدنية محضة ، وإنما هى عبادة مركبة من أفعال البدن وإنفاق المال ،

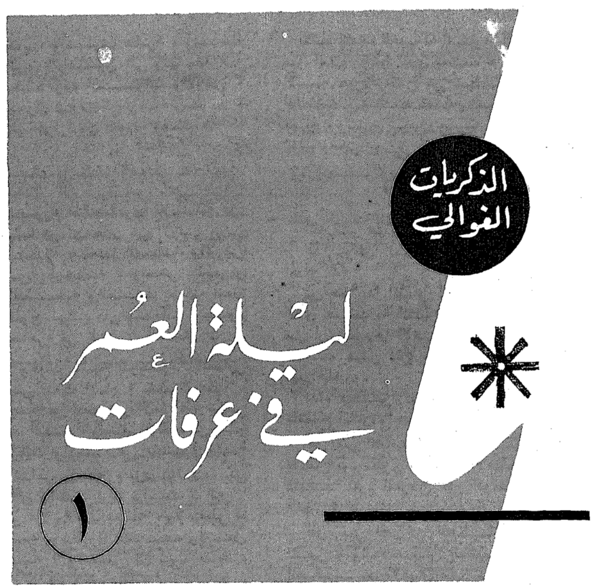
والاستطاعة كما تتحقق بأداء الشخص نفسه ، فانها تتحقق بانابة الغير عنه وعلى هذا فان من عجز عن الحج بنفسه وجب عليه أن يستنيب غيره ليحج عنه ، واشترط الحنفية لصحة ذلك ان يكون عجزه مستمرا عادة الى الموت ، كالمريض الذى لا يرجى برؤه ولا يتمكن معه من أداء شعيرة الحج فان هذا تسقط عنه الفريضة بانابة غيره ليؤديها عنه حتى لو زال عذره بعد ذلك وتمكن من الأداء بنفسه . أما المريض الذى يرجى برؤه والمحبوس ومن فى حكمهما فان النيابة عنهما تصح ويتأدى بها الفرض إذا لم يتمكن بنفسه بحيث اذا ما برىء من مرضه أو خرج من حبسه وكان يستطيع الحج بنفسه فان الفريضة لا تسقط عنه بما حدث من اداء الغير عنه ، كما اشترطوا ان تكون اكثر نفقات الحج من مال المحجوج عنه إلا بالنسبة لمن مات ولم يوص بالحج فتبرع احد الورثة او غيرهم بالحج عنه فانها تجزىء ، كما اشترطه التكفل بالانفاق على من انابه نفقة المثل ، فاذا اشترط له اجرا كأن يقول له استأجرتك للحج عنى أو عن فلان بكذا فانه حجه لا يجوز ولا يجزىء احدا .

ويشترط الفقهاء الذين يجيزون الانابة ان ينوى الغائب الحج عن من انابه فيقول : احرمت عن فلان ولبيت عن فلان ، وتكفى نية القلب ، ويشترط الشافعية والحنابلة دون الحنفية أن يكون النائب قد ادى فريضة الحج عن نفسه لما رواه ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله سمع رجلا يقول : لبيك عن شبرمة ، فقال له : أحججت عن نفسك ؟ قال : لا ، قال : حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة .

والذى نختاره للفتوى — إن حق لنا ذلك — هو جواز الانابة ما دام الشخص غير مستطيع بنفسه وفى وسعه أن ينيب عنه لأن الشارع أوجب الحج على من استطاع اليه سبيلا ، وغير القادر بنفسه إن وجد من ينيبه عنه بالمال الكافى لانابته كان ذلك من سبيل الاستطاعة ، فغير المستطيع بنفسه يكون الذى دفعه للانابة خشية الله وامتثال امره . وأما المستطيع بنفسه فلا يسقط الفرض عنه بالانابة وأما من مات دون اداء الفريضة مع القدرة والاستطاعة وكان قد أوصى بأن يحج عنه غيره من ماله او أناب الورثة واحدا عنه او تبرع الغير بذلك فان قبول ذلك وعدمه علمه عند الله .

هذا بالنسبة للحج والانابة فيه ، وليس اللائق لمن يحج أن يهمل السعى لزيارة قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه الذى حمل الرسالة فصان الأمانة إما قبل اداء نسك الحج او بعد ذلك حسب ما يتيسر له ، فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : من حج فزار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى فى حياتى .. ومَن من المسلمين لا يسعى جاهدا لزيارة الرسول ، والصلاة فى مسجده الطاهر والتفكر فيه للتأسى به فى كل أمر وهو الذى ادبه ربه وتخلق بخلق القرآن .

نسأل الله ان يهىء نفوسنا للاستفادة بأحكام الدين ، وأن نقصد فى عباداتنا وجه الله وحده دون تظاهر أو تفاخر ، وأن يهىء لنا من أمرنا رشدا ، وأن يجمع كلمة المسلمين على ما فيه خيرهم يا رب العالمين .



الأستاذ احمد العنانى

(١)

خير من ألف درس ومناظرة فى الخير والسعادة .

وخير من حصاد كل العقول التى سهرت تفكر في الإصلاح والسلام ونجاة الانسانية من مهاوى الشرور .

وخير من نتاج الفلسفة ، وتهويمات السفسطة ، ومجاهيد الأدباء والفنانين .

خير منها واجدى ، واشرف منها وابقى ، ليلة من العمر واحدة على متن عرفات ، ليلة الحج الأكبر ..

(٢)

النجود والسباسب القفراء ، حيث لا نأمة ولا حركة ولا حياة بين عشية وضحاها تصبح مسرحا موارا بالأحياء والأصوات جماهير من كل حدب وصوب ، وجوه من كل درب وفج ، اناسى من كل سنخ وجنس ، كلها على اختلاف الوانها وتعدد مواطنها ، وتباين السنتها ، وتنوع أعمارها ، من شيب وشباب وأطفال، من رجال ونساء ، كلها فى ثياب

بيض ، وبقلوب عامرة ، وشفاه ذاكرة ، وعيون الى ربها ناظرة ، تمجد رب السموات والأرض ، وتتحرق شوقا الى رضاه وغفرانه ، وتفرّ فرارا من ذنوبها وخطاياها .

(٣)

صورة هناك مشرقة للانسانية عزّ منالها في اى مكان في الأرض ..
صورة صنعتها السماء والأرض تهمى بالرحمة ، وتفيض بالطهر والتضحية والصفاء ، كما تفعل الثلوج البيض على صفحات التخوم الطاهرة في البرارى الحسان .

وهناك يصبح للوجود الانسانى معنى يبعث الأمل ، يمجد السمو ، يرتفع عن حضيض الأهواء ، يناجى رب السماء ، وينتظم الوجود من سائر الأحياء والأشياء في تسبيحة واحدة بمشاعر واحدة ، بزى واحد ، في مكان واحد ، لرب واحد لا إله الا هو ، لا مانع لما يعطيه ، ولا معطى لما يمنعه ، ولا راد لقضائه ولا مبدل لحكمه ، ولا يغنى كل شىء غناءه ، لأن كل شىء من عطائه .

(٤)

كأنما لم يكن إلا امس وقفة الرسول الأعظم في حجة الوداع .
كأنما لم يكن غير أمس صوت العباس الجهير ينادى بكلمات الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم ..
كأنما كشفت بأمر الله حجب الغيب لعينى الرجل الذى لولا فضل الله علينا به ما عمرنا شاما ولا عراقا ، ولا انتشرنا في الغرب اعزة بالايمان وفي الشرق منتصرين بالفرقان .

كأنما كشف الغيب له أستاره فأراه لبّ البلاء الاكبر الذى يصيب هذه الأمة حين ترتكس في شقاوة العصبية ، وتتخذ لها من غير الله قضية ، وتتفرق شيعا ويضرب بعضها رقاب بعض ..

(٥)

الله اكبر هذا عرفات
هذا موطن انطلاقة الدين بعد أن اكمله الله
من هذا بدا اندفاق الينبوع الكريم الذى حسنت به الدنيا زمانا طويلا ، قبل أن تفسدها الأهواء ، وترديها لعاعات عيش فان ، وتعصب ذميم لغير الله ..
نداء ينطلق من الأردية البيض بأفصح لسان واجلى بيان .
هل غير الثياب البيض تصنع منها الأكفان يوم تطوى صفحات الاعمار تمهيدا ليوم العرض على الواحد القهار ؟
هل غير السرائر الطاهرات البيض ، والحسان الباقيات الصالحات من الاعمال يبقى من كيان الإنسان ؟
هل للمساواة جوهر او مظهر يدانى ما تراه العين ويقرّ به الفؤاد على عرفات ؟
هل للأخوة والحق والسلام ، ام هل للتعاطف والتراحم موسم كهذا الموسم الذى تناسق فيه الوجود وتناغمت أصداؤه في تسبيحة عذبة صاعدة الى ملكوت الله ؟

(٦)

لبيك ربى لبيك
وجودنا كله عطيتك
ملك السموات والأرض لك

والحمد واجب لك وحدك
ولا مفر لنا منك إلا اليك
نحن كلنا عبادك ، لا كبرياء إلا لك
واها لنا كم اصبحنا أكبر مما عهدنا في انفسنا ، حين عشناها اياما طاهرات ، بلا رفث ولا فسوق ولا جدال في هذا الحج .

عرّفنا الحج بحقائقنا فتصاغر فينا الغرور ، وخزى فينا صوت الشر ، وخفتت وساوس التكاثر والمباهاة ، وخشعنا قلوبا وعقولا وجوارح لرب السموات والأرض ..

(٧)

رباه هذا ليس حجا فحسب ولكنه يبدو وكأنما هو في الدنيا تجربة يوم الحشر ، وإنذارا لمن كان غافلا من قبل أن يوارى في غياهب القبر .

هذا مجمع للفضائل ، وإحياء لموات أشرف جوانب الانسان ، ومرحلة فصل بين الغرور والحقيقة ، ومطلع فجر الهداية في ظلمات كل انسان ظلم نفسه ..

(٨)

الله للمسلمين حين يكتمل صحوهم ، ويستعيدون في أنفسهم عميق احترامهم دينهم ، واعتزازهم بالحق الذى اختصهم به ربهم .

الله لهم حين في اجواء الحج يعرفون كيف يلمون شعثهم ، وينسقون جهودهم ، ويتعاونون حق التعاون فيما بينهم .

إن كل أعمال المسلمين في نطاق علاقاتهم العامة يمكن أن ترسخ قواعدها السليمة في الحج ..

وما اكثر حاجة المسلمين بعامة الي مشكلات تحل ، ومؤسسات تنشأ ، ومواثيق تعقد ، وأرحام توصل ، والي طرز فذة مستحدثة من الجامعات والمصارف والنظم الحياتية الأخرى .

(٩)

الا يا بلادا شرفها الله بالأمن والرزق المتاح وأنوار الرسالة .

ويا بلادا شرفتني ربوعها بأجمل وأروع أيام العمر وأغلاها .

ويا مناط الحنين في قلوب الملايين على مدى الشهور والسنين .

ويا ايها المسجد الحرام ، يا غنوة التضحية ، وموطن المعجزات .

ويا ايها الغار على قمة حراء .

ويا ذلك المسجد ، مسجد بلال ناحية اجياد

ويا بلادا فيها كل ذكريات ايماننا وعزنا

يا ربوع الحج ، وارض الهدى والنور
عليك سلام الله مع كل موكب حجيج
ولك الفخار الاسنى الي يوم الدين



بسم الله الرحمن الرحيم

لإيلاف قريش ﴿١﴾ إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴿٢﴾ فليعبدوا رب هذا البيت ﴿٣﴾ الذي أطعمهم من جوع وءامنهم من خوف ﴿٤﴾

ثــار الأب

قيل عن الشاعر المعروف امرىء القيس انه حين قتل ابوه ذهب ليسال الأصنام : ايثأر لابيه أم لا ، جريا على العادة التي كانت متبعــة يومئذ عند العرب ، وهي ان يحضر ثلاثة اسهم : يكتب علـــى الاول كلمة نعم ، وعلى الثاني كلمة لا ، ويترك الثالث غفلا من الكتابة ، ثم يسحب أحدها . فكان في كل مرة يخرج لـــه السهم الثاني المعلم بكلمة لا ، ثلاث مرات متتالية ، فثارت ثائرته ،ورمى الصنم بالسهم وهو يصرخ فيــه : لو أن القتيل كان أباك لما نهيتني عن الأخذ بثاره !

حي على الصــلاة

حي على الفـــلاح

قال الشـافعي :

وقول المؤذن : حي على الصلاة . حي على الفلاح .. دعاء منــه الى الصلاة ، ثم دعاء منه يعلمه فيه أن دعاءه الى الصلاة دعاء الى الفلاح ، وينبغي لمن دعا الى الفلاح بالصلاة ، وعلم أنه لا يأتي الفـــلاح بطاعـــة الله في الصـــلاة ولا غيرها إلا بعون الله ان يقول : لا حـــول ولا قوة إلا بالله ، لأنه لا حـــول له يصـــل الى طاعة الله إلا بالله عز وجل .

فتوى الشافعي

قال حرملة بن يحيى يقول :

سمعت الشافعي يقول في رجل قال لامرأته ، وفي فيها ثمرة : إن أكلتها فأنت طالق ، وإن طرحتها فأنت طالق — قال : تأكل نصفها وتطرح نصفها .

القدر

ما شئت كان وإن لم أشأ
وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت
ففي العلم يمضي الفتى والمسن
على ذا مننت ، وهذا خذلت
وهذا أعنت وذا لم يعن
فمنهم شقي ، ومنهم سعيد
ومنهم قبيح ومنهم حسن

دجاج الناس

أرسل رجل قفصا من الدجاج الى صديقه ، فلما تسلمه أرسل اليه رسالة يقول فيها :

« جاءني الدجاج ، ولكن القفص لم يكن من نوع جيد ، فقد تحطم وانطلق الدجاج منه ، فلم استطع أن أجمع إلا إحدى عشرة دجاجة ! » .

فجاءه الرد من صديقه يقول :

إنك سعيد الحظ ، لأني لم أرسل لك إلا ست دجاجات !

رؤية الله

قال إبن هرم القرشي سمعت الشافعي يقول في قول الله عز وجل: « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » قال : هذا دليل على أن أولياءه يرونه يوم القيامة .

شهادة

قال الشافعي : الناس عيال على هؤلاء : من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على (محمد بن اسحاق بن يسار) ومن أراد أن يتبحر في الشعر فهو عيال على « زهير بن أبي سلمى » ومن أراد أن يتبحر في تفسير القرآن فهو عيال على « مقاتل بن سفيان » .

حجة الوداع

آن للحق أن يشب عن الطوق ويحدو مسيرة الظافرينا
ويشع الهدى على مفرق الدهر نديا يفيض حزما رصينا
إن أمر السماء قد تم نصرا لهداة السلام ، راس متينا
وغدا المسلمون فى الأرض ركنا يتسامون عزة ، ويقينا
واقام الرسول بعد جهاد شق ، عهدا موثقا ، مأمونا
فاضاءت ربى الجزيرة آيات كرام شعاعها لن يبينا
تبهر النفس روعة ، ورواء والحجى منطقا ، وتجلو العيونا
بعد أن كان ظلها من ظلام قاتم اللون ، والهتاف انينا
وانطوت صفحة الضياع وكانت وصمة تملأ النفوس شجونا
وهوى الشرك خاسئا يتوارى وارتدى الكفر ثوب ذل مهينا
وإذا الليل قد تبدل فجرا والسموات ترجم الماردينا
والورى يبصرون ، بعد عماء كالحيارى ، محجة السالكينا
ونظام الاسلام ينشر عدلا فى ربوع الحياة . دنيا ودينا

— — —

وأراد النبى أن تسمع الدنيا بهذا الدوى يطوى السنينا
فتنادى الزحوف ، لبيك يا رب ، حجيجا ، يبادرون الأمينا
عرفات ميعادهم وهو صرح شامخ كفتاه ترعى المئينا
وفدت سفحة ، تردد صدقا برجاء ، طوائف الوافدينا
وهناك ارتقى عليه السلام المنبر الفرد ، قائما مأذونا
واحاطت جموعهم فى حماه وهو يلقى الخطاب فصلا مبينا
أيها الناس : انكم فى حرام آمن يستجد حينا فحينا
أيها الناس : انكم لأبيكم آدم أجمعين ، منه بنينا
انما الظلم فى الحياة حرام والربا ، والفساد ، هل تنتهونا

الأستاذ : احمد محمدمصطفى السفاريني

فاحملوا دعوة الهدى للبرايا　　وانشروها كريمة ، ان تدينا
قاتلوا الباطل الزهوق بعزم　　واستبينوا السلام : حربا ولينا
لا تكونوا اذلة تخدعون اللـه والحق ، بل اقيموا المتونا

....

وافاض الرسول بالناس ماض　　عن هدى الوحي يرشد الناسكينا
وهو يبدو مع النفير رضيا　　باسم الثغر ، يستبين حنينا
انها حجة الوداع رمز المعاني　　وحي حق ، تذكر المتقينا
كمل اليوم دينكم مستقيما　　ووفى الله نعمة الشاكرينا
واستوى الأمر بانفساح الأماني　　وسبيل الله المبين الشؤونا

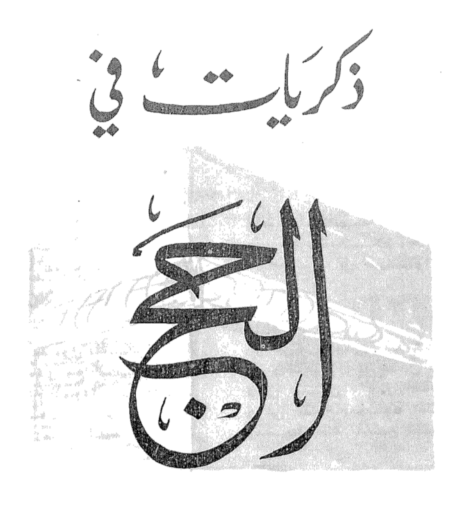
....

هي ذكرى تمر في كل عام　　لا اراها تثير اشياء فينا
هل وعينا عن الرسول هداه　　واهتدينا بشرعه ورضينا ؟
هل اقمنا الجهاد دعوة حق　　نحمل الفكر ، يقرع المشركينا ؟
هل اعدنا الحقوق من سالبيها　　في فلسطين ، مقدس المسلمينا ؟

....

لتكن حجة الوداع نذيرا　　تبعث العزم في النفوس مكينا
لنردد مع الحجيج دعاء　　ان نرى المسلمين حصنا حصينا

....



للاستاذ : احمد مظهر العظمة

جعل الله سبحانه منسك العرب البيت الحرام ، الذى رفع قواعده بمكة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وكان ابراهيم يطهر البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود ، واثنى الله فى كتابه العزيز على ابراهيم هذا فى دينه فقال : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا (١) مسلما وما كان من المشركين » . « ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا ، والله ولى المؤمنين » ، فقد كان منقادا الى احكام الله مائلا عن العقائد الزائغة ، وأولى الناس به ، — ما دامت هذه حاله — اتباعه من أمته ، وهذا النبى الكريم والذين آمنوا وذلك لموافقتهم معظم ما كان من شرعه وفى مقدمة ذلك التوحيد .

ودارت الأيام دوراتها ، وفشت فى جزيرة العرب الوثنية ، وعلت الأوثان بيت الله الحرام ، وكان لها سلطان على عقول العرب ، وسلوكهم وتصرفهم ، وآن على حين فترة من الرسل أوان دين التوحيد خالصا من الشرك الظاهر والباطن ، وبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فدعا الى الله وحده لا شريك له ، ولاقى مالاقى فى مكة وهو صابر ثابت ، حتى اذن الله تعالى بالهجرة الى المدينة ، وفيهانما الاسلام نموه وأثمر الثمر اليانع .

وفى السنة السادسة من الهجرة فرض الله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، وامرهم بان يتموا الحج والعمرة لله ، وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم للعمرة فصده المشركون عن البيت فى تلك السنة (٢) ، وكانت لهم بقايا آجال ، فقضى النبى فى السنة السابعة ما فاته ، وفى السنة التاسعة حج بالناس أبو بكر (رضى الله عنه) وفى السنة العاشرة حج الرسول حجة الوداع ، فى حرم آمن يجبى اليه ثمرات كل شىء ، فقر الرسول عينا بالمسلمين الوفا ، متجنبين الرجس من الاوثان ، متجنبين قول الزور ، حنفاء لله غير مشركين به شيئا .

للحج عدا ثوابه العظيم منافع شتى ذكرها الباحثون ترد الى نوعين :

١ ــ منفعة اهل مهبط النور مكة وما حولها بخير يغدقه الله عليهم .

٢ ــ ومنفعة الوف مؤلفة من المسلمين ، أموا مكة من اقطار الارض ، اذ يتعارفون ويتآلفون ، ويتبادلون المنافع ، ويتعاونون على ما فيه صلاحهم ، ويعتادون الضرب فى الأرض ليبتغوا من فضل الله وينظروا فيما خلق . .

وللحج منفعة اخرى يدركها المؤمنون الواعون ، وهى مشاهدة بيئة الاسلام الأولى والتأمل فيها ، تلك البيئة التى ثبت فيها محمد صلى الله عليه وسلم ثم قامت على الوحى شريعة تلك المشاهدة التى تجعل صاحبها يزداد ايمانا بأن الاسلام ليس وليد بيئة ، وانما هو دين إلهى ، تنزل كتابه من لدن عليم حكيم قدير ــ على محمد صلى الله عليه وسلم الذى ما كان ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى . فالصحراء اصبحت بالاسلام عقيدة وعبادة وخلقا ونظاما ، اصبحت خيرا من جنان الارض ، تلك المشاهدة التى تصل صاحبها بالعناية الالهية التى أمد الله تعالى بها رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم حتى انتصر على الشرك والكفر والطغيان ، ودخل الناس فى دين الله افواجا .

ان الباحث الاجتماعى ليعتمد فى بحثه ثم فى دعوته على بيئة ، وعلى اسس تقوم عليها صلات ابنائها فى حياتهم الاجتماعية ، وعلى اتخاذ ما يتطلبه الاصلاح بعد الفهم الصحيح للمجتمع الذى هو موضوع البحث .

ان البيئة العربية قاسية شديدة فى جملتها ، وظواهرها الاجتماعية ــ التى أوجدت معظمها ارادة الجماعة ــ كالأسرة ، والأخلاق والتشريع والحكم ــ ظواهر بسيطة ، تسودها العصبية العمياء جامعة ملزمة روحيا وتشريعيا وخلقيا مهما كان شأنها .

فالأصنام يعزى اليها تصرفات ورغبات فيؤمن بها المجتمع .

والأعراف تهدفت الى مقاصد فيستجاب لها وتتبع .

والتقاليد تستوجب سلطانا لها بل تطويقا لرقاب الناس ، دون أى نقد يستهدف .

فالباحث فى المجتمع العربى قبل الاسلام يطل على ضوء ما تقدم ، فلا يجد اجتماعا صحيحا كاملا ، سواء أكان ذلك فى الاجتماع الدينى أم الخلقى أم النظامى أم الثقافى أم العائلى أم الاقتصادى مع الاعتراف ببعض المآثر كالبيان والكرم ..

ويطول البحث اذا استرسلنا فى هذه الموضوعات ، فحسبنا أن ننتهى منها الى تأكيد ما تقدم من فائدة مشاهدة أماكن الحج بيئة الاسلام الاولى ، ونذكر ما كان فيها من أوضاع اجتماعية حل محلها الاسلام العظيم فى جميع نواحيه ، ثم الجزم دونما تردد بأن من صير الشوك وردا إنما هو الاسلام ، وان دعوته واحكامه يجب الاستجابة التامة لها ، فإن فيها ما يحيينا ويسعدنا روحيا وماديا .

. . . .

تداعت على الذكريات حين حججت فاجملها بما يلى :

ذكرت حينما دخلت مكة المكرمة ذلك الصراع المرير بين الحق والباطل ، لأن قريشا ابت ان تفتح عيونها لترى الاسلام الدين الالهى الجديد ، واضطرت الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه أن يهاجروا .. وحينما جاءوا مكة للحج اضطرتهم أن يعودوا من الحديبية مهادنين .

وكان نضال ، وكانت معارك ، وآن للمسلمين ان يدخلوا مكة فاتحين فى السنة الثامنة من الهجرة ، وآن للمشركين أن يعلموا الا ملجأ من الله الا إليه ، وان عاقبة العناد الخزى والخذلان ، كما آن للمؤمنين الذين كانوا مستضعفين فى الارض حتى اضطروا ان يخرجوا من ديارهم ، ان يعودوا الى وطنهم لأول مرة مرفوعى الرؤوس موفورى الكرامة ، بعد أن نقضت قريش الهدنة ، وهذا عمرو بن سالم زعيم خزاعة يأتى النبى وهو فى المسجد فينشد :

يا رب انى ناشد محمدا	حلف ابينا وابيه الاتلدا
فانصر هداك الله نصرا أعتدا	وادع عباد الله يأتوا مددا
فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا	إن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا	وجعلوا فى كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا	وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا	وقتلونا ركعا وسجدا

وفى مكة قال الرسول كلمته الشهيرة لقريش (ما تظنون أنى فاعل بكم ؟)

قالوا خيرا اخ كريم وابن أخ كريم فقال (اذهبوا فانتم الطلقاء) ودخل الناس فى دين الله أفواجــا .

وصعد بلال ـــ مؤذن رسول الله ـــ فوق ظهـــر الكعبة واذن للصلاة ، فامتلأت أسماع مكة من قدسية النغم .

وتذكرت حين طفت حول الكعبة الشريفة كيف كان الرسول يطعن بسية (٣) قوسه فى عيون الاصنام ووجوهها ويقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » ثم أمر بها فكفئت على وجوهها ، ثم أخرجت من المسجد فحرقت . فقال فى ذلك راشد بن عبد الله السلمى :

قالت : هلم الى الحديث ، فقلت لا	يأبى عليــك اللــه والاســـلام
أوما رأيت محمـــدا وقبيلـــه	بالفتـــح حين تكسر الأصـــنام
لرأيت نـــور الله اضحى ساطعـــا	والشرك يغشى وجهه الاظلام (٤)

وتـــذكرت حين سعينابين الصفا والمروة سعى اسماعيل عليه الســـلام بينهما وكيف كنا نسرع حينا ونبطىء حينا ، استسلاما لأمر الله ، وجندية تلهم القوة والاستجابة والالحاح طلبا للمغفرة . . .

وتذكرت فى بطاح عرفـــة المشرقة حينما وقف الحجيج موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب خطبته الشهيرة فى حجة الـــوداع فسمعها أكثر من مئة ألف مسلم وكان منها : «ايها الناس ، إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا ؛ الا هل بلغت اللهم فاشهد » .

دعا فى خطبته الى رعاية الحقوق مؤكدا مثبتا ، واستوصى بالمراة التى كانت مهضومة الحق مهيضة الجناح ، والتفت الى الاخاء الاسلامى فأيده وأكده ، والى الاخـــاء الانسانى الموحد ، فجعل محور الفصل فيه تقوى الله ، لا المال ولا الكثرة ولا العصبية ولا السلطان .

ونهى أن نعود كفارا يضرب بعضنا رقاب بعض ، واستوصى بالرجوع الى كتاب الله مصدر الهداية والعلاء ومبعث الألفة والأخـــاء .

وتذكرت فى مزدلفة كيف جمعنا الجمرات ، وكيف تذففناها جادين مكررين فى مواطنها من منى محاربة الشيطان واضلاله . ثم نحرنا ضحايانا كمـــا نحر ابراهيم عليه السلام ضحيته بعد أن رأى فى منامه ـــ وهو حق ـــ أنه يذبح ابنه اسماعيل صلوات الله وسلامه عليه وهم بذبحه فافتداه الله تعالى بكبش رحمة منه وتلك قصة واقعة يرددها خطباء المنابر ، تعلم الاستجابة لله والصبر على ابتلائه ، أوجزها القرآن الكريم فكانت درسا معلما موجها على مر الايـــام والعصور ، قال تعالى فى سورة الصافات ١٠٢ ـــ ١١٠ « .. فلما بلـــغ معه

السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال يا ابت افعل ما تؤمر ، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين . فلما اسلما وتله(٥) للجبين . وناديناه أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه فى الآخرين . سلام على ابراهيم . كذلك نجزى المحسنين » .

ولعل اظهر ما كان يلفت النظر من أمر مواطن الحج الرجولة والزى البسيط المشعر بالمساواة العامة والشاملة ، فلا كبير فى المؤتمر ولا صغير ، ولا تفاوت فى اللباس بين أمير وحقير ، وفى هذا رد للناس الى البساطة ليعزفوا عن السرف ، ويصدفوا عن التفاضل بالاموال والجاه العريض ويهجروا ما يودى اليه ذلك من ظلم وفتن : « وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين » .

فالبطر الذى يمنى به الأفراد والأمم الغافلة داء وبيل يهدد أصحابه بالهلاك بعد أن يفقدهم رجولتهم سلاح دفاعهم ، حتى إذا اضاعوها وتداعوا كما يتداعى البنيان بعد أن يضيع استواءه فيفقد رجاءه ولئن ذكرنا كيف نعيش فى مدنية تائهة بين مظاهر الاغراء ووسائل الترفيه والترويح ، وكيف نضيع بذلك فى كثير من الاحيان من وسائل كفاحنا الذاتى وسعينا الشخصى ، بينا كان اسلافنا المجاهدون يعتدون بسيفهم البتار ، ويعتمدون على ربهم الجبار ، ويكرهون حطام الدنيا فلا يذهبون طيباتهم فى حياتهم ، ولا يستمتعون بها استمتاعنا ، اذا ذكرنا ذلك ، عرفنا مبلغ الحاجة الى البساطة والرجولة اللتين يرد اليهما الحج أهله ؛ اذ يريد الاسلام أن يكون أهله ذوى ايمان وبأس ، يعوذون بالله من الهم والحزن ، ومن العجز والكسل، ويعوذون بالله من قهر الرجال ، وهم الأشداء الأبطال ، الثائرون على مظاهر الضعف لأنه ذبول الهمم ولان ذبول الهمم صوت الكفاح ، ولان صوت الكفاح صوت الانسانية المتعلقة بالمثل العليا الحقة وإن انس لا انس ذكريات شد الرحال لزيارة المسجد النبوى ، مركز التوجيه الرشيد ، والعمل السديد والانطلاق الى آفاق الارض لتبليغ رسالة الحق والخير والسلام . . ثم المثول تلقاء الحجرة النبوية — عند رأس الرسول صلى الله عليه وسلم بخشوع وتأمل فيما لا يحصى من مآثره وفضائله وآثار جهاده التى انارت جزيرة العرب ، ثم عمت الدنيا وهو الرسول المرسل رحمة للعالمين ، الذى خلف ذخيرة نورانية لا نضل بعدها أبدا ، ووجه ابطالا هداة لا يعرف التاريخ نظراء لهم صلاحا وإصلاحا .

---

(١) حنيفا : مائلا عما كان عليه قومه من شرك وما اليه .

(٢) تبين للمسلمين فى المستقبل ان رجوع النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه كان ينطوى على حكم عظيمة .

(٣) طرفها المنحنى

(٤) بلوغ الارب للالوسى جـ٢ ص ٢٠٦ .

(٥) وتله للجبين : أى صرعه على وجهه .



د. على عبد المنعم عبد الحميد

١ ــ كثر الحديث عن الروح منذ أن كان للانسان وجود على ظهر البسيطة ، ولم يصل باحث الى ادراك حقيقتها أو الوقوف على كنهها، فقال فقيه اسلامى مفوضا أمرها الى بارىء الكون وحده : إنها شىء استأثر الله بعلمه ، ولم يطلع عليه أحدا من خلقه ، فلا يجوز البحث عنها بأكثر من أنها شىء موجود ، وأوغل بعضهم فى التفويض فقال : ان الافاضة فى بحث الروح بدعة فى الدين اذ لم يبينه الله لرسوله بأكثر مما هو وارد بالآية الكريمة فالاشتغال بالتفتيش على ما بعد ذلك النص غلو فى شىء لم يرد به قرآن ولم يقم عليه برهان ، وهذا يسمى عنادا وخروجا عن حدود المقدرة الانسانية المحدودة، ولكن من غير هؤلاء من أجاب بأن الآية الكريمة لا تحمل فى طياتها منعا من الخوض فى البحث ، كما لا تشير الى أن الرسول كان غير عالم بها ، وغاية ما هنالك أنه صلى الله عليه وسلم أمر بالعدول عن الجواب تفصيلا ، وغالبا ما يرجع ذلك الى أحد سببين أو اليهما مجتمعين .. اما لأن سؤال اليهود كان تعنتا لأنها تطلق على معان كثيرة فاذا أجاب بواحد منها قالوا لا نريد هذا وانما غيره أردنا ، واما : لأن الامساك عن التفصيل كان عند السائلين من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : لو كان أمر الروح مما لا سبيل الى معرفته لكان الجواب : « قل انما علمها عند ربى » كما قيل فى الساعة ، وممن خاض فى البحث عنها الامام ابن حزم فى كتابه (الملل والنحل) فقد أورد مذاهب شتى فى الموضوع ثم عقب على ذلك بقوله : « وذهب سائر أهل الاسلام والملل المقرة بالمعاد ، الى أن النفس ــ وهى

بعض تفسيرات الروح — جسم طويل عريض عميق ذات مكان عاقلة متميزة مصرفه للجسد » .. ثم قال : والنفس والروح اسمان لمسمى واحد ومعناهما واحد ، واما من ذهب الى أن النفس ليست جسما فقوله باطل بالقرآن والسنة والاجماع .

ففي القرآن « هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت » .. « .. اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم » فصح أن النفس هى الفعالة المجزية الخاطئة .. وقال تعالى : « ان النفس لامارة بالسوء » .. وقال سبحانه : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون » وفى آل فرعون يقول : « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب » فصح أن الأنفس منها ما يعرض على النار قبل يوم القيامة ويعذب ، ومنها ما يرزق النعيم ، ولا شك أن آحاد أجساد آل فرغون ، وأجساد المقتولين فى سبيل الله قد تقطعت اوصالها ، ولا شك فى ان العرض (بفتح العين المهملة) لا يلقى العذاب ولا يحس فليست عرضا ، فصح ضرورة أنها جسم ومن السنة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة » وفى حديث الاسراء الذى أخرجه البخارى أنه صلى الله عليه وسلم : « رأى نسم بنى آدم عند سماء الدنيا عن يمين آدم ويساره » فصح أنها مرئية وهذه صفة الأجسام ضرورة ، وأما الاجماع فهو منعقد على أن انفس العباد منقولة بعد خروجها من الاجساد الى نعيم أو الى عذاب وهذه صفة الاجسام أيضا . ثم يتابع ابن حزم حديثه فيقول : ومعنى قوله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » انما هو لأن الجسد مخلوق من تراب ثم من نطفه ثم من علقه ثم من مضغه ثم عظما ثم لحما ثم أمشاجا وليس الروح كذلك . وانما قال الله تعالى امرا له بالكون (كن فكان) فصح أن النفس والروح والنسمة اسماء مترادفة لمعنى واحد ، وقد يقع الروح أيضا على غير هذا » .

وقيل : ان الأرواح اجسام لطيفة متعلقة بالاجسام المحسوسة أجرى الله سبحانه العادة بحياه الأجساد ما دامت متعلقة بها ، فاذا فارقتها حل بها الموت ، ويرى السلف : أن الروح عين قائمة بنفسها تفارق البدن وتنعم وتعذب لكنها ليست هى البدن ولا جزءا من أجزائه ، وتوصف بأنها تعرج اذا نام الانسان وتسجد تحت العرش ، والانسان فى نومه يحس بتصرفات روحه وتأثيرها فى بدنه ، فصعودها لا يماثل صعود المشاهدات لأن المشاهدات اذا صعدت الى مكان فارقت المكان الذى كانت مستقرة فيه كلية ، فحركتها الى العلو حركة انتقال ، وأما حركة الروح بعروجها، وولوجها الى الملأ الاعلى فليست كذلك ، وكل هذا مبنى على أن الروح الواردة فى الآية « ويسألونك عن الروح .. » روح الانسان ، وفى هذا خلاف طويل بين العلماء فقد وردت الروح فى القرآن فى مواضيع كثيرة بمعان مختلفة نجملها فيما يأتى :

١ — وردت بمعنى الوحى كما فى قوله تعالى فى سورة الشورى الآية ٥٢ : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم » وفى سورة غافرة الآية ١٥ : « رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق » أى ينزل

الوحى بقضائه على من يشـــاء من عباده الذين يصـــطفيهم للرســـالة ولتبليغ احكامه الى من يريد من خلقه .. وفى سورة النحل الآية الثانية « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون » أى ينزل جل وعلا ملائكته بالوحى الى من يريد من عباده المصطفين الأخيار أن أنذروا أن الله الخـلق واحد لا اله الا هو وانه لا تنبغى الالوهيـــة الا له ولا يصح أن يعبد سواه فاحذروه واخلصـــوا له العبادة فان فى ذلك النجاة من الهلاك فى الدنيا والآخرة .. وسمى الوحى روحا لما له من الأثر العظيم فى حياة القلوب والأرواح جميعا ..

٢ ــ تطـــلق الروح على القوة والثبات والنصر الذى يمد الله به من يشـــاء من عبـــاده الذين آمنوا به واخلصـــــوا له العمل فى السر والعلانية ، ففى الآية ٢٢ يقول الله تبارك وتعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليـــوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم او عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمـــان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله الا أن حزب الله هم المفلحون » .

ومعناها هنا : انه قواهم بطمأنينة القلب والثبات على الحق فلا يبالون بموادة أعدائهم ولا يأبهون لهم وانما يجعلون اعتمـــادهم على الله وحده والثقة به جل وعلا وحده وعلى هذا فلا يحيون الا فى الله ولا يبغضون الا من أجله وقد ورد فيمـــا أخرجه الطبرانى وأبو نعيم والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « جعل والد أبى عبيده يتصدى له يوم بدر وجعل أبو عبيده يحيد عنه فلما اكثر قصده فقتله » فنزلت الآية : « لا تجد قوما .. » فأى ثبات وأيمان وترك لمن عدا الله من أجل دين الله اكثر من هذا .. ؟

٣ ــ أحيـــانا يراد بالروح فى القرآن الكريم جبريل كمـــا ورد فى سورة الشعراء الآية ١٢٣ ، ١٣٤ « نزل به الروح الأمين .. على قلبك لتكون من المنذرين » .. أى أن هذا القرآن الذى تقـــدم ذكره فى نفس السورة فى قوله تعالى : « وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين » الآية (٥) انزله الله اليك وجاء به جبريل عليه الســـلام فتلاه عليك حتى وعيته بقلبك لتنذر به قومك ليكون قاطعـــا للعذر مقيما للحجة هاديا الى المحجة المستقيمة مصلحا لأحوال البشر جميعا ..

وفى سورة النحل الآية ١٠٢ : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنـوا وهدى وبشرى للمسلمين » . أى اخبرهم وقل لهم قد جاء به جبريل من عند الله كما أتلوه عليـــكم وكما اقتضت حكمته البالغة من تثبيت المؤمنين وتقـــوية ايمانهم بما فيه من ادلة قاطعة على وحدانية بارىء النسم وواسع قدرته وحث على النظر فى ملكوت السموات والارض وتشـــريع يرقى بالأمم التى تؤمن به الى مستوى لا تدانيها فيه أمة اخرى ، ومما يؤيد أن المراد فى الآية جبريل قول الله تبارك وتعالى فو سورة البقرة الآية ٩٧ : « من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » قل لهم ايها النبى حاكيا لهم عن الله : من كان عدوا لجبـــريل ، فان من أحواله ــ أى جبريل ــ أن نزل القرآن على قلبك أى فهو عدو لوحى الله تعالى الذى يشمل نزول التوراة وغيرها ولهدى الله لخلقه ولبشراه للمؤمنين وقوله (باذن الله) ارشاد الى أن مناجاة

جبريل لروحك ومخاطبته لقلبك انما كان بامر الله لا افتياتا منه فعداوته لا تقف حائلا دون الايمان بك ، ولا تقوم عذرا لهم فالذكر الحكيم من عند الله سبحانه وليس من عند جبريل .

٤ ـ وردت كلمه (الروح) ايضا واريد بها عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، ففى الاية ١٧١ من سورة النساء يقول الله تعالى : « يا أهل الكتاب لا تغلو فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا » . وآية الله فى خلق عيسى بكلمته وما نفخ فيه من روح كآيته فى خلق آدم بكلمته وما نفخ فيه من روح فايجادهما كان بغير السنة العامة فى ايجاد البشر من ذكر وأنثى ، من سلالة من طين : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » .

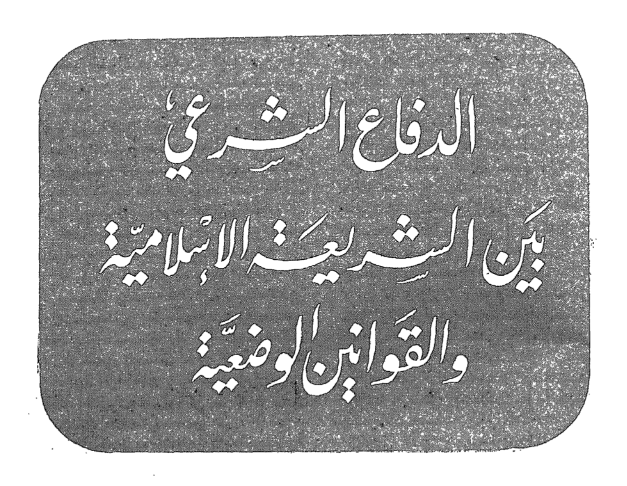
هذا ، وقد وردت آراء أخرى فى المراد من كلمة (روح) لا أرى ما يدعو الى ايرادها لبعدها عن المطلوب هنا ولأنها تقوم على الحدس لا على التحقيق .

ويرى ابن جرير الطبرى أن المراد بالروح فى الآية الكريمة « ويسألونك عن الروح » هو جبريل عليه السلام حاكيا ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وقال ابن القيم : ان المسئول عنه : الروح الذى أخبر الله تعالى عنه فى كتابه أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة عليهم السلام : قال لأنهم انما يسألونه عليه الصلاة والسلام عن أمر لا يعرف الا بالوحى وذلك هو الروح الذى عند الله تعالى لا يعلمه الناس .. الخ . وقال بعض مفسرى تلك الآية الكريمة : « الذى أراه متعينا لسابقها ولاحقها أن المراد بالروح الوحى بالقرآن وهو قريب من رواية عن قتادة ، ووجه تعينه أن هذه الآية فى سياق القرآن وتنزيله والسنة بكونه شفاء ورحمة .. الخ » .

والخلاصة :

ان أمر الروح مما جرى القول فيه على غير وجه واحد ، وكان شغل الباحثين والفلاسفة منذ أقدم العصور الانسانية ، ولم يجمع القوم على شىء فى هذا وذلك لغموض الموضوع وبعده عن المحسات وعدم دخوله فى دائرة المرئى المشاهد ، ولهذا جاء الجواب فى الآية الكريمة مشيرا الى ترك الخوض فى مثل هذا فالروح من أمر الله تعالى وكثير مما ينبت فى هذا الوجود لا تصل اليه العقول المخلوقة التى لم تتعد اليه من الاشياء الى الآن فهى تجول وتصول فيما بين يديها من الموجودات وتوائم بينها بتوجيه من الله تعالى وهداية وتخرج ما يحير الباب القاصرين الكسالى ، ففى ترك الامر لصاحبه ، والاشتغال بما هو خير للانسانية فى عاجلها وآجلها أجدى وانفع وصدق الله العظيم حين يقول جل وعلا : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » نسأله الهداية والتوفيق للبعد عما يريب والاشتغال بما هو خير وأعظم رشدا والله الموفق والمستعان(١) .

(١) بعون الله تعالى سنعود الى هذا الحديث لعرض ما يراه علماء الغرب فى هذا الموضوع ، موضوع الروح وما بنوا على ذلك من محاولة الاتصال كما يزعمون بالارواح حاملين معول هدم المبادىء الانسانية الفاضلة والله المستعان يهدينا ويهديهم سواء السبيل .



للدكتور احمد على المجذوب

أسوأ ما يأتيه عالم أن يحكم على شىء دون دراية به ، أو دراسة له ، وأشد سوءا أن يتبنى عالم احكام غيره على شىء دون أن يمحصها أو يتحقق من صدقها . والأول هو موقف الغالبية العظمى من علماء القانون فى الغرب من الشريعة الاسلامية . أما الثانى فهو موقف طائفة من علماء القانون المسلمين ، المصابين بالكسل الفكرى والخمول الذهنى ، الزاهدين فى البحث ، الكارهين للدراسة . والغريب فى الأمر حقا والادعى الى الدهشة أن دراسة الشريعة الاسلامية لا تحتاج الى جهد كبير من علمائنا ، بل إنه فى الواقع جهد يفوقه كثيرا جهد ترجمة كتب الغرب التى تهاجم هذه الشريعة محاولة أن تقلل من شأنها وتحط من قدرها . ولو أنهم طرحوا الكسل جانبا وشمروا عن ساعد الجد وشرعوا فى دراسة الشريعة والفقه الاسلاميين لوجدوا فيهما الكثير والثمين والمحكم من النظريات والمبادىء والافكار والآراء والمناهج التى تفوق بكثير ما وصل اليه الغرب . ولكشفوا زيف ما يدعيه علماؤه وبطلان ما يفترونه على الشريعة الغراء .

ومن النظريات الجنائية التى كان

للشريعة الاسلامية وللفقه الجنائى الاسلامى فضل السبق اليها ، نظرية الدفاع الشرعى التى سنتناولها فى هذه الدراسة المقارنة بقصد بيان ما تتميز به على مثيلتها فى الفقه الجنائى الغربى والقوانين الوضعية الغربية ، بغض النظر عن السبق الى تقرير حق الدفاع الشرعى ، فهو قديم قدم المجتمع الانسانى ذاته ، عرفته الشعوب القديمة وأخذت به فى تشريعاتها سواء كانت وضعية أم الهية ، فقد عرفه المصريون القدماء وعرفته الشريعة الموسوية وورد فى الشرائع القديمة كشريعة حامورابى وغيرها ولكن علماء الغرب الذين يتشدقون بالموضوعية دائما تأبى عليهم عنجهيتهم الا أن يؤرخوا لكل شىء فى العالم حتى القانون ، إما بالحضارة الأغريقية أو بالحضارة الرومانية معتبرين ان ما كان قبل هاتين الحضارتين من قبيل العدم . وكأن الدنيا لم تبدأ الا بالغرب ولا تتحرك الا به .. !! ليكن .

وفيما يتعلق بالدفاع الشرعى فهو حالة أو موقف يقوم فيه شخص برد اعتداء على عرضه أو على ماله أو على نفس أو عرض أو مال غيره من شخص أو أشخاص آخرين ، ويشترط أن يكون الاعتداء الذى يقوم الشخص برده جريمة لأنه اذا كان عملا مشروعا كقيام رجل الشرطة بالقاء القبض على شخص ما مثلا ، فانه لا يجوز للمقبوض عليه أن يعتدى على رجل الشرطة بحجة انه يدافع عن نفسه ، كذلك يشترط أن يكون الاعتداء حالا ، أى وشيك الوقوع أو وقع فعلا بحيث يتعذر على المعتدى عليه أو المهدد بالاعتداء أن يلجأ الى السلطة العامة لحمايته ورد الاعتداء عنه .

هذا فيما يتعلق بالشروط الواجب توافرها لاباحة الدفاع ، كذلك هناك شروط أخرى يجب أن تتوفر فى الدفاع الشرعى نفسه ، وهى أن يكون هذا بالفعل بالقدر وبالكيفية اللازمة لدفع الاعتداء ، وأن يكون تفادى الخطر بوسيلة أخرى غير ممكن . والواقع أن اباحة فعل الدفاع وعدم معاقبة المدافع عن نفسه أو عن ماله أو عن نفس غيره أو ماله ، وضع عرفته ، كما أسلفنا ، النظم القانونية من قديم الزمان ، بل وعرفته مقترنا بالكثير من الشروط التى ذكرناها الا أنها لم تصل الى وضع نظرية تفسره وتحدد طبيعته وأحواله وظروفه وشروطه وأهم من هذا وذاك تبرره باعتباره بحسب الأصل اعتداء له نفس طبيعة الفعل الذى كان هو نفسه رد فعل . وهو ما تكفلت به الشريعة الاسلامية والفقه الجنائى الاسلامى ، وما حاوله بعد ذلك ببضعة قرون الفقه الجنائى الغربى الذى سنستعرض فيما يلى جهوده فى هذا الشأن لنرى مدى صوابها ومستوى أحكامها ثم نقارنها بالنظرية التى وضعها الفقه الجنائى الاسلامى لنحدد اى النظريتين أصح من حيث تفسيرها لحالة الدفاع الشرعى وأرجح فيما يتعلق بتبريرها لفعل الدفاع .

النظريات الغربية فى الدفاع الشرعى :

توجد فى تفسير الدفاع الشرعى أو بالأحرى تبريره ثلاث نظريات أساسية احداها تعتبر الدفاع حقا للمعتدى عليه يبيح له أن يرتكب من الافعال ما يمكنه من دفع الاعتداء عن نفسه أو عرضه أو ماله أو نفس غيره أو عرضه أو ماله . ولكن أصحاب هذه

النظرية وان اتفقوا على طبيعة الدفاع من حيث أنه حق للمدافع الا أنهم اختلفوا حول الأساس الذى يستند اليه هذا الحق ، فبعضهم يرى أن هذا الأساس هو القانون الطبيعى بينما الآخر يرده الى نظرية العقد الاجتماعى ، قائلين إن الانسان عندما دخل طرفا فى العقد الاجتماعى تنازل للمجتمع عن غالبية حقوقه واحتفظ لنفسه من بين ما احتفظ به من حقوق قليلة بحق الدفاع عن نفسه وعرضه وماله ، وهناك فريق ثالث داخل هذه النظرية وان كان يستند ايضا الى نظرية العقد الاجتماعى الا انه يختلف عن الفريق السابق من حيث صفة حق الدفاع الشرعى وهل هو أصلى أم استثنائى بمعنى أن الشخص يكون له بحسب الأصل أن يدافع عن نفسه أو عن ماله ويعاقب المعتدى فى كل الأحوال أم أن ذلك لا يكون الا استثناء من حق الدولة الأصيل فى توقيع العقاب على كل من يقع منه اعتداء ؟ فهذا الفريق يرى أن الانسان لم يحتفظ لنفسه بحق الدفاع عند دخوله طرفا فى العقد الاجتماعى ، بل بقى له هذا الحق بحسب الأصل فله أن يمارسه دائما فى حين لا تمارسه الدولة فى صورة عقوبة توقعها على المعتدى الا على سبيل الاستثناء ، وعلى هذا يكون لكل شخص ، وفى جميع الأحوال ، الحق فى الدفاع عن نفسه أو عن ماله ، أو بمعنى أصح أن يعاقب من يعتدى عليه . وفى هذه الأحوال يقتصر تدخل الدولة على حالتين فقط ، احداهما هى الحالة التى يكون فيها العقاب الذى وقعه المعتدى عليه على المعتدى ناقصا أو غير متكافىء مع الاعتداء فتتدخل الدولة لتكمله باعتبارها مكلفة باقامة العدل ، أما الحالة الثانية فهى التى يتجاوز فيها المعتدى عليه الحدود المقررة لرد العدوان ، فعندئذ تتدخل الدولة لتمنعه من ذلك أو لتعاقبه نظير مبالغته فى الرد على الاعتداء الواقع عليه عقابا يوازى القدر المتجاوز فيه.

وهناك فريق يطلق عليه المذهب الواقعى يبرر الدفاع الشرعى بالدوافع الكامنة وراءه وهى فى نظر هذا الفريق دوافع قانونية وأخرى اجتماعية ، فبالرغم من أن الدفاع يباح لدفع الاعتداء الواقع على الشخص أو على ماله الا انه يعتبر ذو فائدة عامة تعود على النظام الاجتماعى فى مجموعه ، لأن من شأن وقوع الاعتداء من الناس على بعضهم وعجز المعتدى عليهم عن الدفاع عن انفسهم أو أموالهم أن يؤدى الى زعزعة النظام الاجتماعى وضياع هيبة القانون وافتقاده فاعليته. ومن هنا كان الدفاع الشرعى حقا لا بالنسبة للمعتدى عليه فقط بل وبالنسبة لكل شخص يرى عدوانا يقع على غيره أو على مال غيره ويدفعه .

أما النظرية الثانية فهى التى تعتبر الدفاع الشرعى مجرد مانع مسئولية وليس حقا كما يقول أصحاب النظرية السابقة ويستند هذا الفريق فى رأيه هذا الى فكرة المصلحة الأولى بالرعاية أو تعارض المصالح وضرورة ترجيح الأعلى قيمة من بينها ، فالعدوان من ناحية ودفعه أو رده من ناحية أخرى مصلحتان متعارضتان ، وترجيح احداهما على الأخرى واجب ، ولما كان الاعتداء يضعف حق المعتدى فان مصلحته تتضاءل أمام مصلحة المعتدى عليه فى رد الاعتداء . بل ان اعتداءه يهدر حقه قبل المعتدى عليه الذى يكون له أن يرد العدوان دون أن يكون مسئولا عن فعله ، وتذهب النظرية

الثالثــة فى تبرير الدفــاع الشرعى مذهبا مختلفا تماما فهى تستند الى فكرة الاكراه الأدبى ويرى اصحابها أن الخطر الذى يتعرض له المعتدى عليه يفقده حرية الارادة بحيث يعجز عن التحكم فى نفسه ازاء دوافعــه الغريزية فى المحافظة على نفسه أو ماله ، مما يمكن اعتباره اكراها أدبيا يرفع عنه المسئولية عن فعله .

والملاحظ أن النظريات الثلاثة فى الدفاع الشرعى لا تعلو على النقد، بل ان ضعفها بيِّن وفسادها جلى وان كانت تتفاوت فيما بينهما فى ذلك وهو تفاوت انعكس على مجال تطبيقها فقد سادت النظريات الأولى والثانية فى القوانين الوضعية التى اعتبر بعضها الدفاع الشرعى حقا كالقانون الرومانى وغالبية القوانين الحديثة كالقــانون الفرنسى الصادر سنة ١٨١٠ وقانون العقوبات المصرى الحــالى ، بينمــا اعتبره البعض الآخر عذرا مانعا من العقاب ، كالقانون الكنسى والقانون الفرنسى القديم . أما النظرية الثالثة فلا تعدو كونها مجرد فكرة تفتقر الى الطبيعة العملية يقول بها عدد غير قليل من الفقهاء الفرنسيين ولكنها كما هو واضح ظاهرة الفساد لأنها تجعل الدفاع الشرعى قاصرا على الحالة التى يصل فيها الاعتداء الى درجــة القضــاء على حــرية الارادة لدى المعتدى عليه ، أما ما عداها فانــه يخرج عن حــالة الدفــاع الشرعى ويوجب عليه أن يلجأ الى الســلطة العامة لتدفع عنه العدوان ، أى إنها تشترط فى الخطر الذى يراد دفعه أن يكون جســيما يتحقــق به الاكراه الأدبى ، ومن ثم فان الدفاع عن نفس الغير أو عن ماله لا يجــوز لأنــه لا يحقق حالة الاكراه الأدبى .

وبهذا تنحصر المقارنة بين اتجــاه الشريعة الاسلامية واتجاه الفقــه الغربى فى نطاق النظريتين السائدتين فى القوانين الوضعية الغربية وهمــا اللتين تبرران الدفاع الشرعى بفكرة الحق وفكرة المصلحة الأولى بالرعاية أو تعارض المصالح التى تجعــل من الدفاع الشرعى مجرد مانع مسئولية.

طبيعــة الدفــاع فى

الشريعة الاسلامية :

الدفاع الشرعى فى الشريعــــة الاسلامية حق للمعتدى عليه ، تقرر بموجب النص القرآنى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا بمثل ما اعتدى عليكم » كما قررته السنة النبوية فيما رواه يعلى بن امية عن رسول الله صــلى الله عليه وسلم قال : كان لى أجير فقاتل انسانا فعض احدهما يد الآخر فانتزع يده من فم العــاض فانتزع احدى ثنيتيه فأتى النبى فأهدر ثنيتيه وقال : « أفيدع يده فى فيك تقضمها تضم الفحل » وما رواه عبد الله بن عمرو من قول رسول الله : « من أريد ماله بغير حق فقاتل فهو شهيد » وما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله قال : « لو أن امرأ اطلع عليك بغير اذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح » .

كذلك اقرت الشريعــة الاسلامية الدفاع عن نفس الغير أو عرضه أو ماله فيما قاله الرسول صــلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلــوما » . وقوله : **« ان المؤمنين يتعاونون على الفتان »** فكل من يقع عليه اعتداء سواء كان موجهــا الى

نفسه أو عرضه أو ماله أو رأى اعتداء يقع على نفس شخص آخر أو عرضيه أو ماله له الحق فى أن يدفع هذا الاعتداء ، الا أن الفقه الاسلامى يفرق بين حالتين من الدفاع الشرعى ، احداهما الحالة التى يكون فيها الدفاع مقصودا به دفع اعتداء على النفس أو العرض ، فيرون أنه أى الدفاع — فى هذه الحالة لا يكون حقا للمعتدى عليه أو لغيره ممن يشاهد العدوان أثناء وقوعه فحسب ، بل هو واجب أيضا . وهذا أول أوجه الاختلاف بين الشريعة والقانون الوضعى — الذى يعتبره حقا فقط فى جميع الأحوال يرد عليه ما يرد على الحقوق عادة من

جواز التخيير بين فعلها وتركها فيكون للمعتدى عليه أو لمن يشاهد عدوانا يقع على غيره أن يرضى بالعدوان ويرضخ للمعتدى أو أن يخذل أخاه المسلم الذى يقع عليه الاعتداء فلا يتقدم للدفاع عنه . أما الحالة الثانية فهى التى يكون العدوان فيها موجها الى مال الشخص أو مال غيره فان الفقهاء المسلمين يرون أن الدفاع الشرعى فيها يكون حقا وليس بواجب ومن ثم فان تاركه لا يؤثم ، بعكس تارك الدفاع عن النفس أو العرض ، وعلى هذا ، الرأى الراجح فى الفقه الاسلامى .

الا أن الاختلاف بين الشريعة الاسلامية والنظريات الغربية يبدو على أشده فيما يتعلق بتبرير الدفاع الشرعى ، فالنظريات والاتجاهات التى ذكرناها سلفا وان كانت قد بررت الدفاع الشرعى تارة بأنه حق للمعتدى عليه بموجب القانون الطبيعى أو العقد الاجتماعى ، وتارة أخرى بأنه ترجيح لمصلحة على مصلحة أخرى يمنع قيام مسئولية المدافع عن فعل الدفاع ، وتارة ثالثة بررته باللجوء الى فكرة الاكراه الأدبى الا انها جميعا فشلت فى تبرير حالة الدفاع عن نفس الغير أو ماله ، فاذا كان القانون الطبيعى قد منح الانسان الحق فى أن يدافع عن نفسه أو عن ماله ، أو اذا كان الانسان قد احتفظ لنفسه بهذا الحق عند الدخول فى العقد الاجتماعى ، فان تفسير دفاعه عن نفس الغير أو ماله لم يرد فى هذه النظريات ، وبقى الموقف غامضا تماما ، وليس أقل منه غموضا موقف النظرية التى تقول بالاكراه الأدبى مبررا للدفاع الاجتماعى . ويرتبط بهذه المشكلة أخرى تتعلق باشتراط المماثلة بين فعل الاعتداء والفعل الذى يرد الاعتداء ، فهذه النظريات الغربية لم تفسر هذا الشرط وخاصة بالنسبة للدفاع عن نفس الغير أو ماله ، فلو أن المدافع عن نفسه استطاع ، بماله من امكانية تقدير القدر الحقيقى من الأذى الذىأصابه أو أصاب ماله ، أن يلحق بالمعتدى قدرا مماثلا من الأذى . فكيف يتسنى ذلك للغير ؟. ولماذا الزم المشرع الغير أيضا بالمماثلة ؟ وما تفسير ذلك فى الفقه الجنائى الاسلامى ، بعد ان لم نجد له تفسيرا لا فى القوانين الوضعية ولا فى الفقه الجنائى الغربى .

موقف الفقه الجنائى الاسلامى من المشكلة :

أعتبر الفقه الجنائى الاسلامى فعل الاعتداء المتلف للنفس أو للطرف سببا لا فى رد العدوان فحسب بل وفيما هو أهم من ذلك الا وهو زوال العصمة لدى المعتدى عن المحل القابل

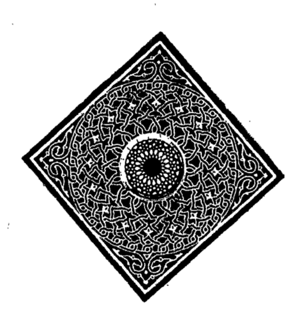
للمحل الذى قصده بعدوانه ، وهذا يعنى أن إقدام شخص ما على اتيان فعل يعتدى به على نفس شخص آخر ، يؤدى فى الوقت نفسه الى زوال العصمة عن نفس المعتدى بالقدر الذى قصده ، فاذا كان قد أراد ازهاق روحه فانه باعتدائه يزيل العصمة عن روحه هو بحيث يباح للمعتدى عليه أو الغير أن يزهقها دفاعا عن نفسه أو عن نفس غيره ، واذا قصد باعتدائه اتلاف عضو من اعضاء الشخص ، فانه باقدامه على تنفيذ عدوانه يزيل العصمة عن العضو المقابل لديه ، فيكون للمعتدى عليه ولغيره أن يتلف هذا العضو ، أى أنه بعدوانه يزيل العصمة عن نفسه أو عن أعضائه فتصبح مباحة للمعتدى عليه أو لمن يتدخل من الغير للدفاع عنه .

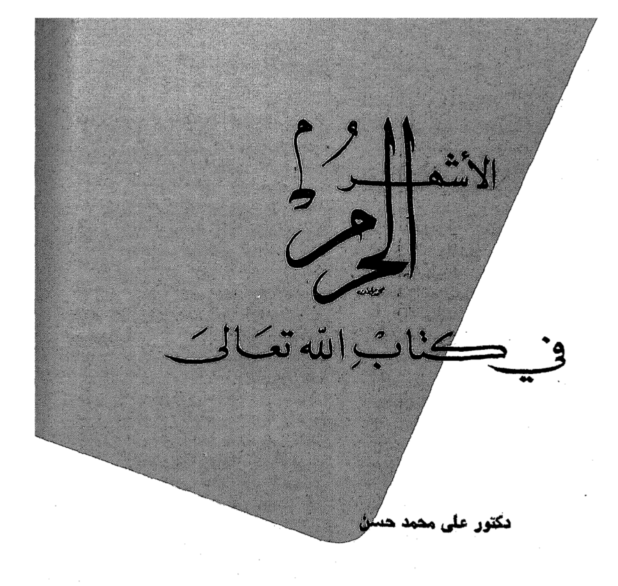
وهكذا وصل الفقه الجنائى الاسلامى الى تفسير واضح ومنطقى للدفاع الشرعى والى تبرير سليم لتدخل الغير فى الدفاع الشرعى . وكلا الأمرين أى التفسير والتبرير يستندان الى مبادىء الشريعة الاسلامية التى تقرر أن على المسلم أن يعامل الناس بمثل ما يجب أن يعاملوه به ، وأن على المسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

فمن قصد الاعتداء على شخص واتلاف عضو من أعضائه يجب عليه أن يدرك أن عمله هذا سينقلب عليه بحيث تقترن استباحته لعصمة عضو خصمه باباحة العضو المقابل لديه ومن ثم يجب عليه أن يتريث عند شروعه فى التعدى والتمهل عند البدء فى العدوان حتى لا يصاب بمثل ما سيصيب به خصمه ، فيتدبر أمره ويسعى الى حل خلافه بطريقة هادئة وودية قد تجعل خصمه يجنح هو الآخر للسلم وينبذ أسباب الخلاف .

أما تبرير الفقه الاسلامى لتدخل الغير وهو التبرير الذى عجزت النظريات الغربية كما رأينا ، عن الوصول اليه ، فهو التبرير المنطقى الوحيد الذى يجعل تدخل الغير مقبولا ومباحا ، واذا كان الدفاع الشرعى عن الغير يستند الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « انصر اخاك ظالما أو مظلوما » . وقوله : **« ان المؤمنين يتعاونون على الفتان »** فان ذلك هو المبدأ اما حدوده فتضعها قاعدة زوال العصمة عن المحل المقابل للمحل الذى اعتدى عليه المعتدى كان نفسه أو عضو من أعضائه . فطالما انه قد زالت عنه العصمة أصبح لأى شخص الحق فى أن يعتدى عليه لصيرورة الاعتداء مباحا دفاعا عن المعتدى عليه سواء ملك أو لم يملك القدرة على الدفاع عن نفسه ، وميزة هذا التفسير الفقهى الاسلامى أنه يضمن المماثلة فى جميع الأحوال لأن زوال العصمة يقتصر على المحل المقابل للمحل الذى اعتدى عليه المعتدى فلا يجوز أن يمتد فعل الدفاع الشرعى الى جزء آخر الا فى أحوال استثنائية . ولا يجوز أن يتجاوز فى القدر ما الحقه المعتدى عليه اذا كان مجرد ضرب أو ايذاء لا يصل الى حد اتلاف عضو أو أعضاء لدى المعتدى عليه وهنا يتضح أن الفقه الجنائى الاسلامى قد حل ببساطة شديدة جدا مشكلة اختلاف فعل الدفاع سواء كماً أو كيفاً عن فعل الاعتداء وهى المشكلة التى شغلت الفقه الغربى طويلا وخاصة بالنسبة للاعتداء بالقول الذى يرد عليه باعتداء بالفعل

كمن يسب أو يحذف شخصا فيرد هذا بالضرب أو بالجرح أو باتلاف عضو ، فالشريعة الاسلامية تقرر أنه « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » أى أنها تشترط المماثلة بين الاعتداء والرد عليه ، والفقه الاسلامى يقرر أن زوال العصمة لدى المعتدى يقتصر على المحل المقابل للمحل الذى يعتدى عليه عند المدافع، ومن ثم لا يجوز الرد بالضرب أو الجرح على السب أو القذف ، ويكون للسلطان أن يعاقب من يتجاوز حدود الدفاع على جريمة ضرب أو جرح ، وفى نفس الوقت يعاقب من صدر منه السب أو القذف بالعقوبة المقررة لذلك وهى حد القذف كذلك يشترط أن يكون الاعتداء حالا أو وشيك الوقوع، أما اذا كان غير حال فان الشخص المهدد بالاعتداء عليه أن يلجأ الى السلطان لحمايته دون أن يبادر الى الاعتداء على من يتوقع أو يتوهم صدور الاعتداء منه وهكذا يمكننا ، اذا أردنا ، أن نجد فى تراثنا القانونى الكثير من الحلول لمشكلاتنا القانونية ، دون حاجة الى اللجوء للفقه الجنائى الغربى ، والسير وراءه فيما يخرج به علينا كل يوم من نظريات اغلبها ضحل لا يصمد فى وجه النقد ، وهو ما رأيناه بالنسبة لكافة النظريات التى أوجزناها فى مقدمة هذه الدراسة . أو الأمر الذى لا شك فيه أن نظريات الفقهاء المسلمين فضلا عن أنها ستثرى فقهنا وتشريعنا الجنائيين فانها قادرة على أن تحرز احترام الفقه الغربى وتحصل على تقديره لأنها ستفتح له الطرق للوصول الى حلول سليمة لكل مشاكله القانونية . فهل نبدأ ؟





دكتور علي محمد حسن

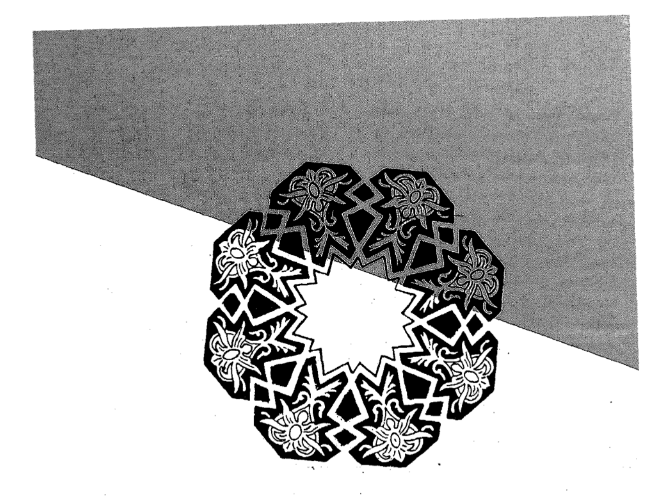
كان مما حافظ عليه العرب من شريعة ابراهيم — عليه السلام — تعظيم أربعة أشهر فى السنة القمرية، وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، ثلاثة سرد ، وواحد فرد .

فكانوا يمتنعون فيها عن الغارات والثارات ، والقتال بجميع أنواعه ، وكان احترامهم لها عظيما ، حتى كان الرجل منهم يلقى قاتل أبيه أو أخيه — ويتمكن منه — فلا يعرض له ، تعظيما لحرمة الشهر الحرام .

وإنما حافظوا على احترامها لحاجتهم الشديدة الى الأمن فى اشهر الحج ، حيث يقصدون مكة لأداء المناسك ، وللتجارة ، ثم ينصرفون الى مساكنهم فى وسط الجزيرة وأطرافها ، ثم عظم عليهم — بعد زمن طويل — أن يستمروا ثلاثة أشهر دون إغارة أو قتال ، فى حين كانت حياتهم تعتمد على الصيد وعلى الغارات ، فظهر فيهم رجال ذوو مكانة ورياسة استجابوا لرغبات بعضهم فى التحلل من هذه الشريعة على وجه من الوجوه .

رفعوا الحرمة عن بعض الشهور ، ولكنهم حرموا مكانه شهرا آخر ، فكان الرئيس منهم يقف فى الجموع ، وينادى بأنه أحل (المحرم) وحرم (صفرا) مكانه ، وبذلك تكون المخالفة فى خصوص الشهور ، لا فى أعدادها ، وهذا ما كانوا يسمونه (النسيء) . وكان موضع فخر من مفاخرهم ، يقول احد شعرائهم :

السنا الناسئين على معدٍّ
شهور الحل نجعلها حراما



فلما جاء الاسلام ابقى على هـذه الشعيرة من شريعة ابراهيم ، ودعا الى المحافظـة على هـذه الأشهر بأعيانها ، وأنكر عليهم النسىء ، بـل شدد فى النكير حتى أعتبره زيادة فى الكفر .

. . . .

وقد ورد ذكر الأشهر الحرم فـى ثلاث سور من القرآن الكريم : البقرة، والمائدة ، والتوبة . وجاء ذكرها فى موضعين فى كل سـورة من هـذه السور .

وسورة البقرة نزلت فى الطريق من مكة الى المدينة أيام الهجرة ، ثم نزلت سورة المائـدة ، ثم نزلت سـورة (براءة) فى السنة التاسعة مـن الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

وسنمضى مع الآيـات الكريمـة بحسب ترتيبها فى المصحف ، ونبين ما اقترن بكل آية ، حتى نقف على صورة واضحة تمثل لنا نظرة الاسلام مكتملة نحو هذه الأشهر الحرم .

وأول هذه الآيـات فـى الترتيب المصحفى قول الله تعالى : « الشهر الحـرام بالشهر الحـرام والحرمات قصاص فمن اعتـدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » .

ذكر العلماء أنها نزلت فى عمـرة القضاء بعد عام (الحديبية) فى ذى القعدة سنة سبع من الهجرة . وذلك أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذهب الى (مكة) يريد العمـرة سنة ست فصده كفار قريش ، فرجع بعد أن وعده الله سبحانه أنـه سيدخل البيت سنة سبع ، فلما دخلها واعتمر كما وعده الله نزلت هذه الآية .

وقد كان المشركون ــ فى سنة ست ــ قاتلوا المسلمين رميا بالسهام والحجـارة فانتهكوا حرمـة (ذى القعدة) عـام (الحديبية) ، وكان الكفار يعظمونه منذ الجاهلية الأولى ،

وكف النبي — صلى الله عليه وسلم — عن مجاوبتهم بالمثل لئلا يحتدم القتال بين الفريقين ، ثم خرج المسلمون في العام القابل ، وكرهوا قتال المشركين تعظيما للشهر الحرام ، فأنزل الله — عز وجل — هذه الآية ترشدهم الى أنه لا جناح عليهم في أن يقاتلوا في هذا الشهر ، إذ يكون جزاء أن قوتلوا في مثله من العام الفائت ، فمن انتهك حرمة الشهر كان معتديا وليس على من يرد الاعتداء بمثله أى جناح ، ولذلك جاء قوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » تأكيدا لما تضمنه قوله سبحانه : « الشهر الحرام بالشهر الحرام » .

وأما قوله سبحانه : « والحرمات قصاص » فهو كالقاعدة العامة التى نهجها الاسلام للمسلمين ، والقصاص المساواة ، ووجه اتصالها بأول الآية ان الله سبحانه اقتص للمسلمين من المشركين إذ صدوهم سنة ست ، فقضوا عمرتهم سنة سبع .

وفى عموم هذه القاعدة خلاف بين الفقهاء ، إذ يرى بعضهم أن ما تضمنته كان معمولا به فى أول الاسلام : أن من انتهك حرمة شخص نال منه مثل ما انتهك من حرمته ، ثم نسخت .

وقال الشافعى — وهو رواية فى مذهب مالك — انه يجوز لمن تعدى عليه فى مال أو جرح أن يتعدى بمثل ما تعدى به عليه ، إذ أخفى ذلك ، وليس بينه وبين الله شىء .

وقالت طائفة من أصحاب مالك : ليس له ذلك ، وأمور القصاص وقف على الحكام ، والأموال يتناولها قوله صلى الله عليه وسلم : (أدّ الأمانة الى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك) ، فمن ائتمنه شخص خانه لا يجوز له أن يخونه ، ويصل الى حقه مما ائتمنه عليه ، وهذا هو المشهور من مذهب مالك ، وبه قال أبو حنيفة تمسكا بهذا الحديث .

أورد ذلك كله القرطبى فى تفسيره ، ثم قال : قلت : والصحيح جواز ذلك كيفما توصل الى أخذ حقه ، ما لم يعد سارقا ، وأن ذلك ليس خيانة ، وإنما هو وصول الى حق .

وقد يبدو فى توقيت نزول الآية بعض الإشكال ، ذلك أن سورة (البقرة) نزلت — كما هو المشهور — فى الطريق بين مكة والمدينة ، فهى أول السور المدنية نزولا ، وهذه الآية — اذا صح ما قيل فى سبب نزولها — نزلت سنة سبع من الهجرة .

وجواب هذا الإشكال أن سورة البقرة لم تنزل مرة واحدة ، وإنما نزلت فى مدد شتى ، نزلت جمهرتها أيام الهجرة الاولى ، ونزل باقيها بعد ذلك فى آماد مختلفة ، ويؤيد هذا ما قيل من أن قوله تعالى : « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله » آخر ما نزل من القرآن ، وهو مروى عن ابن عباس — رضى الله عنهما — والآية من اواخر سورة البقرة ، وقيل إنه كان بين نزولها ووفاة النبى — صلى الله عليه وسلم — تسع ليال .

. . . .

ويأتى بعد هذه الآية فى الترتيب المصحفى قوله تعالى : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

والمشهور عند المفسرين أن سبب نزول هذه الآية قصة عبد الله بن جحش مع عمرو بن عبد الله ابن عباد الحضرمى ، وذلك ان النبى — صلى الله عليه وسلم — بعث ثمانية رجال من المهاجرين ، وأمَّر عليهم عبد الله ابن جحش ، وكتب له كتابا ، وأمره ألا ينظر فيه إلا بعد يومين من مسيره ، ونهاه أن يستكره أحدا من أصحابه على المسير معه بعد أن ينظر فى الكتاب ، فلما فض الكتاب وجد فيه : (إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا ، وتعلَّم لنا من أخبارهم). فلما قراه قال : سمعا وطاعة ، ثم اخبر اصحابه بما فى الكتاب ، وبأنه لا يستكره أحدا منهم ، وأنه منفذ أمر رسول الله ، ولو لم يسر معه أحد وقال لهم : من احب الشهادة فلينهض، ومن كره الموت فليرجع . فقالوا : كلنا نرغب فيما ترغب فيه ، وما منا أحد إلا وهو سامع مطيع لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — . فلما ساروا معه مرَّت بهم عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمى ، فتشاور المسلمون ، وقالوا : نحن فى آخر يوم من رجب ، الشهر الحرام ، فإن نحن قاتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام ، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم ، ثم اتفقوا على لقائهم ، فرمى أحدهم ابن الحضرمى فقتله .

وقيل إن عبد الله وأصحابه لم يعرفوا أن اليوم الذى قاتلوا فيه كان من رجب ، إذ خرجوا فى أخريات جمادى الآخرة ، فظنوه من جمادى . وهذا هو المروى عن ابن عباس .

وأيا ما كان فقد اتهم المسلمون أصحاب محمد بأنهم يهتكون حرمة الشهر الحرام . والنبى — صلى الله عليه وسلم — نفسه أنكر على أصحابه ما فعلوه ، فسقط فى أيديهم، فأنزل الله سبحانه هذه الآية .

والمعنى : يسألك — يا محمد — المسلمون أو المشركون عن القتال فى الشهر الحرام فأجبهم بأن القتال فيه جرم عظيم ، وإثم كبير ، ولكن ما تفعلونه من الصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ، وإخراج اهله منه ، ومن الكفر بالله أعظم عند الله إثما من القتال فى الشهر الحرام .

وقد اختلف العلماء — ايضا — فى نسخ هذه الآية . فقال بعضهم : إن قول الله تعالى : « قل قتال فيه كبير » منسوخ بقوله سبحانه : « وقاتلوا المشركين كافة » وبقوله : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » وكلتا الآيتين تسمى (آية السيف) . والنسخ هو مذهب جمهور العلماء ، فهم يرون أن قتال المشركين فى الأشهر الحرم مباح ، وإن اختلفوا فى الناسخ .

وقالت طائفة : إن القتال فى الشهر الحرام مستنكر ما لم يعتد الكفار على المسلمين ، فيكون قتال المسلمين — حينئذ — دفعا لا اعتداء .

وقد روى أبو الزبير عن جابر ، قال : كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لا يقاتل فى الشهر الحرام إلا أن يغزى .

وإذا صح ما قيل فى سبب نزول هذه الآية ، والآية السابقة كان ذلك موضع تساؤل ، ذلك أن آية : « الشهر الحرام بالشهر الحرام » نزلت فى سنة سبع ، وهذه الآية : « يسألونك عن الشهر الحرام » نزلت بسبب قصة عبد الله بن جحش ، وقد بعثه الرسول الى مكة قبل بدر بشهرين ، وقد قيل فى ذلك : إن عبد الله بن جحش اول أمير فى الاسلام ، بل قيل له : (أمير المؤمنين) ، وابن الحضرمى اول قتيل فى الاسلام ، وما غنمه المسلمون — فى هذه الواقعة — أول غنيمة فى الاسلام .

ووجه التساؤل أنه بحسب أسباب النزول تكون الآية المتأخرة فى النزول سابقة فى الترتيب المصحفى . ذلك واقع إذا صح سببا النزول فى كل من الآيتين . ومن المعروف أن بعض الآيات كان ينزل متفرقا ، ويؤمر النبى — صلى الله عليه وسلم — بأن يضع آية كذا فى موضع كذا ، وقد توضع الآية فى موضع تكون الآيات التى بعدها قد سبقتها فى النزول .

وقد جاءت فى سورة المائدة — كما أسلفت — آيتان فيهما ذكر الشهر الحرام ، ومن المشهور أن المائدة نزلت قبل براءة ، وقيل أن المائدة آخر سورة نزلت من القرآن ، والمعروف أيضا أن (براءة) نزلت سنة تسع ، وأن النبى — صلى الله عليه وسلم — أرسل بها عليا ليقرأها على الناس فى موسم الحج ، وكان الذى يحج بالناس فى ذلك العام هو سيدنا أبو بكر . ولكن مما روى أيضا أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قرأ سورة المائدة فى خطبته فى حجة الوداع ، وقال : (يأيها الناس إن آخر القرآن نزولا سورة المائدة فأحلوا حلالها ، وحرموا حرامها) .

ومن عجيب ما يروى من ذلك أن سورة (براءة) نزلت بعد سورة (البقرة) بسنتين ، ذلك أن المشهور عند العلماء أن البقرة أول سورة نزلت بالمدينة ، وأن (براءة) نزلت سنة تسع ، إلا أن يكون المراد أن جمهرة سورة البقرة نزلت أولا ، ثم تم نزولها فى وقت متأخر ، ولعل ذلك كان فى السنة السابعة من الهجرة .

. . . .

جاء فى الآية الثانية من سورة المائدة قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا » .

وجاء فى أواخرها قوله تعالى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وأن الله بكل شىء عليم » .

وكأن الآية الثانية تعليل لما فى الآية الاولى ، على بعد ما بينهما ، فالله سبحانه جعل البيت الحرام . والشهر الحرام قياما للناس ، أى جعل مكانا وزمانا يأمن فيهما الناس على انفسهم وعلى أموالهم ، وعلى أداء مناسكهم ، كما جعل الهدى والقلائد من أسباب الأمن لهم ، فبهذا تتحقق مصالح دنياهم ، ومصالح دينهم .

روى ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن زيد ، قال : كان الناس فيهم ملوك يدفع بعضهم عن بعض ، ولم يكن فى العرب ملوك يدفع بعضهم عن بعض ، فجعل الله لهم البيت الحرام قياما يدفع بعضهم عن بعض به ، والشهر الحرام كذلك يدفع الله بعضهم عن بعض بالأشهر الحرم ، والقلائد ، ويلقى الرجل قاتل أبيه وابن عمه فلا يعرض له .

وهكذا كانت عادتهم فى الجاهلية . لو جنى الرجل كل جناية ، ثم لجأ الى الحرم أمن على نفسه وماله ، وكان الرجل لو لقى الهدى مقلدا لم يعرض له ، ولم يقربه مهما بلغ منه الجوع ، وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فتمنعه من الناس ، وإذا عاد منه تقلد قلادة من بعض نبات الحرم فتحميه من الناس حتى يأتى اهله .

وهذه صور كانت لهم فى الجاهلية مبنية على أصل ، وهو حرمة البيت

الحرام ، وحرمة الشهر الحرام . وحرمة الهدى والقلائد ، ولا يزال الأصل فى الاسلام ثابتا .

والمراد بالشهر الحرام هنا . قيل : ذو الحجة ، وقيل : جنس الشهر الحرام النسء الذى كان يفعله أهل

ولما كانت هذه الأشياء قياما للناس فى أمور دينهم ودنياهم نهى الله سبحانه وتعالى عن إحلالها وذلك — كما يقول ابن عباس — أن تصيد وانت محرم ، وأن تقاتل فى الشهر الحرام ، وقيل المراد بإحلال الشهر الحرام النسء الذى كان يفعله أهل الجاهلية .

والظاهر ما عليه جمهور العلماء من نسخ هذه الآية ، لإجماع العلماء على أن الله عز وجل قد أحلّ قتال أهل الشرك فى الأشهر الحرم وغيرها ، وكذلك أجمعوا على أن المشرك لو قلد عنقه وذراعيه جميع لحاء الشجر لم يكن ذلك أمانا له من القتل ، إذا لم يكن تقدم له عقد ذمة أو أمان ، وكذلك أجمعوا على منع من قصد البيت بحج أو عمرة من المشركين لقوله تعالى : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » .

والثابت أننا نهينا أن نتعرض لمن يقصد بيت الله من المسلمين فى الشهر الحرام أو فى غيره ، وإنما خص الشهر الحرام لزيادة فضل له عن بقية الأشهر ، ولله سبحانه أن يفضل من الأمكنة والأزمنة على غيرها ما يشاء .

. . . .

وفى سورة التوبة ورد ذكر الأشهر الحرم فى موضعين :

الأول : فى قوله تعالى : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم » .

لما أعلن القرآن الكريم براءة الله ورسوله من المشركين ، وحث المؤمنين على أن يتموا عهد ذوى العهد الى مدتهم ، إذا لم ينقصوهم شيئا ، ولم يظاهروا عليهم أحدا ، وأمن من لم يكن له عهد أربعة أشهر لا يعرض لهم المؤمنون اذن للمسلمين أن يقتلوا المشركين حيث وجدوهم ، إذا انسلخت الأشهر الحرم .

وقد اختلف العلماء فى المراد بالأشهر الحرم فى هذه الآية ، فقال بعضهم إنها الأربعة الأشهر الواردة فى الآية السابقة ، وهى قوله تعالى : « فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر » وسميت حرما لأن الله حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين ، أى فإذا انقضت مدة الأمان فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد .

وقال آخرون : هى الأشهر الحرم المعروفة ، ومن قال منهم ان هذه الآية نزلت ليلة النحر قال ان المدة المشار اليها هى خمسون يوما ، فإذا انتهى المحرم جاز للمسلمين ان يفعلوا بالمشركين ما ذكرته الآية الكريمة ، والمراد بالقعود لهم كل مرصد القعود لهم فى مواضع الغرة لاغتيالهم أو لمعرفة أخبارهم وأحوالهم ، وغدوهم ورواحهم .

الثانى : فى قوله تعالى : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا

ان الله مع المتقين إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين » .

وفى هاتين الآيتين خلاصة كل ما قيل وما عرف عن الأشهر الحرم ، وهما وإن كانتا من آخر القرآن نزولا كانتا معروفتى المعنى عند المسلمين من بدء الدعوة الاسلامية ، فالعرب كانوا يعظمون هذه الأشهر ، وكان كثير منهم ينكرون النسىء ، وقد أقرهم الاسلام على كلا الأمرين .

أما بيان الأشهر بأعيانها فقد ورد فى الحديث الشريف الذى خوطب به المسلمون فى حجة الوداع : (أيها الناس ، إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم : ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان) .

قال الألوسى فى كتابه (بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب) : زعم يوسف بن عبد الملك فى كتابه : (تفضيل الأزمنة) أن هذه المقالة صدرت من النبى — صلى الله عليه وسلم — فى شهر مارس، وهو آذار، وهو برمهات بالقبطية ، وفيه يستوى الليل والنهار عند حلول الشمس برج الحمل ، والمراد بالزمان السنة .

ومعنى كهيئته اى استدار مثل حالتــه الأولى ، والمراد باستدارتــه وقوع تاسع ذى الحجة فى الوقت الذى حلت فيه الشمس برج الحمل حيث يستوى الليل والنهار .

وأضاف (رجب) الى مضر لأنهم كانوا متمسكين بتعظيمه بخلاف غيرهم ، فيقال : إن ربيعة كانوا يجعلون بدله رمضان .

وذكر القرطبى فى تفسيره ان (علماء التعديل قد اختبروا ذلك فوجدوا الشمس فى برج الحوت وقت قوله عليه السلام : (إن الزمان قد استدار كهيئته) بينها وبين الحمل عشرون درجة ومنهم من قال : عشر درجات . والله أعلم) .

والمشهور أن المراد باستدارة الزمان هو رجوع الحج الى تاسع ذى الحجة ، وكان ذلك قد تغير بنسىء الشهور ، وذو الحجة هو شهره الأصلى . ويقال إن سيدنا أبا بكر حج فى السنة التاسعة من الهجرة فى ذى القعدة ، فلما حج النبى — صلى الله عليه وسلم — وافق يوم عرفة التاسع من ذى الحجة ، وقد أصبح ذلك دينا وشرعا .

ومعنى فى (كتاب الله) اللوح المحفوظ ، أو حكمه التشريعى . وقال الزمخشرى : فيما أثبته وأوجبه من حكمه ، ورآه حكمة وصوابا .

« ذلك الدين القيم » يعنى أن تحريم الأشهر الحرم الأربعة هو الدين المستقيم ، دين ابراهيم واسماعيل ، وقيل : أى الحساب الصحيح ، والعدد المستوفى . وعن ابن عباس : أى ذلك القضاء . قال القرطبى : والأصوب عندى أن يكون الدين ها هنا على اشهر وجوهه ، أى ذلك الشرع والطاعة .

والضمير فى (فيهن) راجع الى جميع الأشهر ، وقيل الى الأشهر الحرم ، وعلى الأول فالأمر ظاهر ، أما على الثانى فإن تحريم الظلم فى الأشهر الحرم مع انه محرم فى كل وقت من باب تعظيم الظلم فيها .

وقال بعض العلماء : إن الأنفس بطبعها مجبولة على الظلم والفساد ،

والامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس . لا جرم ان الله خص بعض الأوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان فى تلك الأوقات من فعل الظلم والقبائح والمنكرات ، فربما تركها فى باقى الأوقات فتصير هذه الأوقات الشريفة ، والأشهر المحرمة المعظمة سببا لترك الظلم ، وفعل المعاصى فى غيرها من الأشهر ، فهذا وجه الحكمة فى تخصيص بعض الأشهر دون بعض بمزيد التشريف والتعظيم ، وكذلك الأمكنة أيضا .

ومعنى ظلم النفس فيها القتال ، وهو منسوخ بإباحة القتال فى جميع الشهور ، أو ارتكاب المعاصى فيها ؛ ولذلك رأى بعض العلماء أن العقاب يضاعف على الذنب فى الشهر الحرام ، كما يضاعف الثواب على العمل الصالح فيه ، ورأى الإمام الاوزاعى أن القتل فى الشهر الحرام تغلظ فيه الدية ، كما تغلظ على القتل فى الحرم فتجعل دية وثلثا ، وهو مذهب الشافعى ايضا ان تغلظ الدية فى البلد الحرام ، وفى الشهر الحرام، وفى قتل ذوى الرحم . وخالف فى ذلك أبو حنيفة ومالك واصحابهما فاعتبروا القتل فى الحرم وفى الحل سواء ، وفى الشهر الحرام وفى غيره سواء :

. . . .

وفى الآية الثانية من هاتين الآيتين وصف للنسىء بأنه زيادة فى الكفر ، وبأنه يضل به الذين كفروا ، وأن الذين فعلوه من العرب انتهكوا شعائر الله ، فهم يحلون ما حرم الله ، وقد كانوا يفعلونه على وجه يخيلون به أنهم باقون على شريعة الله ، فإذا أحلوا شهرا حرموا مكانه شهرا آخر، وبذلك تبقى الأشهر الحرم اربعة . فهى موافقة لما حرم الله فى العدد لا فى الذوات ، وهذا معنى قوله سبحانه : (ليواطئوا عدة ما حرم الله) .

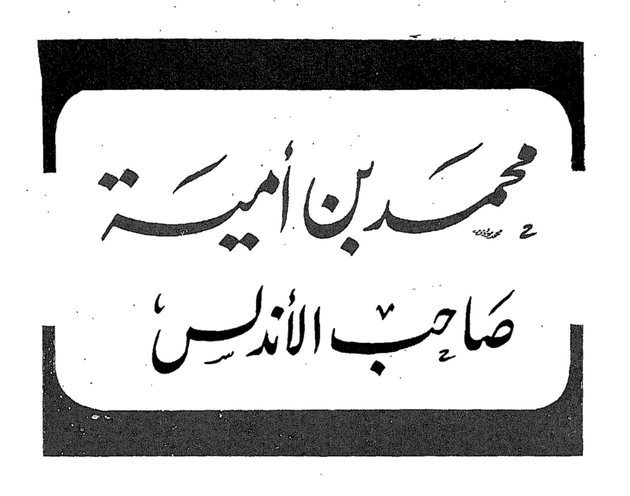
وقد كانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر ، فيستحلون المحرم ، ويحرمون صفرا ، فإذا احتاجوا الى تاخير تحريم صفر أخروه الى ربيع الأول ، وهكذا يؤخرون شهرا بعد شهر حتى يستدير التحريم على السنة كلها .

وقد اختلفوا فى أول من نسأ الشهور ، فروى أنه رجل من بنى كنانة يقال له : (نعيم بن ثعلبة) ، وروى أنه رجل من بنى كنانة يقال له : (القلمس) ، قال الشاعر :

« ومنا ناسىء الشهر القلمس » ، وروى أن أول من سن النسىء عمرو ابن لحى . .

وكان الناسىء يقوم خطيبا إذا هم الناس بالانصراف من الحج ، ويقول : لا مرد لما قضيت ، أنا الذى لا أعاب ولا احاب (اى لا انسب الى حوب وهو الذنب) ، ثم يقول : إن صفر العام حرام ، او يقول : إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ، ثم يقوم فى العام القابل فيقول : إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه .

وقد شدد القرآن الكريم النكير على النسأة فوصف فعلهم بأنه (زيادة فى الكفر) ، وختمت الآية الكريمة بوعيد شديد أيضا : (والله لا يهدى القوم الكافرين) فهم كافرون ، والله لا يهدى الى شريعته وحكمه الا المؤمنين ، فهم المستحقون للهداية التى توصلهم الى سعادة الدنيا والآخرة .



للاستاذ فاضل خلف

أشرقت صفحات التاريخ بذكر أبطالنا الخالدين ، الذين أرسوا قواعد دولة العرب والاسلام فى الاندلس ، أولئك الأبطال الذين اقترنت أسماؤهم بالنصر الباهر والفتح المبين كطارق بن زياد ، وعبد الرحمن الداخل ، وعبد الرحمن الناصر ، ومحمد بن أبى عامر ، ويوسف بن تاشفين ، أولئك الأبطال الذين جاءوا فى شباب دولة الأندلس ، فسرهم الزمان . وهناك ابطال برزوا على مسرح الحوادث ، وكانت الدولة فى هرمها ، فسرهم الزمان مرة وساءهم مرات ، كملوك الطوائف والموحدين ، وأمراء بنى الأحمر . وغيرهم ، ولكن هناك أبطال مجهولون أنجبتهم الأندلس ، بعد أن صوح روض العرب فى تلك الديار ، وغابت عنها شمس الاسلام .

أجل لقد ظهر فى الأندلس ، أبطال

لم يقدر لهم النجاح ، برغم كفاحهم المرير ، وجهادهم المتواصل . لقد كانت مرابعهم ضاحكة مستبشرة فى عهد الاجداد ، وقد زانتها مآثر العرب ومحامد الاسلام . ولكنها غدت فى عهدهم موحشة كئيبة ، صبغتها الدماء وردتها الدموع ، والهبت جنباتها نيران الظلم وسعير الاضطهاد . والآن من هم أولئك الأبطال المجهولون ؟

وقبل أن نأتى بحديثهم الشجىء ، لا بد لنا من رجعة الى الوراء — أى قبل ظهورهم على مسرح الحياة ، بستة وسبعين عاما — لنرى أبا عبد الله الصغير ، الأمير محمد بن على ابن نصر ، وهو يسلم مفاتيح غرناطة الى الاسبان . حسب شروط بلغت سبعة وستين ، منها — كما يحدثنا المقرى — فى كتابه نفح الطيب — تأمين المسلمين فى النفس والاهل والمال ، وإبقاؤهم فى أماكنهم ودورهم وربوعهم وعقارهم ، ومنها اقامة شريعتهم على ما كانت ، ولا يحكم على أحد منهم الا بشريعتهم ، ومنها كذلك — أن تبقى المساجد كما كانت . وقد وقع على وثيقة الشروط الملكان فردينان وايزابيلا ، ووضعا اسميهما تحت هذا القسم :

« نؤكد ونقسم ، وبايماننا وكلامنا الملوكى ، اننا نحافظ ونأمر بالمحافظة على مضمون جميع ما هنا ، من كل شىء وكل جزء ، الآن وفيما بعد الآن وفى كل آن » .

وكان تسليم غرناطة ، فى ٨٩٧ هـ و ١٤٩٢ م ، آخر يوم من أيام الدولة العربية فى الاندلس ، وقد هاجر الملك المخلوع ، وهاجر معه كثير من الاندلسيين . وعز على السواد الأعظم ، ترك الوطن الحبيب ، الذى عاش فيه الآباء والاجداد ، لا سيما وقد ضمنت لهم وثيقة التسليم ، أهم ما يحتاجون اليه فى حياتهم . تحت ظل الدولة الجديدة ، وهو الامان وحرية المعتقد . وحرية التنقل . ولكن هل يفى الغالب بالشروط ؟ ومن هو الغالب اليوم ؟ انه سليل المغلوب بالامس ، وقد كان فى صراع — هو وآباؤه واجداده — دام ثمانية قرون ، لاجلاء الغالب عن أرضه . وقد تم له ما أراد ، وأصبح العرب فى تلك الربوع ، بدون حكومة أو محام ، وثارت فى نفس الغالب الجديد ذكريات قديمة ، الهب نيرانها صراع طويل .

واخذ المتغلب الجديد ، يغير نياته بسرعة ، ولم يتمتع بقايا العرب فى الاندلس بالشروط المتفق عليها سوى وقت قصير . ثم بدأ الاسبان ينقضون شروطهم ، حتى لم يبق منها شرط واحد يحتمى به المغلوب . واخذت الغارات تتوالى على المسلمين ، بكل قسوة ووحشية ، للتخلى عن دينهم ولغتهم . واغلقت مدارسهم ومساجدهم ، ومنعوا من اقامة شعائرهم الدينية ، ومناسباتهم الوطنية . وبعد سبع سنوات فقط ، من تسليم غرناطة ، أجبر الأندلسيون على التنصر ، ففر من استطاع منهم الفرار ، وتنصر الباقون خوفا من الموت . وفى غمرة هذه الأحداث أحرق الاسبان فى ساحات غرناطة أعظم مكتبة عربية فى الأندلس ، وكانت خلاصة الفكر فى ذلك الوطن المفقود .

فاجبر العرب المتصرون على السكن فى احياء خاصة وحرم عليهم حمل السلام ، وفرضت عليهم الاقامة الجبرية . وكان جزاء المعارضين منهم التشريد والقتل ، بل لقد كانت المحارق

وزحفت الحامية الاسبانية الموجودة فى غرناطة ، على البشارات لتحطيم الثورة فتصدى لها محمد ابن امية ، برجاله الذين تعاهدوا معه على الموت أو الحياة الحرة الكريمة . وحاول الاسبان ان يجنحوا للسلم ، خوفا من تفاقم الأمر وثورة بقية المدن الاسبانية التى ينتشر فيها بقايا العرب وكان محمد بن امية يميل الى الصلح — كذلك — تجنبا للعواقب الوخيمة التى ستحل بقومه ، ولكن جنسوده الذين ذاقوا الأمرين من السياسة الاسبانية رفضوا الصلح بكل شدة ، فتلاقى الجمعان .

ودارت معركة حامية الوطيس بين الجيشين ، رجحت فيها كفة الجيش الاسباني المنظم ، وتشتت بقايا الاندلسيين فى جبال البشارات، ومن بينهم اهل بيت القائد محمد بن امية ، الذى اعتصم بالجبال مع فلول جيشه . هذا ما كان من أمر المعركة فى البشارات فما هو أمر غرناطة التى تضم الوفا من المورسيكيين ؟ لقد خشى الاسبان من حى البيازين العربى الذى كان مركزا للتجمع المورسيكى ، لذلك فقد اتخذت تدابير صارمة ضدهم ، لكى لا يفلت منهم احد لنجدة الثوار ونفذ حكم الاعدام فى كثير من اعيانهم ، مما جعل الثوار فى البشارات يتحدرون من مخابئهم فى كهوف الجبال لمواصلة القتال ، والتف الاندلسيون مرة أخرى حول قائدهم الجرىء محمد بن امية ، الذى أرسل الى القسطنطينية ، والمغرب العربى فى طلب النجدة ، فلباه اهل المغرب ، وجالية تركية كانت موجودة فى المغرب العربى .

وصدم محمد بن امية الاسبان صدمة عنيفة ، مزقت جموعهم المحتشدة فى سهول البشارات . وقد كان فى عزمه الزحف على غرناطة . ولكنه خر صريعا فى ظروف غامضة ، وطويت صفحة « مشرقة » من صفحات البطولة والايثار . فقد كانت سبل العيش ميسرة له ولاولاده من بعده فى اسبانيا ، ولكنه نبذ المركز فى سبيل دينه الاسلامى القديم ، ولغته العربية الضائعة ، وقومه المنكوبين . فخسر مستقبله المعيشى، وقضى على أهل بيته ، بالتشرد والحرمان والمصير المجهول ، ولكنه سجل فى قلب التاريخ،أروع صفحات البطولة والفداء ، ومن المؤسف ان هذا البطل العظيم ليس له اى ذكر فى تاريخ العرب ، ولولا ما كتبه عنه بعض المؤرخين الاوربيين ، وفى مقدمتهم الكاتب الانجليزى ، الدكتور « لى » لاسدل عليه التاريخ ستارا قاتما من النسيان . *

وقد بايع الأندلسيون بعد مصرع محمد بن أمية ، مجاهدا آخر ، لا يقل عن سلفه الراحل شجاعة وايمانا بدينه ولغته وقومه . وكان يدعى ابن عبو ، وعندما تقلد زمام الأمور ، تسمى بمولاى عبد الله بن محمد . وعندما راى الأسبان صلابة الاندلسيين وعزمهم على مواصلة القتال ، خافوا من ثورة أهل البيازين بغرناطة ، فشتتوهم فى أنحاء عديدة من أسبانيا ، فما كان من القائد الجديد ، مولاى عبد الله بن محمد الا ان زحف نحو غرناطة ، ليوقف عمليات التشريد عند حدها ، واستطاع فى الجولات الاولى أن ينتصر على طلائع الاسبان مما جعل الاندلسيين يتدفقون على معسكره من جميع انحاء البشارات ، ويلتفون حوله ويبايعونه ، على الجهاد المقدس . واخذ يغير على ضواحى غرناطة . اما الاسبان ، فأخذوا ينظمون صفوفهم ، ويعززون حامياتهم فى المناطق المهددة . ثم

* للمزيد من المعلومات يراجع كتاب(نهاية الاندلس) للاستاذ محمد عبد الله عنان.

زحفوا على الاندلسيين ووقعت بين الفريقين مواقع عديدة أبلى فيهـــا الاندلسيون بلاء حسنا . وحـــاول الاسبان وقف القتال بالطرق السلمية، ولكن الثوار ، فقدوا كل أمل في وعود وشروط الاسبـــان فصمموا على مواصلة القتال حتى الموت . وتقـدم الاسبان بجيوشهم نحو الانـدلسيين ففر من استطاع منهم الفرار الـى الجبال وعبر من استطاع منهم البحر الى المغرب العربى ، وأما الـــذين وقعوا في قبضة العدو ، فقد نالهم البلاء العظيم ، ولم يجد الاسبـــان طريقة للخـــلاص من الموريسكيين سوى نفيهم الى خارج اسبانيا ، وقد صدر هذا القرار في سنة ١٥٧٠ أى بعد مضى عامين على ثورتهم بقيادة محمد بن أمية . ولكن القرار لم ينفذ ، الا بعد أربعين عاما .

أما مولاى عبد الله بن محمد ، فقد اعتصم بالجبال ليجمع فلوله المبعثرة ، وينظم صفوفه الممزقة ، ولكن الاسبان اهتدوا الى مخبئه ، ووقعت بينــــه وبينهم معركة صغيرة فاصلة ، قاوم فيها حتى خر صريعا في ميـــدان الشرف ، بعد ان ادى واجبه نحو دينه ولغته وقومه في الاندلس خير اداء وبعد ان كتب اسمـــه في سجـــل الخالدين .





في رحلة ابن بطوطة

يعد ابو عبد الله محمد بن بطوطة من اكبر مستكشفي العرب ورحالاتهم وقد بدأ رحلته المعروفة وهو في الحادية والعشرين من عمره في أوائل القرن الثامن الهجري حيث جاب الارض ، وجاس خلال الديار ما يقرب من ثلاثين عاما ، زار في أولها المدينة المنورة وأدى فريضة الحج .

وقد دون ابن بطوطة وقائع رحلته كلها بما صادفه فيها من غرائب ، وما سمعه من قصص وطرائف وحكايات في كتابه « تحفة النظار في غرائب الأسفار » الذي قال في بدايته :

« كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة ، معتمداً حج بيت الله الحرام ، وزيارة مدينة الرسول عليه أفضل السلام ، منفردا عن رفيق آنس بصحبته ، وراكب اكون في جملته ، لباعث على النفس شديد العزائم ، وشوق الى تلك المعاهد الشريفة كامن في الحيازم » .

وقد خرج ابن بطوطة الى رحلة الحج من دمشق مع حجيجها في ركب عليه اميره سيف الدين الجوبان ،

للأستاذ عزت محمد ابراهيم

وقاضيه شرف الدين الازدى الحورانى واقام مع الركب فى قرية بصرى التى كان من عادة حجاج دمشق ان يقيموا بها اربع ليال ليلحق بهم من تخلف عنهم ، وهى القرية التى وصل اليها النبى عليه السلام قبل البعثة فى تجارته لخديجة رضى الله عنها ، وفيها مبرك ناقته ، وكان قد بنى عليها مسجد عظيم زمن الرحلة .

ومن قرية ((بصرى)) اتجه الركب الى ((معان)) ثم الى ((تبوك)) الموضع الذى غزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها عين ماء كانت تبض بشىء منه ، فلما نزلها الرسول وتوضأ منها جاءت بالماء المعين غزيرا يتدفق تدفقا وينثال انثيالا .

وذكر ابن بطوطة انها كانت على هذه الحال فى عهده .

وعندما وصل الحجيج المدينة المنورة ، وقفوا بباب السلام مسلمين وصلوا بالروضة الكريمة بين القبر والمنبر ((حامدين الله تعالى على البلوغ الى معاهد رسول الله الشريفة ومشاهده العظيمة المنيفة ، كما يقول صاحب الرحلة .

ووصف ابن بطوطة المسجد النبوى الشريف على زمانه فقال : إنه مستطيل ، تحف من جهاته الاربع بلاطات دائرية ، ووسطه صحن مفروش بالحصى والرمل ، ويدور بالمسجد الشريف شارع مبلط بالحجر المنحوت ، والروضة المقدسة فى الجهة القبلية مما يلى الشرق فى المسجد الشريف .

وتحدث عن بناء الرسول لمسجده فقال : إنه نزل على بنى النجار بدار ابى ايوب الانصارى بعد قدومه عليه السلام الى المدينة فى الثالث عشر

من ربيع الأول ، فاقام عنده سبعة أشهر ريثما بنى مساكنه ومسجده ، وكان موضع المسجد مربدا لسهل وسهيل ابنى رافع بن أبى عمر ، وكانا يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة، فابتاع الرسول ذلك المربد منهما ، وقيل : إنهما وهباه له .

وتحدث عن محراب المسجد فقال: إن أول من بناه هو مروان بن الحكم ، أو عمر بن عبد العزيز في خلافة الوليد ، على خلاف فى ذلك .

أما منبر المسجد فقد صنع زمن الرسول عليه السلام ، بعد أن كان يخطب الى جذع نخلة ، واختلفت الروايات فيمن صنعه ، فقيل : إنه تميم الدارى ، وقيل : إنه غلام للعباس رضى الله عنه ، أو غلام لامرأة من الأنصار .

وذكر ابن بطوطة ان معاوية بن أبى سفيان حين ولى الخلافة اراد نقل المنبر الى الشام فضج المسلمون واظهروا استياء عظيما ، وأنه هبت ريح صرصر عاتية ، وخفت الشمس، وظهرت النجوم نهارا ، واظلمت الأرض حتى كان الناس لا يرون بعضهم بعضا ، فلما رأى معاوية ذلك رجع عما كان قد انتوى ، وترك المنبر مكانه .

وكان إمام المسجد فى عهد دخول ابن بطوطة المدينة هو بهاء الدين بن سلامة من أهل مصر ، وكان يخطب به قبل عهده سراج الدين عمر المصرى الذى اقام على قضائها أربعين سنة ، وقد ذكر ابن بطوطة عنه حكاية قال فيها : إنه راى فى المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاه عن السفر ومغادرة المدينة الشريفة ، وانباه باقتراب اجله ، فلم ينته ، وخرج منها قاصدا مصر ، فمات فى الطريق ((فى موضع يقال له سويس على مسيرة ثلاث من مصر)) كما يقول :

ومن المشاهد الكريمة فى المدينة المنورة التى تحدث عنها ابن بطوطة ((البقيع)) بشرقى المدينة ، ومسجد قباء ، على نحو ميلين منها ، وقال عنه : إنه مسجد مربع فيه صومعة بيضاء طويلة تظهر على البعد ، وفى وسطه مبرك ناقة النبى عليه السلام وفى الجهة القبلية من صحنه محراب على مصطبة هو أول موضع ركع فيه النبى صلى الله عليه وسلم .

وكانت بعثة حجاج دمشق ومعها ابن بطوطة تبيت كل يوم فى المسجد النبوى الشريف ، حيث يرى الناس وقد تحلقوا فى صحن المسجد يتلون القرآن الكريم أو يذكرون اسم الله عزوجل ، وظل على تلك الحال حتى قصد مكة المكرمة اداء لفريضة الحج .

وقد قصد ابن بطوطة البلد الأمين مبتدئا بمسجد ذى الحليفة لابسا ثياب الإحرام ، ثم مارا بعد ذلك ببدر ، ورابغ ، وخليص ، حتى وصل الى البلد الحرام الذى شرفه الله بزيارته مدونا فى رحلته قوله :

((الحمد لله الذى شرفنا بالوفادة على هذا البيت الكريم ، وجعلنا ممن بلغنا دعوة الخليل عليه الصلاة والتسليم ، ومتع أعيننا بمشاهدة الكعبة الشريفة ، والمسجد العظيم ، والحجر الكريم ، وزمزم والحطيم)).

وتحدث ابن بطوطة عن فرحة حجاج بيت الله الحرام باداء هذه الفريضة مع ما يلاقونه فى سبيلها من مشاق ، وما يتجشمونه من متاعب قد لا يستطيع الناس اليوم ان يقدروا مداها ، بعد ان يسر الله من أمر الحج ما كان صعبا عسير الاحتمال ، فلم يعد حجيج اليوم يكابدون من المشاق ما كان يكابده غيرهم فى ازمان سابقة من جهد وتعب ، بل تعريض الأنفس والأرواح

لخطر الموت أو عاديات الطريق .
وبالرغم من كل ما كان يعترض الحجاج من مصاعب ، فإنهم لا تكاد أعينهم تكتحل برؤية الكعبة المشرفة حتى ينسون آلامهم ، ويرفعون الى الله أيدى الضراعة والرجاء أن يكون لهم حظ فى زيارة أخرى ، أو أن يكتب الله لهم ميتة حميدة فى أرضه المباركة .
ويذكر ابن بطوطة شعور الحجاج عند الكعبة المشرفة بقوله :
((كم من ضعيف يرى الموت عيانا دونها ، ويشاهد التلف فى طريقها ، فاذا جمع الله بها شمله ، تلقاها مستبشراً كانه لم يذق لها مرارة ، ولا كابد محنة ولا نصبا)) .
وكانت مكة المكرمة على عهده مدينة كبيرة مستطيلة فى بطن واد تحف به الجبال المطلة عليها ، وهى كذلك منذ أراد الله أن يتخذ منها مثابة للناس وأمنا ، وأكثر أحيائها المعروفة اليوم كانت موجودة زمن رحلته ، فقد تحدث عن شعبى أجياد الأكبر ، وأجياد الأصغر من جهة جبل أبى قبيس ، كما ذكر ابواب مكة الثلاثة : باب المعلى بأعلاها ، وباب الشبيكة فى أسفلها ، وباب المسفل (وهو اليوم المسفلة) من جهة الجنوب ، وهو الباب الذى دخل منه خالد بن الوليد يوم الفتح ، والزاهر من الأحياء التى تحدث عنها ابن بطوطة فقال
((إنه على نحو ميلين من مكة على طريق التنعيم ، وهو موضع على جانبى الطريق ، فيه أثر دور وبساتين وأسواق)) .
كما ذكر مقبرة المعلى ، ويعرف موضعها بالحجون ، وهو الذى قال فيه الحارث بن مضاض الجرهمى بيتيه المشهورين :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا اهلها فابادنا
صروف الليالى والجدود العواثر

واذا كان ابن بطوطة قد عد مكة المكرمة ((مدينة كبيرة)) فانما كان ذلك بمقياس زمانه ، وهى لم تكن تزيد مساحة عما بين ((الحجون الى الصفا)) ، وهى اليوم مدينة كبيرة حقا ، قد اتصلت أحياؤها بعضها ببعض ، فلم يعد الزاهر موضعا على نحو ميلين منها ، وانما اتصل بها اتصالا وثيقا ، واصبح فى مواضع آثار الدور والبساتين والاسواق عمارات شاهقة ، وحدائق غناء ، وشوارع رحبة فسيحة ، وشان الزاهر من أحياء مكة شان غيره من الاحياء ، حتى كادت حدود مكة المكرمة أن تصل الى مشارف منى .
ويقول ابن بطوطة : إن الفواكه والثمرات والخيرات كانت تجلب الى مكة المكرمة ((لطفا من الله بسكان حرمه الأمين ، ومجاورى بيته العتيق)) .
ذكر : أنه قد أكل بها من الفواكه العنب والتين والخوخ والرطب مالا نظير له فى الدنيا .
ومن عجائب الكعبة المشرفة التى تحدث عنها صاحب الرحلة والتى لاتزال تشاهد حتى اليوم — وستبقى إن شاء الله ما بقيت الحياة الدنيا — ما يكون من الطواف حولها ليلا ونهارا لاينقطع فى ساعة من ساعات اليوم ، وهذا الحمام الآمن الذى يملأ كل أركان الحرم وجنباته ، ولا ينزل على الكعبة ولا يمر من فوقها فى طيرانه .
ومثل هذا الذى ذكره ابن بطوطة ذكره الثعالبى فى كتابه ((لطائف المعارف)) فقال : إن من خصائص الحرم ((ان الطير اذا حازت الكعبة انفرقت فرقتين ولم تعلها ، وان لا يسقط عليها حمام الا وهو عليل)) .
ولا نستطيع ان نجد لذلك تعليلا الا

ان يكون ذلك تشريفا من الله عز وجل لبيته الكريم أول بيت وضع للناس ، ودليلا ملموسا على ما لهذا البيت الطاهر من منزلة كريمة عند الله جل شأنه ، لايستطيع أن ينكرها منكر ، ولا ينفع في إنكارها إنكار منكر .

ويصف ابن بطوطة الكثير من عادات أهل مكة وأخلاقهم ، ومنها عطفهم على الفقراء والمحتاجين ، وحسن جوارهم للغرباء ، وأنهم اذا أقام أحدهم وليمة بدأ فيها بالطعام الفقراء المجاورين لبيت الله الحرام .

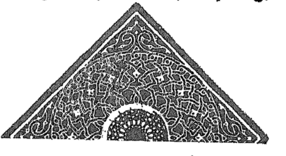
ويتحدث عن اعتمارهم في شهر رجب فاذا هل هلاله ضربت الطبول إشعارا بمقدمه ، وقد كانوا يحتفلون بهذه العمرة احتفالا كبيرا ، فكانت الشوارع تغص بالهوادج الضافية الأستار التى تكاد أن تمس الارض ، فهى كالقباب المضروبة ، وعليها اكسية الحرير والكتان الرفيع ، والجمال مزينة بقلائد الحرير .

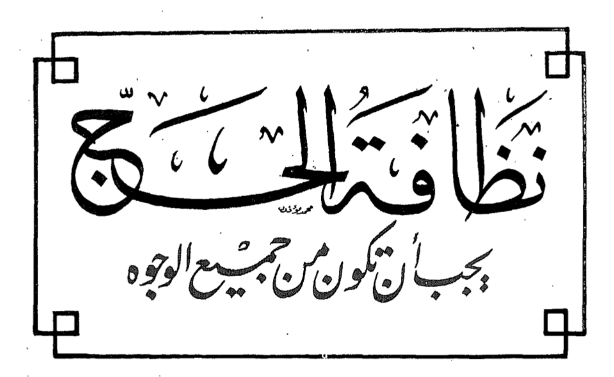
ويخرج الناس بهذه الهوادج الى ((التنعيم)) فتسيل بها اباطح مكة ، والنيران مشتعلة على جانبى الطريق وهم يهللون ويكبرون ، حتى اذا قضوا العمرة ، وطافوا بالبيت ، خرجوا الى السعي بين الصفا والمروة .

وكانت هذه العمرة تسمى عندهم بالاكمية نسبة الى أكمة عائشة رضى الله عنها التى كانوا يحرمون عندها ، واصلها أن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه بعد أن فرغ من إعادة بناء الكعبة خرج ماشيا حافيا معتمرا ومعه اهل مكة فى السابع والعشرين من رجب ، وانتهى الى الاكمة فاحرم منها ، وتبعه الناس على ذلك .

ومما ذكره ابن بطوطة وله قيمة تاريخية ما كان مكتوبا فى أعلى البلاط الغربى من المسجد الحرام من أن ((عبد الله محمد المهدى أمير المؤمنين قد أمر بتوسعة المسجد الحرام لحاج بيت الله وعمارته فى سنة سبع وستين ومائة)) ، وأنه كان فى خزانة المسجد نسخة من المصحف الشريف بخط زيد بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه ، مكتوبة سنة ثمانى عشرة من وفاة النبى عليه السلام .

وكان من المجاورين لبيت الله الحرام فى ذلك الزمان أبو العباس ابن محمد مرزوق الذى استرعى انتباه ابن بطوطة بكثرة طوافه فى شدة الحر ، والمطاف مفروش بالحجارة السوداء التى تحيلها حرارة الشمس الى مثل الحديد المحمى ، ومنهم أبو بكر الشيرازى الذى عرف بالصامت لإقامته اعواما بمكة لا يكلم الناس إلا رمزا ، ومكث ابن بطوطة فى مكة حتى انتهى موسم الحج فغادرها فى عشرين من ذى الحجة فى صحبة امير حج العراق ، البهلوان بن محمد الحويح فى طريقه الى بغداد مكملا رحلته الطويلة التى جاب فيها الآفاق وشاهد البلاد والأمصار .





للدكتور : محمد محمد ابو شوك

تعودنا فى نهاية موسم الحج من كل عام أن نسمع تلك العبارة التى تطمئن لها نفوس الحجاج ، وتفرح بها قلوب المسلمين فى أنحاء العالم الاسلامى بأن الحج هذا العام كان نظيفا من الامراض الوبائية ، وأن جميع الحجاج يتمتعون بصحة جيدة .. وتطوى الصحيفة ، ويبدأ الحجاج فى رحيلهم الى أوطانهم ، ويعودون ، فاذا كل منهم يحكى الى جانب فرحته بأداء الفريضة ، وما عاينه فى الاراضى المقدسة من متعة روحية تفوق لذائذ الدنيا ومتاعها ، والمواقف التى وقفها مستمتعا برضوان الله ومغفرته .. الى جانب رؤيته لاخوانه الحجاج من كل فج عميق بسماتهم المختلفة ولغاتهم الكثيرة وقد آخى بينهم الايمان ووثق عرى وحدتهم الاسلام ، وجمعهم فى مهابط الوحى الشوق الى مغفرة الله والوفاء لرسوله الكريم .. يحكى الى جانب هذا قصة مرضه ، وما عاناه أثناء الحج ، وكل ما كان يكتنفه من صعاب ، ويسمع الحاج القول المأثور من أهله وذويه : « حمد الله على سلامتك » وعلى قدر المتاعب يكون الأجر ، وعود حميد إن شاء الله ، ويحاول أن ينسى الحاج ويتناسى ، ويسدل الستار دون ما نقد صريح يوجه جريا وراء اصلاح أو تقدم سريع يهيىء لكل حاج الجو الصحى اللائق لأداء هذه الشعيرة المقدسة .

ورغم ما يلاحظ الحاج من تقدم فى مشاريع عمرانية ضخمة تقام وطرق جديدة تشق ، ووسائل للمواصلات مريحة ، وتوافر الحاجيات التى يحتاجها كل حاج ، وما يشعر به كل حاج من أمن وطمأنينة ، كل هذا يسير سيرا حسنا ، ولكن هذا شيء وما نصبوا اليه من وسائل عدة تجمل

الحج بحق حجا نظيفا ــ وتهيىء الجو الصحى الذى لا يساعد على نشر الامراض غير الوبائية مثال ــ النزلات الشعبية ، الالتهاب الرئوى ، الاسهال ، ضربات الحر فى الصيف ، التهاب سحايا المخ ، النزلات المعدية وغيرها ..

ترى كيف تقوم على تهيئة هذا الجو الصالح الذى يفيد جميع الحجاج من شتى انحاء العالم الاسلامى .. ؟ ولكى نصل الى ما نتمنى لا بد لنا من سعة صدر ــ واخذ الأمور اخذا سليما ــ وتخطيط شامل دقيق على المدى القريب والمدى البعيد ــ فالحج وان كان فى هذه الأيام يقتصر على ما يقرب من المليون نسمة ، فماذا يا ترى سيكون بعد سنين عدة .. ؟ لا بد وأنه سيكون عدة ملايين ، ولا يمكن أن نستوعب هذا العدد الضخم بالوسائل المرجوة الصحيحة السليمة الا اذا قمنا بتخطيط دقيق .

وفى عرض هذا لا أريد أن اشوه هيبة الحج أو أنحو بلائمة على هذا أو ذاك .. ولكن ذلك غيرة من مسلم على دينه حتى لا يقال كما يقال « اهكذا هو الدين الاسلامى ، لا نظام ولا صحة ولا تقدم » والاسلام من كل هذا براء ، فالعيب فينا نحن وليس فى الاسلام ، فالاسلام كما يعلم الجميع دين صحة ، دين نظافة ، وهذه آيات القرآن واحاديث الرسول ماثلة أمام اعيننا لا تخفى على كل ذى بصيرة « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » .

وفى الحديث : ان الله تعالى طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود ..

ولكى نجعل الحج فى المستوى اللائق به لا بد ان يكون ذلك على أكتاف الفرد الحاج ، وعلى أكتاف الهيئات القائمة على هذا الحج .

فهناك واجبات مقدسة يجب على كل حاج أن يتقيد بها بما فى ذلك التطعيم ضد الامراض المعدية وعليه أن يكون واعيا وداعيا من الناحية الصحية ، فلا يلبس الا نظيفا ، ولا يأكل الا نظيفا ، ولا يشرب الا نظيفا ويبتعد كل البعد عما يضر بصحته وصحة الآخرين متوخيا فى ذلك قول الرسول الكريم « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وبعض ما نراه اليوم إن دل على شىء فإنما يدل على تدهور الوعى الصحى لدى الحجاج ــ فترى منهم من يتعمد ويلبس ملابس تذرة بالية ، معتقدا أن هذا هو الزهد فى الحياة ــ ولكن ليس هذا زهدا ــ بل هى الادران والأوساخ التى تساعد على انتشار الامراض ــ وهذا الذى يلبس الملابس البالية الممزقة ويدعى أنه لا يرغب فى المتاع الزائل ليس من الاسلام فى شىء ، فالاسلام يحث على أن يكون المسلم نظيفا فى ملبسه ومأكله ، حسن الهندام ، عف اللسان ، جميلا فى كل شىء فالله جميل يحب الجمال ..

بهذه الروح الطيبة ، وبالحرص على نظافة الفرد تكون نظافة الحج .. ثم رمى القاذورات فى الشوارع والطرقات دون وضعها فى سلال المهملات ، اشياء نهانا الدين عنها ، وأمرنا باماطة (الوسخ) عن الطريق ، وفى الحديث : حملك عن الضعيف صلاة ، وانحاؤك الأذى عن

الطريق صلاة . ثم الذبح فى الطرقات وترك الذبائح بها تنشر الروائح الكريهة ، وتجلب الذباب الذى يساعد على انتشار الامراض ، كلها منافية للدين الحنيف وتعرض المسلمين الى أمراض هم فى غنى عنها اذا تحروا النظافة . وقضاء الحاجة فى الأماكن غير المخصصة لذلك اهانة لانسانية الحاج الذى حتى لا يتمثل بالحيوان الذى يحفر ليقضى حاجته ثم يزيح التراب ليغطيها ، والبصق فى الطرقات والمساجد وعند بئر زمزم عادات سيئة يجب أن يبتعد عنها الحاج . وتعاليم الدين ووصاياه فى هذه الناحية معروفة ومشهورة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آذى المسلمين فى طرقهم وجبت عليهم لعنتهم » وقال : اتقوا الملاعن الثلاث : البراز فى الموارد وقارعة الطريق والظل ..

ويا حبذا لو زودت كل دولة اسلامية حجاجها بالمعلومات الصحية حتى يكونوا على وعى صحى متكامل . وليكونوا قدوة لغيرهم ، فيعم النفع ويفخر كل مسلم بنظافة الحج ..

وهؤلاء الذين يندسون وسط الحجيج بما على اجسادهم من ملابس قذرة ، كاشفين عاهاتهم للحجاج ليستدروا عطفهم ، ويجمعوا ما شاءوا من صدقات — لا يتورعون عن أى شىء ، هم فى الحقيقة وصمة فى جبين الحج — وكأن المسلمين ضاقوا ذرعا فلا ملاجىء تأوى ذوى العاهات حقا ، ولا ضربا على أيدى الذين يأخذون التسول مهنة لهم ، ورحم الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين كان يضرب هؤلاء بدرته المشهورة حاثا على العمل قائلا : « لا تمت علينا ديننا » فالاسلام من التسول براء .

ثم واجب على كل مسلم يكون بـه أذى أن يعرض نفسه على الطبيب للعلاج لا أن يترك نفسه ويعدى الآخرين وما تلك النزلات الشعبية والصدرية التى تصيب الحجاج بأعداد هائلة الا نتيجة عدم علاج اشخاص قلائل أهملوا أنفسهم وبتوا وسط اقرانهم فتسببوا فى تفشى المرض بينهم ، فاذا أهمل الحاج نفسه وجب على من معه أن يأخذوه للعلاج حتى يتقوا شر مرضه .

وحتى لا نكون متجنين على الحاج يجب أن تهيىء له الظروف الملائمة التى تسهل له مهمته وتضمن له الجو الصحى المناسب فاذا طالبناه بألا يقضى حاجته فى الشوارع والطرق ، يجب أن نهيىء له الاماكن الصحية الملائمة لقضاء الحاجة عددا ونظافة وصيانة . واذا قلنا له لا تقذف بالاوساخ فى الشوارع والطرقات وجب أن نعد له سلال المهملات مثلا .

وأن نعنى باعداد الحمامات والمنافع العامة فى (أبيار على) حيث يقوم الحجاج بالقيام بالاحرام — فتراهم ينتشرون فى الخلاء ، ويقضون حوائجهم هنا وهناك ، ويغتسلون فى أى مكان يحلو لهم . أو فى دورات مياه قليلة غير صحية . فماذا لو اقمنا فى هذا المكان الفسيح مائة أو مائة وخمسين حماما ودورة مياه مزودة بما يحتاجه الحاج من ماء نظيف ، ولنقم عليها من يصونونها من العبث والاستهتار ، وانسداد مجاريها ، والتعهد

بالصنابير ، وحمامات المياه والاعتناء الجيد بنظافتها ، واستبدال ما فسد منها ، بذلك نضمن دورات مياه بحمـــــاماتها للحجاج فى هذه المنطقة الهامة ..

ثم الاعتناء والاكثار من دورات المياه بجوار الحرمين الشريفين ، بذلك نكون قد هيأنا للحاج ما يلزمه فى هذا المجال ، وان قام بعمـــــل يتنافى والقوانين الصحية كان العقاب له لانه حطم القوانين وعرض صحة الحجاج القوانين وعرض صحة الحجاج للضرر والخطر . وبهذه المناسبة يجب أن يكون عدد سلات المهملات اكثر عددا فى الحرمين وما حولهما وفى الشوارع حتى يجد الحاج المكان الذى يلقى به بالمهملات ، وأن يحافظ على هذه الاماكن المقدسة وعلى قدسيتها لا أن نتركها للناس يعبثون بها كيفمـــا يشاءون وتحضرنى فى هذه المناسبة كيف تبدو مدينة الفاتيكان ، مدينة البابا من الابهة والنظافة والعناية بها ، فما بالنا ونحن فى بيت الله وفى بيت رسول الله اشرف خلق الله .

ثم طريقة شرب الماء من (القلل) حبذا لو تضينا عليها وقمنا بوضع حنفيات خاصة تعمل أوتوماتيكيا وتعطينا ماء باردا فى الصيف وتستعمل معها أكواب من البلاستيك التى لا تستعمل الا مرة واحدة وترمى ، بذلك نكون قد قضينا على نقل العدوى بواسطة الماء والاستعمال للاناء الواحد بواسطة أفراد عدة قد يكون من بينهم من هو مصاب بمرض معد فيصيب الآخرين ، ولقد شاهدت مثل هذه الحنفيات فى الحرم المكى ولكن عددهـــا قليل جدا ويربط كوب واحد فيها للاستعمال ، فلا بد أن نكثر من عـــددها كما قلت ونعممها فى الحرمين الشريفين .

ولا أظن ان هناك عقبة كأداء مثل التى تواجه الحاج فى سكنه أيام الحج فترى المطوف يكدس الحجاج فى حجرات ضيقة وفى خيام ضيقة ، واماكن غير صحية ، وماذا ننتظر والحالة هذه ، اذا مرض حــاج وسط عشرين حاجا بمرض معد فتكون النتيجة أن يصاب معظم من حوله .

ولا بد أن هذه المشكلة تواجه المسئولين وتزداد حدتها عاما بعد عــام وسيأتى الوقت الذى يستعصى حلها ، عندما لا يجد الحجاج أماكن لهم لايوائهم فيضطرون أن ينتشروا فى الشوارع ويبيتوا فى الطرقات — والامل معقود على أن يخطط لهذه المشكلة تخطيطا دقيقا . ولست ادعى أنى ملم باطراف هذه المشكلة ولكن كمسلم غيور لماذا لا تنشأ عمارات سكنية صحية حـــول مكـــة والمدينـــة وفـــى منـــى وعرفـــات تقـــام فيهـــا المبانى والخيـــام عـــلى النظـــام الصحـــى الحـــديث يـأوى اليها الحجاج كل سنة ولا بد أن تساهم الدولة والمؤسسات فى هـــذا المشروع لراحة الحجاج ولعل قائلا يقول بذلك نقضى على أرزاق المطوفين والفنادق — والرد على ذلك أن اصحاب الفنادق لا يريدون أن يزيدوا فى عددها لاحساسهم أنها تعمل فقط لعدة شهور على مدار السنة فلا جدوى

من زيادتها — علما بانهم لو حسبوا لذلك حسابا ما كان يجب أن يكون ذلك عقبة فى بناء الفنادق ، فهذه الفنادق فى لبنان مثلا فى الجبل تعمل مدة الصيف فقط ونجد أن عددها يزيد عاما بعد عام لان اصحابها يعملون حسابهم ويربحون فى مدة الصيف ما يكفيهم طوال العام — فما بال الفنادق القليلة بالمدينة انى اراها لتعمل اكثر من نصف العام اذ أن الاعداد تزداد لقضاء العمرة فى الشهور الاخرى من السنة عدا أشهر الحج ، ثم لتبقى أرزاق المطوفين من تعهدهم بالطواف بالحجاج ولارشادهم الى الاماكن التى يحبون أن يشاهدوها — ويأخذون على ذلك الاجر الذى يكفيهم ونحمل عنهم عبء ايواء الحجاج .

واقامة هذه البنايات الكبيرة يسهل الامور كثيرا فى الحج ، فيكون الاشراف الصحى دقيقا — وتكون المحافظة على سلامة الحجاج ومعرفتهم بسهولة ومعاونة بعضهم البعض اسهل ومعالجتهم فى متناول البعثات الصحية المرافقة لهم اسهل وايسر . ونقلهم بالمواصلات المنظمة وشق الطرقات الحديثة تخلق جوا صحيا وحضاريا بديعا يليق بعظمة الامة الاسلامية — والاشراف الصحى الدقيق على كل المرافق من اهم الاسباب التى تقلل من نسبة انتشار الامراض . فالاشراف على المطاعم والمحلات التى تبيع المأكولات — والمأكولات التى تباع للحجاج . والاشراف على الحجاج وكل ما يتعلق بهم — والتأكد من نظافتهم فى حلهم وترحالهم — ومعالجة مرضاهم والاشراف الصحى على المطوفين ومن يتبعهم ومعاقبة كل من يسىء الى الصحة العامة والنظافة ، كل ذلك لا بد وان يقلل من الاسباب التى تسىء الى هيبة وقدسية الحج .

ولكى يساهم الحجاج جميعا فى مثل هذه المشروعات وغيرها ولرفع المستوى الصحى وتجميل المدن المقدسة فانه لا مانع من فرض ضريبة أكثر على الحاج بحيث تصرف فى هذه المشاريع ويستفاد ممن له دراية فى السياحة وتنظيم المدن والطرقات من الدول الاسلامية — لكى يساهموا بل ويشرفوا على انجاح هذه المشاريع الهامة ، فالدين دينهم والمدن المقدسة مدنهم جميعا لا فرق بين عربى وغير عربى بل كلهم مسلمون وهم أمام الله سواء ولا يقولن أحد ان الحاج فقير — فالحج لمن استطاع اليه سبيلا ولا نريد حجاجا يذهبون الى الاراضى المقدسة ليتسولوا بل ليساهموا فى كل عمل للخير والرخاء مصداقا لقوله تعالى على لسان نبيه ابراهيم «واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام » —

هذه بعض الافكار سقتها لعلى بذلك أكون قد أسهمت فى أن أضع أمام اخوانى الحجاج وامام المسئولين ما يجيش بصدرى كمسلم غيور على دينه يتمنى للامة الاسلامية الرفعة والرقى وحتى يقال بحق أن الاسلام دين نظافة ودين علم ودين الله فى الارض لخير البشر والبشرية جمعاء .



فتية لشبونة المغررون

للدكتور :

عبد الرحمن على الحجى

الحضارة الاسلامية مليئة بالصفحات الناصعة ، وما أكثر ما فيها من مجهول يقتضى الجهود الضخمة لاخراجه للنور ، وهذا الموضوع ما يزال جديدا على البحث والدراسة . وقد شملت هذه الحضارة كافة الجوانب الحياتية التى تدل على تقدم الانسان ماديا وروحيا، وأوضح ما يكون ذلك فى الحضارة الأندلسية ذلك المعين الفياض الذى ارتوى الغرب منه لقرون ، وأفاد أكبر فائدة فى بناء حضارته الحالية ومهد للكثير مما حققه .

وللنشاط الجغرافى حظ وافر فى هذه الحضارة ، واسهام المسلمين الكبير فى هذا العلم معروف بما فى ذلك الكشوف الجغرافية التى سبق بها المسلمون غيرهم ، أو تحطيمهم لبعض الآراء الجغرافية التى غدت منذ قرون ــ فى صمتها ــ كالعقائد . فجهودهم الجغرافية البرية والنهرية منها والبحرية عظيمة صادقة أدت الى كثير من الكشوف الحديثة ، والأمثلة على ذلك كثيرة غاية الكثرة .

فسليل الأسود شهاب الدين أحمد ابن مجاد (المتوفى بعد سنة ٩٠٤ هـ ــ ١٤٩٨ م) يعتبر من كبار البحارة المسلمين ، ومن العلماء الأوائل فى الملاحة البحرية. فله مايقارب الاربعين مؤلفا فى هذا الفن ، تقوم على البحرية والخبرة اضافة الى الدراسة والملاحظة ، لذلك لقب بـ (أسد البحر)

ولقد كان البحارة في البحر الأحمر والمحيط الهندي حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي قبل أن يبحروا ، يقرأون الفاتحة لروح الشيخ ابن ماجد اعترافا بفضله (١) وهو مخترع الابرة المغناطيسية وهو الذي أطلع فاسكودي غاما الرحالة البرتغالي (الذي ينسب اليه اكتشاف طريق جديد للهند عن رأس الرجاء الصالح) على بعض الخرائط والمعلومات ، وهو الذي كان دليل دي غاما (الذي نعرف عنه أكثر مما نعرف عن ابن ماجد) وقاد سفينته في سنة ٩٠٤هـ — ١٤٩٨ م من مالندي في كينيا على ساحل افريقيا الشرقية الى كاليكوت في الهند .

وكثير من الذين يتحدثون عن اكتشاف هذا الطريق الجديد الى الهند يذكرون دي غاما وينسبونه اليه لكنهم ينسون أو يجهلون « المعلم » أحمد بن ماجد الذي هو أحرى بلقب مكتشف طريق الهند (٢) لافاسكودي غاما . ومن يدري فلولا الشيخ ابن ماجد لتأخر هذا الكشف السنوات الطوال ولما كان لدى غاما مثل هذا الشأن .

ولا يستبعد أن الجغرافيين المسلمين قد تخيلوا وجود أماكن أو قارات كأميركا قبل اكتشافها بقرن ونصف قرن . فقد ذكر ابن فضل الله العمري (المتوفى سنة ٧٤٩ هـ — ١٣٤٩م) نقلا عن أبي الثناء الاصفهاني قوله : « لا أمنع أن يكون ما انكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا منكشفا من الجهة الأخرى . واذا لم أمنع أن يكون منكشفا من تلك الجهة لا أمنع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثلما عندنا أو من أنواع وأجناس أخرى (٣) »، وربما كانت لهم محاولات في هذا الشأن ، وهذا ما دفع بعض الباحثين الى القول بأن المسلمين هم مكتشفو أمريكا قبل كريستوف كولومبس بزمن طويل خاصة بعد ثبات انتقال نباتات الى العالم الجديد لم تكن معروفة فيه من قبل (٤) . وعلى كل حال فان كولومبس الايطالي لم يتخيل وجود أمريكا بل تخيل فقط وجود طريق جديد يوصل الى الهند عن طريق الغرب فاكتشف العالم الجديد عن غير قصد منه سنة (٨٩٨هـ —١٤٩٢م) ولا بد انه أطلع على مناشط المسلمين وتجاربهم وأفاد من دراسات الجغرافيين الأندلسيين كأبي عبيد البكري (المتوفى ٤٨٧هـ — ١٠٩٤م) والادريسي (المتوفى ٥٦٠هـ — ١١٦٥م) ومن خرائطهم ووسائلهم الملاحية الأخرى . كما لا بد أنه كان على علم بقصة استكشافية بحرية قام بها بعض مسلمي الأندلس . وتعتبر هذه القصة طريفة غاية الطرافة . ومن عجب أننا لا نجد لهذه القصة ذكرا في الكتب التي وصلتنا الا عند الشريف

الادريسى فى كتابه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » (٥) .

وخلاصة هذه القصة الطريفة أنه فى القرن الثالث الهجري قامت جماعة اندلسية بمخاطرة جريئة للكشف عن سر المحيط الأطلسى الغامض وتبديد المخاوف التى بالغ القدماء فى تجسيمها .

ففى مدينة لشبونة (عاصمة البرتغال حاليا) اجتمع ثمانية رجال مغررين — او هكذا أطلق عليهم — واتفقوا على خوض بحر الظلمات . (المحيط الاطلسى) ليعرفوا ما فيه والى أين انتهاؤه ، فأنشأوا مركبا وملؤوه من الزاد والماء مؤونة تكفيهم لأشهر . فركبوا البحر فى أول هبوب الريح الشرقية وبعد احد عشر يوما من ابحارهم وصلوا مكانا عنيف الموج كدر الروائح كثير الصعوبات قليل الضوء حتى ايقنوا بالموت ، فغيروا خط سيرهم الى الجنوب . وبعد اثنى عشر يوما وصلوا جزيرة الغنم فنزلوها ووجدوا فيها من الغنم ما لا يحصى ، وهى سارحة .. لا راعى لها ولا ناظر اليها ، كما وجدوا عين ماء جارية وعليها شجرة تين برى ، فأخذوا من تلك الغنم وذبحوها ولكنهم وجدوا لحمها مرا فحملوا معهم من جلودها وعادوا الى مراكبهم . ثم ساروا فى اتجاه الجنوب اثنى عشر يوما حتى لاحت لهم جزيرة ذات عمران . فقصدوا اليها ليروا ما فيها . فما كان غير بعيد حتى احيط بهم فى زوارق هناك ، فأخذوا وحملوا فى مراكبهم الى مدينة على ساحل الجزيرة ، نشاهدوا رجالا شقرا سبطة شعورهم ، طوال القامة ، ولنسائهم جمال عجيب فاعتقلوا ثلاثة أيام ..

وفى اليوم الرابع جاء ترجمان الملك وكان يعرف العربية فسألهم عن حالهم ولم جاءوا وما بلدهم .؟ فأخبروه خبرهم فوعدهم خيرا .. وفى اليوم التالى احضروا بين يدى الملك ، فأعادوا عليه قصتهم فضحك ، وقال للترجمان : خبرهم ان ابى أمر قوما من عبيده بركوب هذا البحر وانهم جروا فى عرضه شهرا الى ان انقطع عنهم الضوء فانصرفوا من غير جدوى .. ثم عاد الفتية من عند الملك بعد أن وعدهم بما يطيب خواطرهم ويحملهم على حسن الظن .. فصرفوا الى موضع حبسهم ، حتى بدأ جرى الريح الغربية فعمربهم زورق وعصبت أعينهم وجرى بهم فى البحر مدة ، قال القوم قدرناها ثلاثة ايام بلياليها ، حتى جيء بنا الى البر فأخرجنا وكتفنا الى خلف ، وتركنا بالساحل الى أن تضاحى النهار وطلعت الشمس ، ونحن فى ضنك وسوء حال من شدة الكتاف ، حتى سمعنا ضوضاء واصواتا فصحنا بأجمعنا فأقبل القوم الينا وحلوا وثاقنا وأخبرناهم خبرنا ، فقال لنا أحدهم : أتعلمون كم بينكم وبين بلدكم .. ؟ فقلنا : لا .. قال : مسيرة شهرين ..

فقال زعيمنا : وا أسفى ، فسمى المكان الى اليوم (أسفى) وهو المرسى الذى فى اقصى الغرب .

ويؤخذ من كلام الادريسى أن هؤلاء الثمانية عادوا الى لشبونة وسردوا قصتهم على أهلها الذين لم يروا فيهم الا رجالا مغرورين وسموا الدرب الذى فيه دورهم بـ (درب المغرّرين) .

لم يذكر لنا الادريسى اتجاههم الأول ولذا جعله البعض الى الشمال

حتى اصبحوا بمحاذاة ايرلندة وجعله المرحوم شكيب أرسكلان(٦)ـ الذى له فضل اخراج هذه القصة الى النور قبل عشرات السنين ـ خطا مستقيما الى الغرب .فوصلوا بعد سفر يرجح أنه استمر أكثر مما ذكر الادريسى ، قريبا لاحدى جزائر المحيط بين أمريكا الشمالية والجنوبية التى بين ١٠ و ٢٧ درجة من العرض الشمالى وبين ٦٢ ، ٨٧ درجة من الطول . .

وهذا أمر يمكن قبوله ـ رغم عدم استطاعة ترجيحه لحاجته الى أدلة أخرى ـ حيث أن استعدادهم كان يقصد به الاستمرار فى الرحلة فى الاتجاه الغربى للاندلس لأشهر عدة ، مع التصميم على المضى فى تحقيق الهدف رغم ادراكهم صعوبة المهمة . ولو ثبتأنهم ساروا طيلة مدةابحارهم فى اتجاههم الأول أو استمروا فيه ربما لأطلوا على أمريكا أو وصلوا قريبا منها ، والظاهر انهم يئسوا من الوصول الى البر فى ذلك الاتجاه فتحولوا جنوبا حتى جزيرة الغنم ثم عادوا جنوبا الى الشرق ، فوصلوا احدى جزر الخالدات التى تعرف باسم جزر كنارى ثم وصلوا الى الغرب .

ولعله من الممكن التحقق من وصولهم موضع مدينة « أسفى » اذا حسبنا المسافة التى كان يسيرها مركبهم ومسافة ما بينها وبين لشبونة ومن أسف أن الادريسى لم يذكر لنا كيف عادوا من أفريقيا الى لشبونة .

وعلى كل حال فقد كان لهذه القصة التى لا أشك فى واقعيتها أثر كبير فى تشجيع البحارة البرتغاليين وغيرهم على القيام برحلات استكشافية . ونظرا لأهميتها قام بعض الأوربيين بوضع مثل هذه القصة فى القرن الحادى عشر الميلادى ونسبتها الى القسيس براندان الراهب الايرلندى الذى عاش فى القرن السادس الميلادى فقط (٧) .

والقصة بعد ذلك دليل على روح المغامرة المتأصلة فى نفوس الرحالة المسلمين وعدم مبالاتهم بالخطر حبا فى الكشف عن المجهول . ومن يدرى ؟ فلعل فى تراثنا الزاهر مثيلات لهذه البطولة فقدت الى الأبد فيما فقد من المخطوطات ، أو أنها ما تزال فى انتظار من يكشف عنها ويخرجها الى النور ، وكل رجائنا الا يطول بنا الانتظار . .

---

(١) الزركلى الاعلام ، ١٩١/١ .

(٢) المعروف ان دى غاما التقى بابن ماجد فى ساحل شرق افريقيا بعد ان مر براس الرجاء الصالح ونزل الى المحيط الهندى « الوعى »

(٣) مسالك الابصار لابن فضل الله العمرى تحقيق احمد زكى (القاهرة ، ١٩٢٤) ، ٣١/١ .

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور ، المدينة الاسلامية (القاهرة ١٩٦٣) ص ١٢٢ .

(٥) طبعة روما (١٥٩٢) ص ١٨٢ ـ ٤ .

(٦) الحلل السندسية (طبعة المغرب) ، ٩٢/١ ـ ٦ .

(٧) عبد الحميد العابدى ، صور وبحوث من التاريخ الاسلامى ص ١٤٩ وما بعدها .



العـــدول عن الخطبــة

خطبت فتاة من أبيها ، ثم ظهرت لى أسباب لا داعى لذكرها تحتم عـــلى فسخ هذه الخطبة ، فهل يجوز ذلك شرعا ، وما هى الواجبات التى تلزمنى اذا فعلت ذلك ؟

الاجابـــة :

الخطبة وعد بالزواج وليس عقدا ملزما ، واخلاف الوعد خلق ذميم وخاصة فى مثل هذه الحالة لما يلحق المخطوبة من اساءة السمعة ، واذا كانت هنــاك اسباب دينية او خلقية تقتضى فسخ الخطوبة ، جاز ذلك ، وما قدمه الخاطب من المهر له الحق فى استرداده لأنه دفع فى مقابل الزواج وعوضا عنه ، وما دام الزواج لم يوجد فان المهر لا يستحق منه شىء ويجب رده الى صاحبه ، واما الهدايا فحكمها حكم الهبة والصحيح ان الهبة لا يجوز الرجوع فيها اذا كانت تبرعـــا محضا ..

سؤر الهـــرة

أعيش فى البادية فى بيت من بيوت الشعر ، وعندما اردت الوضوء من ماء فى الاناء شاهدت الهرة تشرب من هذا الماء ، فهل يجوز الوضوء من هذا الماء . ؟

الاجابـــة :

سؤر الهرة طاهر فيصح الوضوء من هذا الماء لما ورد فى حديث كبشة بنت كعب ، وكانت زوجا لأبى قتادة ، فقد روى ان زوجها دخل عليها فسكبت له ، فجاءت هرة تشرب منه فاصغى لها الاناء — اماله — حتى شربت منه . قالت كبشة فرآنى انظر ، فقال : اتعجبين يا ابنة اخى ؟ فقالت : نعم فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انها ليست بنجس ، انها من الطوافين عليكم والطوافات » رواه الخمسة .

فى الغســـــل

اغتسلت من الجنابة ، ولم اتوضأ قبل الاغتسال ولا بعده فهل يجوز لى الصلاة بهذا الغسل من غير وضوء ؟

الاجابـــة :

يجوز لك أن تصلى بهذا الغسل من غير وضوء ، لأن هذا الاغتسال يرفع الحدث الأكبر والأصغر معا . قالت عائشة : «« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوضأ بعد الغسل »» وقال ابو بكر بن العربى لم يختلف العلماء أن الوضوء داخل الغسل ، وان نية طهارة الجنابة تاتى على طهارة الحدث وتقضى عليها لأن مواضع الجنابة أكثر مواضع الحدث فدخل الأقل فى نية الأكثر ، وأجزأت نيـــة الأكبر عنه ..

ضرر ..

السؤال :

هل ينجم عن العادة السرية اضرار صحية وما حكم الدين فيها .. ؟

الاجابة :

يقول الأطباء : ان العادة السرية تنجم عنها اضرار صحية وعقلية ، فهى تفقد الانسان حساسيته الجنسية ، وهذا يؤثر على الحياة الزوجية ، كما أن الافراط فيها يسبب التبلد الذهنى والنسيان ، فضلا عن أنها تسبب التهابا فى المسالك البولية ، وتؤدى الى ارتعاش أطراف ممتادها .

ويقول الامام أحمد : انها حرام ، واستدل على ذلك بقوله تعـــالى : « والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » .

اوراق المصـــحف ..

السؤال :

عندى مصحف قديم تمزقت اوراقه واصبح غير صالح للقراءة .. فماذا افعل فيه .. ؟

الاجابة :

قال العلماء : اذا بليت أوراق المصحف وصارت غير صالحة للانتفاع بها فى القراءة ، فلا يجوز وضعها فى شق فى جدار حائط لأن هذا يعرضـــــها للامتهان ولا يجوز تمزيقها لما يشـــعر به من الامتهـــان ، بل يجب حرقها حتى لا يبقى لها أثر ، وقد أحرق عثمان بن عفان المصاحف التى كان فيهـــا آيات وقراءات منسوخة ، ولم ينكر عليه أحد ..

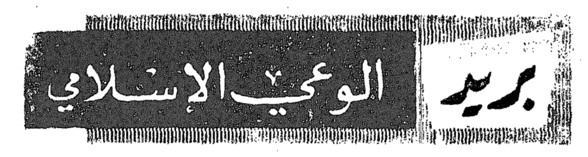
فى الميراث ..

السؤال :

توفى رجل لم يتزوج عن اب وام واخوين شقيقين .. فما نصيب كل واحد منهم من تركة المتوفى .. ؟

الاجابة :

السدس لأمه فرضا ، والباقى للأب تعصبيا ، والأخوان لا شىء لهما لأنهما محجوبان بالأب ..



اعداد : عبد الحميد رياض

الأرحام الصناعية

يحاول كبار الأطباء فى العالم عمل أرحام صناعية يربون فيها الأجنة فاذا نجحوا فى هذه المحاولة ، فكيف يمكن تاويل ما ورد فى القـــرآن الكريم ، ومـــا نعتقده ونؤمن به من أن اللهوحده هو الخالق .. ؟

محمد إمام عبد الرحمن
السودان

ليست تربية النطفة فى الأرحام خلقا حتى يشتبه عليك الأمر ، ونجاح هذه التجربة لا يزعزع العقيدة فى أن الله وحده هو الخالق ، فالخلق هو أثر القدرة الإلهية فى وضع سر الحياة فى ماء الرجل ، فبذرة الحياة هذه هى خصوصيـــة الله الخالق التى لا يمكن لبشرأن يوجدها ويخلقها .

أما تربيتها فى رحم صناعية وفق مواصفات طبية معينة فهذا لا يعد خلقا قال الله تعالى ((**أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون**)) .

القــرآن والبعـــد الزمنى

قرأت مقال (القرآن والبعد الزمنى) فى مجلة (الوعى الاسلامى) العدد(٩١) غـــرة رجب ١٣٩٢ للدكتور عماد الدين خليل وقد أقنعنى عقليـــا وأراحنى نفسيا .. فكثيرا ما قرأت مثـــل هذه الآيات ، التى تدل على أن الزمن فى أمداء الكـــون ليســـا ســـواء .

وممـــا أثلج صدرى أن لدينـــا علمـــاء مسلمين يبحثون ويمحصـــــون ويعملون الفكر فى محاولة فهم آيات قرآننا العظيم فى ضوء العلوم الحديثة .. فجزاه الله خير الجزاء وأكثر الله من أمثاله .

واود ان أستفسر عن عبــارة وردت بالمقال ولم أستطع تفسيرها وهى :
ان الذى عنده علم من الكتاب اســتطاع اختزال عملين : نقل العرش من ست ســاعات (الوقت الذى كان سيتقله فيه عفريت من الجن) الى سدس لحظة .
فكيف حدد الدكتور عماد الدين خليل عبارة : انا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك بســت ســاعات ؟

نرجو ان يوضح لنــا الدكتور ذلك وله منــا الف شكر .

على رضوان محمد ــ الاسكندرية

وقد احلنا هذه الرسالة للدكتور عماد الدين خليل فاجاب بما ياتى :

ان عبارة (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) الواردة على لســـان عفريت من الجن بصدد نقــل عرش بلقيس الى حاضرة سيدنا سليمان عليــه السلام .. فهم منــه أكثر من مفسر ان الوقت الذى طرحه العفريت يقــارب الساعات الست ، أو يزيد ، استنادا الى لفظة (مقــام) التى تعنى الجلوس الادارى اليــومى المعروف لحل مشكلات الدولة والتخطيط لمتطلباتها .. وهو فى اغلب الظن لا يعــدو أن يتراوح بين ست ساعات وثمان اســوة بالدوام الرسمى للمسؤولين فى أى عصر من العصور . وقد ورد فى أحــد التفاسير المحدثة ان ســليمان كان يجلس للحكم والقضـــاء من الصبح إلى الظهر ، فيما يروى ، وان العفريت عرض عليه أن يأتيه بالعــرش قبل انقضاء جلسته هذه ، فاستطول ســليمان هذه الفترة واستبطأها .

٤٧

وفى تفسير (ابن كثير عن ابن عباس رضى الله عنهما) : « انا آتيك به قبل أن تقــوم من مقامك) : يعنى قبل أن تقوم من مجلسك . وقال مجاهد (متعــدك) . وقال السدى وغيره : كان يجلس للناس ، للقضاء وللحكومات من أول النهار الى أن تزول الشمس . ونحن لو اخذنا بالرواية الاخيرة لوجب القول بأن عرض العفريت يزيد كثيرا عن الساعات الست المعهودة فى المجالس الادارية .

هــذا وقد اجمع عدد من المفسرين منهم (محمد بن اسحق وقتادة وابو صالح والضحاك ومجاهد وزهير ابن محمد) عن ان الذى (عنده علم من الكتاب) كان مؤمنا من الانس يدعى (آصف) يقوم بمهمة الكتابة لسيدنا سليمان عليه الســـلام .

فى ختــام رسالتى هذه أتقدم بشكرى العميق على اهتمامكم ، راجيا أن يوفقنــا الله جميعــا لمــا فيه الخير .



لصـــالح من ؟

ظهر فى بعض الدول المسلمة اتجاه سلوكى سلكته بعض الفتيات اللائى سئمن من السلوك الغربى ، ولجأن الى حظيرة الاســـلام وحمى القرآن وذلك بالتزام الزى الاسلامى الساتر الجميل .

وقد اغتبطنا كأفراد مسلمين وكأمة مسلمة بهذا المظهر الاسلامى الجميل ، ولكن مما يؤسف له أن احدى الصحف طلعت علينا بمقال يحمل على أصحاب هذا الزى الاسلامى .

لقد جاء فى المقال ان هذا الزى كأكفان الموتى ، وأن العبرة بالجوهر وليس بالمظهر .. أليست أناشيد الصباح وتحية العلم الا مظهرا للولاء .. أليست الراية التى يحملها الجيش وتتقدمه الا مظهرا ضروريا لكل جيش .. أليس العلم الذى تتخذه كل دولة رمزا لها وهو قطعة من القماش من اللون الا تمييزا لهذه الدولة عن غيرها من الدول .. بل أليست القبلة التى أمرنا بالتوجه اليها فى الصـلاة الا شرطا لصحتها ، ولا تصح الصلاة بدونها .. ان لكل حقيقة مظهرا يعبر عنها ويرمز اليها والزى الذى وضعه الاسلام للنساء وهو الزى السابغ الذى لا يصف ولا يشف هو مظهر مميز للمرأة المسلمة ، « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » .

يا فتياتنا المسلمات ، لا تكترثن بهذه المعارضـــة والمخاصمة ، فالمخاصمة للحقيقة كالمصادقة لها فى ضرورة بقائها واعلانها ، بل ربما كانت المخاصمة أحيانا أشد نفعا من المصادقة ، وهذه سنة الله فى اظهر الأشياء الى الوجود فحذار أن تزل قدمكن بعد ثبـــوتها ، وأن تميل بكن المعارضة والمخاصـــمة الى العدول عن ما ارتضـــاه الله لكن وأمركن به ، والله غـــالب على أمره ولكن أكثر النـــاس لا يعلمون . .

يحيى اسماعيل حبلوش
كلية أصول الدين ـــ الأزهر

ابن العـــربى

جاء فى مقال أضواء على التصوف الاسلامى فى ماليزيا المنشور فى عـــدد شعبان سنة ١٣٩٢ من مجلة (الوعى الاسلامى) ان حمزة فنصورى أحد شيوخ الطرق الصوفية فى ماليزيا قديما كان متأثرا بابن العربى ، والصحيح هو ابن عربى ، والأول غير الثانى فابن العربى لقب لعالم جليل غير ما يقصده الكاتب وحتى لا يشتبه الأمر على القارىء أحببت أن انبه الى هذا الأمر لازالة اللبس .

ابن عربى هو الشـــيخ محيى الدين محمد بن على بن محمـــد بن أحمد بن عبد الله ولد سنة ٥٦٠ هـ بمرسيه أما ابن العربى فهو العلامة محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن أحمد الملقب بالقاضى أبو بكر ابن العربى صاحـــب

التصانيف الكثيرة كأحكام القرآن والعواصم من القواصم وغيرها ولعل فى هذه اللمحة العاجلة ما يزيل الاشتباه بين الرجلين .

محمد بن جاسم المشهدانى
جامعة بغداد

مشكلة الزواج فى ديار الغرب

لا شك فى أن تلك المشكلة كبيرة جدا ولها اثر كبير فى مجتمعنا العربى والاسلامى على حد سواء وانها تكلفنا طاقات كبيرة ، وذلك ان الشباب العربى ما ان يذهب الى ديار الغرب من اجل الدراسة الا ويفاجأ بوضع اجتماعى واخلاقى أقل ما يقال عنه انه يختلف اختلافا جذريا عن أوضاع بلاده ، فالشاب العربى ما زال محافظا على بعض التقاليد والعادات بطبيعة البيئة والتربية والدين ، وبذلك يقع فى حيرة واضطراب ، ولا يدرى ماذا يفعل ، فأمامه ثلاثة مسالك لا بد أن يسير فى احدها :

أولا : أن ينحرف وينزلق فى متاهات الجاهلية فيضل الطريق وينفصل عن امته انفصالا شعوريا ولا يعود يتصل بها فى أى رباط وبذلك ينخلع من ربقة الأمة ولا يعود يفكر فى الرجوع الى بلاده ، وهنا تفقد بلادنا فى هذه الحالة شبابا فى مستوى ثقافى جيد .

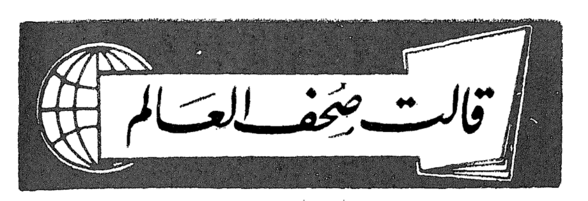
ثانيا : أن يتزوج من فتاة تعترض له فى طريقه فتأخذ لبه ، وتسلب قلبه لما تقدم له من اغراء وجسد فيتزوج بها حين يقع فى حبالها وتحت الأمر .

ثالثا : يفكر أن يتزوج فتاة من بلده .

فان تزوج أجنبية كان لزاما عليه أن يعود بزوجته وبالتالى ينشىء الأولاد على نشأة الأم فهى المحضن وهى التى تربى الأطفال ، وبهذا ينشأ الاولاد وقد تاهوا ولم يعودوا يرتبطون ببلادهم وشعوبهم نتيجة تربية الأم التى لا ترتبط بالأمة بأى رباط بل انها كثيرا ما تنظر للأمة العربية على أنها أمة متخلفة ، واما الصنف الثالث وهو القلة القليلة فهو الذى يحافظ على عقيدته وقيمه وعاداته وبالتالى ينجو من تلوثات الجاهلية ، هذا الشاب يحاول أن يخفف من ضغط الجاهلية بمحاولته الزواج بفتاة من بلده ودينه فيقف أمامه عوائق كبيرة ، من اهمها ارتفاع المهر فهذا يطلب (٥٠) الفا وذلك (٣٠) وهو ما يزال طالبا يدرس ووالده يقدم له النفقات فكيف به يكلف أباه ما لا يطيق . ثم يقع كذلك أمام نفقات البيت فى ديار الغرب التى هى عقبة لا يمكن حلها ثم عدم وجود فتاة تضحى وتذهب معه . وبهذا فان امتنا تفقد خيرة شبابنا ، فالى رواد الفكر والى آباء الفتيات والى الفتاة نفسها أتوجه بالدعوة ، فالى كل فتاة يتقدم لزواجها طالب مغترب أن لا ترفض لكونه مغتربا وأن تضحى .

والى كل أب أتوجه اليه أن ينقذ بلاده من تلك المشكلة بأن يقدم كل التسهيلات لمن يود أن يتزوج ولتكن هذه الحياة حياة تكافل وتراحم وليكن شعارهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اتاكم من ترضون دينه فزوجوه » . ولتكن اسوتكم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيهم فهذا سعيد بن المسيب زوج ابنته من تلميذه بدراهم معدودة . والى رواد الفكر الاسلامى أن يعالجوا هذه المشكلة معالجة وافية ولتكن هذه الكلمات شرارة ثورة على تلك التقاليد البالية والله من وراء القصد وهو يتولى الصالحين .

محمد زاهد ـ اسبانيا



وقفة فى وجه الاستشراق

من الحق أن يقال : إن المستشرق إنما هو واحد من ثلاثة : متصل بالكنيسة ، أوبالاستعمار ، وفى كليهما لن يكون منصفا ، فإن كان غير ذلك فان هناك من عجزه عن فهم البلاغة العربية ما يعوقه كثيرا عن تقصى الحقائق والوصول اليها .

ونحن نعرف كيف أن بعض المستشرقين فسر الآية القرآنية : (وكل إنسان الزمناه طائره فى عنقه) بقوله : (إن كل إنسان يأتى يوم القيامة وفى رقبته حمامة) . وهناك عشرات من مثل هذه الأخطاء ، أوردها العقاد فى كتابه : (ما يقال عن الإسلام) .

والعقلية الغربية التى ينبثق عنها الاستشراق لا تتقبل بأى حال ظاهرة الإنصاف للعرب والمسلمين والقرآن ومحمد والاسلام وصدق أحدهم حين قال :

(إن كراهية العرب والإسلام إنما يرتضعها الأوربى مع لبان أمه) .

إن هناك محاولة لتقسيم الاستشراق إلى مرحلتين : مرحلة عقدية ، ومرحلة أخرى جديدة يطلق عليها اسم مرحلة علمية . أما العقدية فهى تلك المرحلة التى هاجم فيها المستشرقون الإسلام بعنف وضراوة . وأما المرحلة الجديدة فتوصف بأنها تتسم بالعملية ، وهو وصف غير صحيح ، ولو انها وصفت بأنها (سياسية) لكان ذلك أصح وأصدق ، والمفكرون المسلمون يعرفون جميعا أنه فى العقدين الأخيرين قد تراجع الاستشراق عن أسلوبه القديم المباشر ، واستعمل أسلوبا أشد مكرا وأسوأ سبيلا ، وهو محاولة الدخول فى الموضوعات من باب التقدير والمدح حتى يخدع القارىء ويكسب ثقته ، ثم لا يلبث بعد ذلك أن يثير شبهات خفيفة ، متتالية فى إطار هذا التقدير العام الكاذب .

ولقد تنبه لهذا كثير من الباحثين المسلمين اليقظين ، وأشاروا إلى خطورته وحذروا من الانخداع له .

وغالبا ما يكون هذا الأسلوب بعد دخول الاستشراق اليهودى الى ساحة الاستشراق .

ولا ريب ان الاستشراق فى المجال العقدى يعمل على هدم الإسلام والرسول والقرآن ، وفى المجال السياسى يعمل على هدم الأمة العربية واللغة العربية والحضارة والتاريخ .

عن مجلة رابطة العالم الاسلامى

هل إلى خروج من سبيل ؟

إن الإسلام اقوى عقيدة تقض مضاجع الاستعمار وتنغص عيشه ، وتطير النوم عن معاقد اجفانه . وتقوض دعائمه وتأتى بنيانه من القواعد . وتحقق للمسلمين اشواقهم فى سماحه ويسر . وتلبى تطلعاتهم فى إطار إسلامى صحيح فى حدود العدالة والحق والإحسان .

وحدود الاسلام ليست قيودا مما يشل الحركة . ويعوق النشاط ، ولا هى اغلال واصفاد مما يمنع النهوض ولا هى عصائب مما يحجب عن العيون النور ، ولا هى احجار مما يثقل على الحس ، ولا هى جهالات مما يمتنع على العقل والاقتناع به وتدبره . . وإنما هى حدود الطبيعة التى لا يمكن خرقها ، والتى لا يخرقها إلا من سفه نفسه . . وهى ايضا ليست شيئا الا تحرير الإنسانيه من كل عبودية تفرض عليها إلا عبادة الله ، من كل تقليد او نظام يراد به العبث بكرامة العقل او كرامة الروح .

وإن شباب الإسلام الواعين الصادقين ، الملهمين الملتزمين الذين يحفل بهم اليوم عالمنا الاسلامى ، المسترخصين أرواحهم وابدانهم فى سبيل نصرة الله ، وإعلاء كلمة الحق ، هم أصدق الناس واقواهم واثبتهم وأشدهم تضحية وأكثرهم فداء فى محاربة الاستعمار الكافر ، ومقارعة الصهيونية الحاقدة ، ومقاومة المذاهب الوافدة من وراء البحار وخلف السهوب ، والتى تهون عليها فى سبيل محاربة الإسلام الأموال الطائلة التى تبذلها فى إخراج الافلام السينمائية الخليعة ، والمسرحيات المريضة المشوهة لسمعة المسلمين ، الحاقدة على أخلاقهم ، وفضائلهم ، الداعية الى الانحلال بين جماهيرهم لتقتل فيهم روح الرجولة والنضال التى عرفها المسلمون الصادقون الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا . . فوضع الاسلام عنهم إصرهم . . والأغلال التى كانت عليهم .

والأمة الاسلامية تملك من حوافز التقدم والنهوض وبواعث الانطلاق والنشور ان هى تمسكت بكتاب الله وسنة رسوله وترسمت سنن من كان قبلها من رجال السلف الصالح ما يكفل لها حياة راضية ، ويؤهلها لأن تحتل مكان الريادة بين شعوب الأرض بما تحمله من عقيدة التوحيد ، وشريعة الكرامة ، وسلوك الطهر والنقاء .

فهل الى خروج من سبيل . ؟

ان سبيل الخروج مما نحن فيه من تخلف وتأخر ، وتباعد وتناحر وتنابز وتدابر ، هو التوجه الى طريق الله ، والاعتماد على شريعته ، والاعراض عن كل المستوردات المذهبية الواغلة الوافدة . . حتى لا يبقى إلا سبيل الإسلام الذى يرفض شوائب النفعية والتسخير والاستغلال . . فمن رغب به خرج منتصرا على تخلفه وتبعيته وفاز فوزا عظيما ، ومن نأى بجانبه واعرض عنه بقى كقدح الراكب الى الوراء ، مذبذبا بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، متلونا فى حالاته وسلوكه وتصرفاته كما تتلون الحرباء !!

عن مجلة ((دعوة الحق)) المغربية

● قامت اسرائيل بتحويل الحرم الابراهيمى الى معبد لليهود رغم استنكار الأهــالى والزعمــاء فى الضفة الغربيـــة .

البحرين : احتفلت دولة البحــرين بذكرى عيدها الوطنى وافتتــاح أول مجلس تأسيسى فيهــا وشاركت الكويت فى هذه الاحتفالات رسميا وشعبيا .

قطــر : اشادت قطر بحكمة تشاد لقطعها علاقاتها مع دولة العدوان الاسرائيلى .

العراق : قرر مجلس قيادة الثورة انشاء جامعة اسلامية فى بغداد تكون مهمتها العنــــاية بالفكر الاسلامى وتنشئة اجيال جديدة على الاسلام ، والقيام باعباء الدعوة الاسلامية فى المستقبل .

ســوريا نشرت الصحف السورية صور المساجد التى قصفها العدو الاسرائيلى فى عــــدوانــــه على سوريا فى الشهر الماضى بما يكشف تركيزه على دور العبادة ومحاولة تدميرها .

● جاء فى نشرة المؤتمر التى يصـــــدرها مكتب جبهة التحرير الارترية بدمشق أن أوضـــــــاع اللاجئين الارتيريين على حـــدود الســـودان الشرقية أثارت قلق الشعب السودانى الذى يتعــاطف مع نضال الشعب الارتيرى العادل .

ليبيــا : اكد السيد منصور الكخيا وزير الخارجية فى حديث صحفى أن المعركة هى الســـبيل الوحيد لبقاء هذا المجتمع العربى ، مهما كانت التضحيات .

● قدمت ليبيا منحة قدرها ٢١ مليون شلن لمسلمى أوغندا .

● بعث الرئيس القذافى برسالة الى الرئيس الامريكى يقول فيها ان الشعب الليبى لا يطلب اية مساعدة ، وكل ما يريده أن تتوقفوا عن الحاق الاساءة بالامة العربية .

● صرح مدير الادارة السياسية فى وزارة الخارجية الليبيـــة بان اربعـــة ملايين مسلم معرضون للابادة فى الفلبين ، ودعا الى التضامن الاسلامى كى يحول بين هؤلاء والمذابح الجماعية وسيواصل جولة فى الكويت والعراق وماليزيا واندونيسيا وباكستان ودول افريقيا الاسلامية .

اليمــن : صرح رئيس الجمهورية العربية اليمنية بان الاتفاق على الوحـــدة مع اليمن الشـــعبية قد تم على اساس ان تكون الشريعة الاسلامية هى مصدر التشريع .

اتحاد الامارات : صادقت دولة الامارات العربيـــة المتحدة على ميثاق المؤتمـــر الاســـلامى ، واعلنت عن استعدادها ورغبتها فى الالتزام بكافة بنوده .

أوغنــدا : افتتح الرئيس الاوغندى عيدى امين فى الشهر الماضى البنك العربى الليبى ـــ الاوغندى ضمن خطة تعاون بين ليبيا واوغندا بعد طرد الاسرائيليين والأسيويين .

● قالت اذاعة كمبالا أن اكثر من ٤٥٠ شخصـــا اعلنوا اسلامهم فى الاحتفـــال الذى اقامه الجيش قرب الحـــدود مع تنزانيـــا .

السنغال : عقد فى داكار فى الشهر الماضى مؤتمر اسلامى بحث موقف الاسلام من التحديات المعاصرة ، وقد حضر هذا المؤتمر ممثلون من اغلب الدول الاسلامية .

ماليزيا : جددت ماليزيا فى الشهر الماضى دعوتها لفضيلة شيخ الأزهر للاطلاع على احـــوال المسلمين فى ماليزيا ، والعمل على تدعيم الروابط الاسلامية والثقافية بين مصر وماليزيا .

● صرح سفير السنغال فى مصر بأن ٩٠٪ من سكان السنغال مسلمون ، وأن السنغال تبــذل جهدها فى جميع المؤتمرات الاسلامية لتحقيق التضامن الاسلامى الفعال .

الفلبين : تواصل قوات البوليس اضطهادها للمسلمين فى الجنـــوب فى محاولات اخراج المسلميـــن من المناطق الجنوبيـــة الخصـــبة .

أندونيسيا : ارسل المؤتمر الاسلامى العام فى عمان برقيـــة الى الرئيس الاندونيسى تتضمن قلق المؤتمر من ازدياد النشاط التبشيرى فى اندونيسيا .



أعداد : الدكتور عبد المعطى بيومى

الكويت : وافق مجلس الوزراء على عقد مؤتمر وزراء الأوقاف فى الدول العربية فى شهر فبراير القادم وقد بدىء فى الاستعداد لهذا المؤتمر .

● عاد الى البلاد سعادة الأستاذ راشد الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية بعد حضوره ندوة الاتجاهات الاسلامية المعصرية التى عقدت فى السنغال وزيارته لموريتانيا .

● أشاد وزير التعليم السودانى بالتعليم والبحث العلمى فى الكويت ، كما أشاد بالتعاون الثقافى والعلمى بين الكويت والسودان .

● زار البلاد فى الشهر الماضى السيد وزير الأوقاف والحج الباكستانى ، وقد بحث مع المسئولين وسائل تدعيم التعاون الاسلامى بين الكويت وباكستان .

● بعثت جمعية الهلال الأحمر الكويتى كميات من الأغذية والمواد الطبية الى جمهورية اليمن الديمقراطية للمساعدة فى تخفيف نكبة المتضررين نتيجة للسيول التى حصلت هناك .

مصر : تجرى دراسة انشاء بنك اسلامى ، وستقدم الدراسة لمؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية المقرر عقده فى كابل فى مايو القادم .

● افتتح هذا العام معهدا لدراسات السنة النبوية ملحق بكلية اصول الدين وسيمنح الطالب ٣ جنيهات مكافأة شهرية .

● بلغ عدد الحجاج المصريين هذا العام عشرين الف حاج .

● صرح السيد حسن التهامى مستشار الرئيس ان جمهورية مصر العربية ستساهم فى كل مؤتمرات الأمانة العامة الاسلامية القادمة .

● كشف تقرير أعدته لجنة من مجلس الشعب أسرار الأزمة الطائفية فى مصر ، واتضح منه أن أيد خبيثة من الخارج هى التى تحرك الفتنة بين المسلمين والنصارى مستغلة بعض ضعاف النفوس .

● قام وفد من جامعة الأزهر برئاسة الدكتور بدوى عبد اللطيف مدير الجامعة بزيارة الى ايران بهدف تدعيم التبادل الثقافى بين جامعة الأزهر وجامعات ايران .

السعودية : عاد جلالة الملك فيصل من جولة فى الدول الافريقية بعد أن بحث مع المسئولين فيها خطط التنسيق بين المملكة وهذه الدول .

● اتفق على خطتين للدعوة الاسلامية بين مصر والسعودية أولاها اجلة تتضمن تاليف هيئة شعبية للدعوة الاسلامية ، وتتضمن التالية انشاء مؤسسة علمية اسلامية ذات فروع فى البلدان الاسلامية — وتدعيم المراكز الاسلامية والتعاون مع وكالة الأنباء الاسلامية فى السعودية لتحرير الخبر الاسلامى من مؤامرات الوكالات الاجنبية .

● اختتمت فى مكة فى الشهر الماضى ندوة الجامعات الاسلامية حيث بحثت علاقة الاسلام بالمذاهب والتيارات المعاصرة .

الأردن : ابدت السلطات الاردنية قلقها البالغ من مواصلة سلطات الاحتلال الاسرائيلى انتهاكات الاماكن الاسلامية المقدسة فى الضفة الغربية لنهر الأردن .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

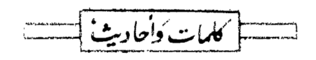
أيام الأسبوع	ذو الحجة ١٣٩٢ هـ	يناير ١٩٧٣ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الجمعة	١	٥	١٠ ٥	٤٣ ٦	٥٣ ١١	٤٤ ٢	٣ ٥	٢٤ ٦	٨ ١١	٤١ ١	٥١ ٦	٤٢ ٩	٢٣ ١
السبت	٢	٦	١٠	٤٣	٥٣	٤٤	٢	٢٥	٨	٤١	٥١	٤٢	٢٣
الاحد	٣	٧	١٠	٤٣	٥٣	٤٥	٣	٢٦	٧	٤٠	٥٠	٤١	٢٢
الاثنين	٤	٨	١٠	٤٣	٥٤	٤٥	٤	٢٧	٦	٣٩	٥٠	٤١	٢٣
الثلاثاء	٥	٩	١١	٤٣	٥٤	٤٦	٥	٢٨	٦	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الاربعاء	٦	١٠	١١	٤٣	٥٥	٤٧	٦	٢٨	٥	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
الخميس	٧	١١	١١	٤٣	٥٥	٤٧	٦	٢٩	٤	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
الجمعة	٨	١٢	١١	٤٣	٥٥	٤٨	٧	٢٩	٣	٣٦	٤٨	٤١	٢٢
السبت	٩	١٣	١١	٤٣	٥٦	٤٩	٨	٣٠	٢	٣٥	٤٨	٤١	٢٢
الاحد	١٠	١٤	١١	٤٣	٥٦	٥٠	٩	٣١	٢	٣٤	٤٧	٤١	٢٢
الاثنين	١١	١٥	١١	٤٣	٥٧	٥١	١٠	٣٢	١	٣٣	٤٧	٤١	٢٢
الثلاثاء	١٢	١٦	١١	٤٣	٥٧	٥٢	١١	٣٣	٠٠	٣٢	٤٦	٤١	٢٢
الاربعاء	١٣	١٧	١١	٤٣	٥٧	٥٣	١٢	٣٤	٥٩ ١١	٣١	٤٦	٤١	٢٢
الخميس	١٤	١٨	١٠	٤٢	٥٨	٥٣	١٢	٣٤	٥٨	٣٠	٤٥	٤١	٢٢
الجمعة	١٥	١٩	١٠	٤٢	٥٨	٥٤	١٣	٣٥	٥٧	٢٩	٤٥	٤١	٢٢
السبت	١٦	٢٠	١٠	٤٢	٥٨	٥٤	١٤	٣٦	٥٦	٢٨	٤٤	٤٠	٢٢
الاحد	١٧	٢١	١٠	٤٢	٥٩	٥٥	١٥	٣٧	٥٥	٢٧	٤٤	٤٠	٢٢
الاثنين	١٨	٢٢	١٠	٤٢	٥٩	٥٦	١٦	٣٧	٥٤	٢٦	٤٣	٤٠	٢١
الثلاثاء	١٩	٢٣	١٠	٤١	٥٩	٥٧	١٧	٣٨	٥٣	٢٤	٤٢	٤٠	٢١
الاربعاء	٢٠	٢٤	٩	٤١	٠٠ ١٢	٥٨	١٨	٣٩	٥٢	٢٣	٤٢	٤٠	٢١
الخميس	٢١	٢٥	٩	٤١	٠٠	٥٨	١٨	٣٩	٥١	٢٢	٤١	٤٠	٢١
الجمعة	٢٢	٢٦	٩	٤٠	٠٠	٥٩	١٩	٤٠	٥٠	٢١	٤١	٤٠	٢١
السبت	٢٣	٢٧	٩	٤٠	٠٠	٠٠ ٣	٢٠	٤١	٤٨	١٩	٤٠	٤٠	٢١
الاحد	٢٤	٢٨	٨	٣٩	٠٠	٠٠	٢١	٤٢	٤٧	١٨	٣٩	٣٩	٢١
الاثنين	٢٥	٢٩	٨	٣٩	١	١	٢٢	٤٣	٤٦	١٧	٣٩	٣٩	٢١
الثلاثاء	٢٦	٣٠	٨	٣٨	١	٢	٢٣	٤٣	٤٥	١٥	٣٨	٣٩	٢٠
الاربعاء	٢٧	٣١	٧	٣٨	١	٣	٢٤	٤٤	٤٤	١٤	٣٧	٣٩	٢٠
الخميس	٢٨	فبراير	٧	٣٧	١	٣	٢٤	٤٤	٤٣	١٣	٣٧	٣٩	٢٠
الجمعة	٢٩	٢	٧	٣٧	١	٤	٢٥	٤٥	٤٢	١٢	٣٦	٣٩	٢٠
السبت	٣٠	٣	٦	٣٦	١	٥	٢٦	٤٦	٤٠	١٠	٣٥	٣٩	٢٠

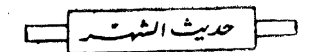
فهرس عام المجلة

في عامها الثامن

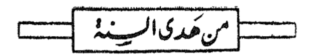
١٣٩٢ هـ ١٩٧٣/٧٢ م

يشتمل على الموضوعات والأعلام



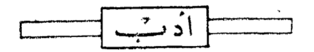


للشيخ رضوان رجب البيلى



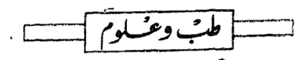
للدكتور / على عبد المنعم عبد الحميد

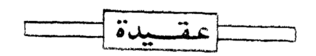
الموضـــوع	العدد/الصفحة
الايمـــان والعمـــل	٨/٩٥
بين الخطــأ والاكـــراه	١٧/٩٠
التكافــل الاســـلامى	١٠/٩٣
حق الله وحق العبـاد	٢٤/٨٨
سيدى رسول اللـــه	١٩/٨٧
العمـــل والجـــزاء	١١/٨٥
المســـئوليـــة	١١/٨٦
من اخطائنـــا	٨/٨٩
الهـدى النبوى فى العبـادة	١٢/٩٤



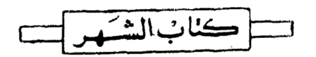
الموضـــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
أساليب مسمومة فى كتب الأدب	الدكتور محمد كامل الفقى	٧٣/٩٠
أغراض الشعر العربى	الأستاذ يوسف العظم	٤٨/٨٦
العربية لغة العلوم	الدكتور تيسير امارة الدعبول	٤٢/٨٦
قراءات	التحريــر	٢٩/٨٨
اللغة العربية والدين الاسلامى	الأستاذ لطفى ملحس	٥٢/٩٤
مظهر التقوى فى أدب العرب	الأستاذ منذ شعار	٦١/٩٠
من أدب الجيل الماضى	التحريـــر	٢٥/٨٦

دراسات قرآنية



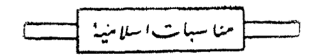


الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
اصول منهج الفكر الاسلامى (١)	الدكتور محمد عبد الستار نصار	٨٣/٩٤
انت أنت الله	التحرير	٦٣/٨٧
الايمان عقيدة وعمل (٣)	الدكتور محمد سلام مدكور	٣٩/٨٥
الايمان عقيدة وعمل (٤)	« « «	١٥/٨٦
بين الفلاسفة والغزالى	الدكتور محمد عاطف العراقى	٨٠/٩٢
التصوف فى ماليزيا	الدكتور جمال الدين محمد حماد	٦٤/٩٢
رضينا بالاسلام دينا	الدكتور أحمد الشرباصى	٣٦/٨٩
طريق الايمان	الأستاذ أمين شنار	١٦/٩٢
العقيدة الناشطة	الأستاذ رمضان لاوند	٤٤/٨٥
فكرة الخير والشر (١)	الدكتور محمود محمد قاسم	٨/٩٢
فكرة الخير والشر (٢)	« « «	٦٧/٩٥
قضية الفكر الاسلامى	الأستاذ محمد أحمد العزب	٢٤/٦٩
نصيحة ذهبية	الأستاذ محمود مهدى استانبولى	٧٦/٩٤
يسألون عن الروح	الدكتور على عبد المنعم عبد الحميد	٦٧/٩٦

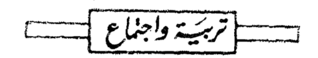


الكتاب	المؤلف	الناقد	العدد/الصفحة
جمع الجوامع	الامام السيوطى	الأستاذ حسن عيسى عبد الظاهر	٨٧/٩٠
المعجزة الكبرى القرآن	الشيخ محمد أبو زهرة	الأستاذ محمد عبد الله السمان	٩٠/٨٨
المناسك وطرق الحج	للامام أبى اسحق الحربى	الأستاذ عبد العزيز جادو	٩٤/٩٥
والموعد الله	الأستاذ خالد محمد خالد	الأستاذ محمد عبد الله السمان	٧١/٩٤

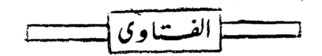
تاريخ وحضارة



الموضـــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
الارتباط الروحي بالقدس	الدكتور وهبه الزحيلي	٦٦/٩١
الأسوة الحسنة	الأستاذ محمد المجذوب	٥٥/٨٧
الله أعلم حيث يجعل رسالته	الدكتور وهبه الزحيلي	٤٢/٨٧
تعليق على مقال مولد محمد	الأستاذ أحمد محمد زيتحار	٣٥/٩٥
ثلاثة مساجد وثلاث دلالات	الدكتور محمد البهي	٨/٩١
الحج فضله وفوائده	الاستاذ عبد المحسن الحمد العباد	٩٠/٩٥
خاتم النبيين	الأستاذ أحمد حسن الباقوري	٨/٨٧
خطوات النبى فى الجو العطر	الأستاذ عبد الكريم الخطيب	٢٠/٩١
دروس من الهجرة	الأستاذ مناع قطان	٣١/٨٥
ذكريات فى الحج	الأستاذ أحمد مظهر العظمة	٦٢/٥٦
رحلة طهر وعبادة	الدكتور محمد سلام مدكور	٤٨/٩٦
رد على تعليـــق	الأستاذ عبد الكريم الخطيب	٣٧/٩٥
الرسول الأمى	الدكتور محمد البهى	١٤/٨٧
رمضان بين الماضى والحاضر	الشيخ محمد الغزالى	١٤/٩٣
رمضان منطلق لكل معانى القرآن	الدكتور وهبه الزحيلي	٢٢/٩٣
رمضان والقرآن وليلة القدر	الأستاذ عبد الكريم الخطيب	٨٨/٩٣
على هامش الاسراء	الشيخ محمد الغزالى	١٤/٩١
لماذا اختصت القدس بالاسراء	الشيخ عبد الحميد السائح	٥٢/٩١
ليلة العمر فى عرفات	الأستاذ أحمد العنانى	٥٥/٩٦
ما وجدت لتبقى	الشيخ نديم الجسر	١٩/٨٩
محطم الأغـــلال	الشيخ أبو الحسن الندوى	١٠١/٨٧
المعراج رحلة الى السماء	الأستاذ عبد الله كنون	٥/٩١
ملاحظات فى الميـــلاد	الدكتور عماد الدين خليل	٤٣/٨٨
مولد آخر رسول ورسالة	الدكتور محمد سلام مدكور	٣٢/٨٧
مولد محمد انسان الانسانية	الأستاذ عبد الكريم الخطيب	٧٨/٨٧
مولد نبى الرحمة	الشيخ عبد الحميد السائح	٩٤/٨٧
يوم الغـــار	التحريـــــر	٢٠/٨٥

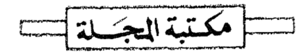


الموضــــوع	الكـــــاتب	العدد/الصفحة
الأسرة	الدكتور عثمان خليل عثمان	٧٠/٨٥
الأسرة الانسانية	الشيخ سعد المرصفى	٨٢/٩٥
الأسرة قاعدة الحياة الانسانية	الأستاذ عبد المعز عبد الستار	٧٢/٨٦
الأسرة كما يريدها التشريع الاسلامى	الأستاذ أحمد محمد جمال	٨٦/٨٥
الأسرة والمشكلات الاجتماعية	الأستاذ محمد همام الهاشمى	٩٢/٨٥
أسر من تاريخنـــا	الدكتور عماد الدين خليل	١٠٤/٨٥
الاسلام دين الوحدة	الأستاذ محمد الدسوقى	٧٤/٨٨
أهداف مجتمع الاسلام	الدكتور مصطفى عبد الواحد	٣٥/٩٤
تربية النفوس فى الاسلام	الدكتور محمد محمد خليفة	٧٩/٨٩
تماسك الأسرة وصلاحها	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٦٢/٨٥
حقوق الانسان فى الاسلام	الأستاذ أنور السيد يعقوب الرفاعى	٨٠/٨٦
الزى الاسلامى للمرأة ومزاياه	الأستاذ فاروق محمود مساهل	٩٠/٩٢
الشخصية الاسلامية	الشيخ عبد الحميد السائح	١٨/٩٣
الطريقة الحديثة للهجوم على الاسلام	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٦٤/٨٧
الكاذبون فى الدين (١)	اللواء محمود شيت خطاب	٢٢/٩٤
كيف يستعيد المسلمون مجدهم القديم	كاتب كبير	٥١/٩٣
كيف وبأى الوسائل نستعيد بناء الأسرة	الأستاذ محمد المجذوب	٧٦/٨٥
المتكلمون فى الدين (٢)	اللواء محمود شيت خطاب	١٢/٩٦
المدينة الفاضلــة	الدكتور سعيد زايد	٧٨/٩٠
من أخلاق النبــوة	التحريـــــر	١٥/٨٥
نعم مشكلتنا أخلاقية وليست فكرية	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٤/٩٣
هؤلاء المتصدون من يدعمهم	الأستاذ يوسف نوفل	٨٦/٨٦
واجب علماء المسلمين	الأستاذ الرهالى الفاروقى	٧٠/٨٦
واجبنا نحو الاسلام	كاتب كبير	٥١/٩٢
الوحدة أولا	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٤٥/٩١
يا للرجال بغير دين	الشيخ محمد الغزالى	٤٨/٨٧


الفتـــاوى

تابع الفتــاوى

تحقيقات وموضوعات عامة



مكتبة المجلة

اعداد : الاستاذ عبد الستار محمد فيض

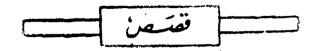
اسم الكتاب	المؤلف	العدد/الصفحة
استراتيجية العالم الاسلامى	محاضرات لمجموعة من الكتاب	١٠٤/٩٣
دراسات فى مذهب فلاسفة الشرق	الدكتور محمد عاطف المراقى	٩٨/٩٤
الدين الحق فى الرد على بيان الحق	الاستاذ توفيق على وهبه	٩٩/٩٤
الرسول والرسالة	» » »	٤١/٨٧
سألونى	الشيخ عبد الله النورى	١٠٢/٩٢
سلاسل المناظرة الاسلامية المسيحية	الاستاذ عبد الله العلمى	١٠٢/٩٢
شعر الدعوة فى عهد النبوة والخلفاء	الاستاذ عبد الله حامد الحامد	١٠٤/٩٣
شفاء السقام فى زيارة خير الانام	للامام على عبد الكافى تقى الدين	١٠٤/٩٣
العوامل التى تنخر فى الكيان الاسلامى	آراء لمجموعة من الكتاب	١٠٣/٩٣
الفهرس الهجائى لكتاب المغنى	الشيخ محمد سليمان الاشقر	٣٥/٨٦
قبسات من السنة	الشيخ احمد البسيونى	١٠٣/٩٣
المجموعة العلمية السعودية	الشيخ عبد الله محمد حميد	٣٥/٨٦
محاضرات فى الثقافة الاسلامية	الاستاذ أحمد محمد جمال	٣٥/٨٦
مذهب ابن عباس فى الربا	الشيخ زيدان ابو المكارم	٩٩/٩٤
مع الايام (ديوان شعر)	الاستاذ محمد عبد الرحمن عبدالحافظ	٩٩/٩٤
من حياة الرسول	الاستاذ سعد صادق محمد	٤١/٨٧
موسوعة التاريخ الاسلامى	الدكتور احمد شلبى	٩٨/٩٤
مؤتمر تفسير سورة يوسف	الاستاذ عبد الله العلمى	١٠٢/٩٢
نظرية الاسلام الاقتصادية	الاستاذ عبد السميع المصرى	٩٩/٩٤

مائدة القارئ

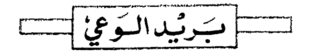
العدد/الصفحة	العدد/الصفحة	العدد/الصفحة
١٠٠/٨٥	٥٨/٨٩	٨٦/٩٣
٨٤/٨٦	٧٦/٩٠	١٠٠/٩٤
٧٦/٨٧	٥٦/٩١	٤٢/٩٥
٥٤/٨٨	٨٨/٩٢	٥٨/٩٦



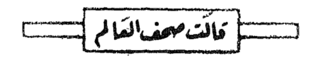
عنوان القصيدة	الشاعر	العدد/الصفحة
ابتهالات	الأستاذ العوضى الوكيل	٢٦/٩٣
تزوجوا	الأستاذ محمد مصطفى حمام	٢٦/٨٦
حجة الوداع	الأستاذ أحمد محمد مصطفى السفارينى	٦٠/٩٦
عظمة الخالق	للشاعر النابغة الجعدى	٣٥/٨٩
علمتنى الحياة	الأستاذ أنور العطار	٤٤/٩٠
لبيك	للشاعر أبو نواس	٣٤/٩٥
ليلة القدر	الأستاذ أمجد عبد الحميد البكرى	١١٠/٩٣
النور الأعظم	الأستاذ محمود حسن اسماعيل	١٦/٨٥



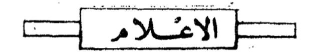
عنوان القصة	الكاتب	العدد/الصفحة
ابنة الفقيه	الأستاذ أحمد العنانى	٩٦/٨٨
جريمة فى المدينة	الأستاذ محمد المجذوب	٩٦/٩٠
حوار مع ابليس	الأستاذ محمد لبيب البوهى	٩٦/٩٢
رأيت فى بدر	الأستاذ محمد الخضرى عبد الحميد	٩٨/٩٣
زهرة فى باقة	« « «	٩٨/٩١
عرس ومهر وحفل عرس	التحرير	١١٥/٨٥
فى بيت العنكبوت	الأستاذ محمد لبيب البوهى	٩٨/٩٥
المجلس الكبير	الأستاذ حسين الطوخى	٩٤/٨٩
وفوجىء الناس بالمشانق	الأستاذ محمد المجذوب	٩٦/٨٦

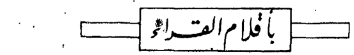


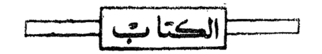
اعداد : الأستاذ عبد الحميد رياض



الموضــــوع	المجلة/الصحيفة	العدد/الصفحة
الاجتهــــــاد	مجلة الثقافة الجزائرية	١١٠/٩٠
ارادة القتال لا ارادة التعايش	مجلــة فلسطين	١١٠/٨٩
الأسرة والشريعة الاسـلامية	مجلة الاصالة الجزائرية	١٢٧/٨٥
الاصلاح باحسان	مجلة دعوة الحق المغربية	١١٢/٩٣
الامة العربية بين خيارين	مجلة فلسطين	١١٠/٩٥
ان الدين عند الله الاسلام	مجلة الجامعة الاسلامية	١١٠/٩٤
البهائيــة	مجلة جوهر الاسلام التونسية	١١١/٩٢
تنظيم الاسرة الاسلامية	مجلة دعوة الحق المغربية	١٢٧/٨٥
الدعوة الى الاسلام	» » »	١١٠/٩٢
الدولة الاسلامية	صحيفة الأهرام القاهرية	١١٠/٨٨
شعب فى فراغ	مجلة البعث الهندية	١١١/٩٠
صمت المسلمين	مجلة المسلم المصرية	١١١/٨٧
ظواهر مرض عضال	مجلة المجتمع الكويتية	١١١/٨٧
العظمة المحمديــة	مجلة جوهر الاسلام التونسية	١١٠/٩١
قوانين اسلامية جديدة	مجلة العربى الكويتية	١١١/٨٨
ماذا فى أمريكا	مجلة مسيحية	١١٢/٨٧
مراجعة الحساب	مجلة البعث الهندية	١١٠/٩٥
المؤتمر الاسلامى	صحيفة الراى العام الكويتية	١٠٩/٨٦
موقفنا من صراع العصر	مجلة الهدى الاسلامية الليبية	١١١/٩٣
النفس اللوامــة	مجلة دعوة الحق المغربية	١١٠/٩١
وقفة فى وجه الاستشراق	مجلة رابطة العالم الاسلامى	١٠٨/٩٦
الوجوديــة	مجلة التربية الاسلامية	١١١/٩٤
هل الى خروج من سبيل	مجلة دعوة الحق المغربية	١٠٩/٩٦


الاعلام


بأقلام القراء



الاسم	الموضوع	العدد/الصفحة
ابراهيم محمد الفحام	معاملة المسجونين فى الاسلام	٥٦/٩٤
ابو الاعلى المودودى	حول نكاح نساء أهل الكتاب	١٩/٨٦
ابو الحسن الندوى	محطم الأقفال	١٠١/٨٧
أحمد ابراهيم الشريف	الفتوح الاسلامية (١)	٤٩/٨٥
» »	الفتوح الاسلامية (٢)	٤٤/٩٤
أحمد جلبايـة	مسجد عبد الله البحر	٨٣/٨٥
أحمد الحجى الكردى	ميراث ووصية واجبة	١٠٥/٨٧
أحمد حسن الباقورى	خاتم النبيين	٨/٨٧
أحمد الشرباصى	رضينا بالاسلام دينا	٣٦/٨٩
» »	حول تمحيص التاريخ	٢٨/٩٣
أحمد صبرى برغش	رسالة من كندا	١٠٨/٩٢
أحمد على المجدوب	الدفاع بين الشريعة والقوانين	٧١/٩٦
أحمد العنانى	ابنة الفقيه (قصة)	٩٦/٨٨
» »	متى اللقاء يا قدس	٧٦/٩١
» »	ليلة العمر فى عرفات	٥٥/٩٦
أحمد محمد جمال	الأسرة كما يريدها التشريع الاسلامى	٨٦/٨٥
» »	عسكرية الاسلام جهاد وذياد	٣٢/٩١
» »	مفهومات قرآنية	١٩/٩٦
أحمد محمد زينحار	تعليق على مولد محمد	٣٥/٩٥
أحمد محمد مصطفى السفارينى	المحتسب	٣٠/٨٩
» » »	الامام مالك	٦٣/٩٣
» » »	حجة الوداع (قصيدة)	٦٠/٩٦
أحمد مظهر العظمة	ذكريات فى الحج	٦٢/٩٦
أمجد عبد الحميد البكرى	ليلة القدر (قصيدة)	١١٠/٩٣
أمين شنار	طريق الايمان	١٦/٩٢
أنور السيد يعقوب الرفاعى	حقوق الانسان فى الاسلام	٨٠/٨٦
أنور العطار	علمتنى الحياة (قصيدة)	٤٤/٩٠
أنور محمود وصفى عبد الوهاب	اتقوا الله	١٠٨/٨٧
تاج السر محمد حمزة	المادية الملحدة	١١٠/٨٧
توفيق على وهبه	جريمة القذف فى الشريعة الاسلامية	٣٩/٨٨
» »	الأفلام الفاضحة	١٠٤/٨٩
تيسير امارة الدعبول	العربية لغة العلوم	٤٢/٨٦
راشد عبد الله الفرحان	الهجرة بداية التطبيق العملى	٤/٨٦
» » »	ذكرى المولد النبوى الشريف	٤/٨٨

تابع الكتـــاب

الاســـم	الموضـــوع	العدد/الصفحة
راشد عبد الله الفرحان	من وحى الاسراء والمعراج	٤/٩١
« « «	المسلمون فى العالم	٨/٩٤
رضوان رجب البيـلى	حديث الشهر	جميع الاعداد
رمضان لاونـد	العقيدة الناشطة	٤٤/٨٥
جمال الدين محمد حماد	التصوف فى ماليزيا	٨٠/٩٢
حسن عيسى عبد الظاهر	جمع الجوامع للسيوطى (كتاب الشهر)	٨٧/٩٠
حسين الطوخى	المجلس الكبير (قصـة)	٩٤/٨٩
خير الله التركستانى	ذكرى الهجرة الخالدة	١٢٥/٨٥
سعد الدين الجيزاوى	سلامة العقيدة	١٠٨/٩١
سـعد زايـد	المدينة الفاضلة	٧٨/٩٠
سعد المرصـفى	الأسرة الانسانية	٨٣/٩٥
صـلاح عـزام	مؤتمر علماء المسلمين السابع	٩١/٩٤
طـه الولـى	محمد عليه السلام عند المستشرقين	٧١/٨٧
عبد الحميد السائح	مولد نبى الرحمـة	٩٤/٨٧
« «	لماذا اختصت القدس بالاسراء	٥٢/٩١
« «	الشخصية الاسلامية	١٨/٩٣
عبد الحـى مختار	مسجد فهد السالم	٦٧/٨٦
عبد الرحمن احمد شادى	نصيحـة	١٠٩/٨٧
« «	ذخيـرة	١٠٨/٨٩
عبد الرحمن احمد شادى	فى التربيـة	١٠٩/٩٣
عبد الرحمن تـاج	شركات التأمين	٢٦/٩٤
عبد الرحمن على الحجى	تحية لشبونة المغرورون	١٠٠/٩٦
عبد الرؤوف محمد سالم	القراءات المتواترة	١٠٢/٨٩
عبد العال سالم مكرم	تفسير القرآن بالقرآن	٨/٩٠
عبد العزيز عبد الله بن باز	العقـر	١٠٢/٨٨
« « «	تقبيل القادم من السفر	١٠٢/٨٨
« « «	القبـلة	١٠٣/٨٨
« « «	افضل الجهاد والمجاهدين	٧٨/٩٢
عبد العزيز جادو	المناسك وطرق الحج (كتاب الشهر)	٩٤/٩٥
عبد العزيز العلى المطوع	فى رحاب القرآن (٢)	٨/٨٥
« « «	فـى رحاب القرآن (٣)	٨/٨٦
عبد الكريم الخطيب	مصادر القصص القرآنى	٢٨/٨٦
« «	مولد محمد انسان الانسانية	٧٨/٨٧
« «	القصة ومفهومها فى القرآن	٥١/٨٩
« «	خطوات النبى فى الجو العطر	٢٠/٩١
« «	رمضان والقرآن وليلة القدر	٨٨/٩٢
« «	رد على تعليق	٣٧/٩٥

تابع الكتّـاب

الاســم	الموضــوع	العدد/الصفحة
عبد الكريم الخطيب	التكرار القصصي في القرآن	٣٧/٩٦
عبد الله عبد الرحمن السند	العلم والتعلم	١٠٧/٨٦
عبد الله عبد القادر	الاسلام بين انصاره واعدائه	١٠٨/٩٠
عبد الله كنــون	المعراج رحلة الى السماء	٥/٩١
عبد الله محمود شحاته	السنة ومنزلتها من القرآن	٤٤/٩٢
عبد المجيد دافي	التوريق	٦٠/٩٤
عبد المحسن الحمد العباد	الحج فضله وفوائده	٩٠/٩٥
عبد المعز عبد الستار	الأسرة قاعدة الحياة الانسانية	٧٢/٨٦
» »	سورة الاسراء (ونهاية اسرائيل)	٥٨/٩١
عزت محمد ابراهيم	مكة والمدينة في رحلة ابن بطوطة	٩٠/٩٦
عثمان خليل عثمان	الأسرة	٧٠/٨٥
عصام عناية	اتحاد الطلاب المسلمين في ليبج	١٠٥/٨٩
علي عبد المنعم عبد الحميد	من هدى السنة	جميع الاعــداد
» »	يسألون عن الروح	٦٧/٩٦
علي الخفيــف	حق الطلاق	٥٧/٨٥
علي سعيد علي	رسالة الدين	١٠٩/٩١
علي محمد حسن	الأشهر الحرم في كتاب الله	٧٨/٩٦
عماد الدين خليل	اشر من تاريخنا	١٠٤/٨٥
» »	ملاحظات في الميلاد	٤٣/٨٨
» »	القرآن والبعد الزمني	٣٧/٩١
» »	ملاحظة في التقليد الحضاري	٧٧/٩٥
» »	تعقيب	١٠٦/٩٦
العوضي الوكيل	ابتهالات (قصيدة)	٢٦/٩٣
فاروق محمود مساهل	الزى الاسلامي للمرأة ومزاياه	٩٠/٩٢
فاضل خلف	الشدائد تكون الأمم وتصنع الرجال	٨٦/٩٦
كنعان ابراهيم الجميلي	محمد بن أمية	١٠٩/٩٤
لطفي ملحس	اللغة العربية والدين الاسلامي	٥٢/٩٤
محمد ابراهيم الجيوشي	رسالة من لندن	٤٥/٨٩
محمد أبو زهرة	الطـــلاق	٢٣/٨٧
محمد أحمد العزب	بل هذا الزحف من يتصدى له	٢٤/٨٩
» »	قضية الفكر الاسلامي	٢٤/٩٦
محمد البلتاجي	التزام الدولة الاسلامية بأرزاق الناس	٦٠/٨٩
محمد البهي	الهجرة وتاريخها	٢٢/٨٥
»	النبي الأمي	١٤/٨٧
»	ثلاث مساجد وثلاث دلالات	٨/٩١
محمد جاسم المشهداني	ابن العربي	١١٠/٩٦
محمد جمال الدين خليل	مخيمات اسلامية	١٠٧/٨٧

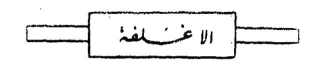
الاســــم	الموضــــوع	العدد/الصفحة
محمد جمال الدين الفندى	القرآن وعلم الفلك (١١)	٢٥/٩٢
» » »	القرآن وعلم الفلك (١٢)	١٤/٩٥
محمد حسن محمود سعيد	المؤتمر العالمى لزرع الأعضاء	٦٧/٨٩
محمد حسين الذهبى	القرآن والعلم (١)	٨/٨٨
» »	القرآن والعلم (٢)	١٢/٨٩
» »	القرآن والعلم (٣)	٢٢/٩٠
» »	اعجاز القرآن الكريم	١٦/٩٤
محمد الحسينى عبد العزيز	الدينار العربى	١١٦/٨٥
محمد حميد الله	فقهاء ايران قبل الطوسى	٣٦/٩٠
محمد الخضرى عبد الحميد	زهرة فى باقة (قصة)	٩٨/٩١
» » »	رأيت فى بدر (قصة)	٩٨/٩٣
محمد الدسوقى	الاسلام دين الوحدة	٧٤/٨٨
» »	أصول العلاقات الدولية (١)	٥٦/٩٢
» »	أصول العلاقات الدولية (٢)	٥٦/٩٣
محمد رجاء حنفى عبد المتجلى	موقعة المنصورة	٥٢/٩٥
محمد زاهد	مشكلة الزواج فى الغرب	١١١/٩٦
محمد زاهر أبو اليمن	التراث المفقود والموجود	١٠٨/٨٧
محمد سعيد رمضان البوطى	تماسك الأسرة وصلاحها	٦٢/٨٥
» » »	زعموا أن الشريعة لا تصلح للتطبيق	٦٠/٨٦
» » »	الطريقة الحديثة للهجوم على الاسلام	٦٤/٨٧
» » »	هذا هو حكم الاسلام	٥٦/٨٨
» » »	تعقيب	١٠٥/٩٠
» » »	الوحـــدة أولا	٤٥/٩١
» » »	نعم مشكلتنا أخلاقية وليست فكرية	٤/٩٣
» » »	عقدة القديم والجديد	١١٠/٩٦
محمد سعيـــد عدى	شبهة تقدميـــة	١٠٧/٩٥
محمد سلام مدكور	الايمان عقيدة وعمل (٢)	٣٩/٨٥
» »	الايمان عقيدة وعمل (٣)	١٥/٨٦
» »	مولد آخر رسول ورسالة	٣٢/٨٧
» »	حكم المسكرات (١)	٣٠/٨٨
» »	حكم المسكرات (٢)	٢٧/٩٠
» »	شهر رمضان وفتح مكة	٤٤/٩٣
» »	رحلة طهر وعبادة	٤٨/٩٦
محمد سليمان الأشقر	تعقيب على فتوى الوصية الواجبة	١٠٦/٨٧
» »	الشباب	١٢٦/٨٥
محمد سيد أحمد المسير	بـــلاغ	١٠٨/٨٨
» »	جوارى القرن العشرين	١٠٩/٨٩

تابع الكتّــاب

الاســم	الموضـــوع	العدد/الصفحة
محمد سيد أحمد المسير	وقفة مع العلم والايمان	١٠٦/٩٢
» »	الكتـــابة	١٠٧/٩٤
محمد شوقى الفجرى	الاسلام والمشكلة الاقتصادية	٢٣/٩٥
محمد الصادق عرجون	ابن تيميـــة (١)	٦٤/٨٨
» »	ابن تيميـــة (٢)	٨٣/٨٩
» »	الحسن البصرى	٧٢/٩٢
محمد صبيـــح	وذكرهم بأيام الله	٦٧/٩٠
محمد عاطف العراقى	بين الفلاسفة والغزالى	٦٤/٩٢
محمد عبد الرؤوف	الدفاع عن حق المسلمين فى القدس	٨٤/٩١
» »	الحركة الاسلامية فى أمريكا الشمالية	٢٤/٩٣
محمد عبد الستار نصار	أصول منهج الفكر الاسلامى (١)	٨٣/٩٤
محمد عبد الله السمان	المعجزة الكبرى القرآن (كتاب الشهر)	٩٠/٨٨
» »	والموعد الله (كتاب الشهر)	٧١/٩٤
محمد عطاء الله	النظرة الاسلامية الى التاريخ	٢٩/٩٦
محمد على عبد الهادى	الاسلام والمسلمون فى أوروبا	٤٦/٩٠
محمد الغزالى	القضاء والقدر	١١٢/٨٦
» »	يا لرجال بغير دين	٤٨/٨٧
» »	على هامش الاسراء	١٤/٩١
» »	رمضان بين الماضى والحاضر	١٤/٩٣
محمد كامل النقى	أساليب مسمومة فى كتب الأدب	٧٣/٩٠
محمد لبيب البوهى	حوار مع ابليس (قصة)	٩٦/٩٢
» »	فى بيت العنكبوت (قصة)	٩٨/٩٥
محمد المجذوب	كيف نستعيد بناء الاسرة	٧٦/٨٥
» »	ونوجىء الناس بالمشانق (قصة)	٩٦/٨٦
» »	الأســـوة الحسنة	٥٥/٨٧
» »	جريمة فى المدينة (قصة)	٩٦/٩٠
محمد محمد أبو شـوك	أمراض الحويصلة المرارية	٩١/٨٦
» »	القلـــب :	٨٩/٨٧
» »	نظافة الحج	٩٥/٩٦
محمد محمد خليفـــة	تربية النفوس فى الاسلام	٧٩/٨٩
محمد محمد الشرقاوى	نساء ومواقـــف	٥٢/٨٦
محمد مصطفى حمام	تزوجوا (قصيدة)	٢٦/٨٦
محمد مهـــدى	الخطر الذى يهدد المصحف	٣٦/٨٩
محمد همام الهاشمى	الأسرة والمشكلات الاجتماعية	٩٣/٨٥
محمود حسن اسماعيل	النور الاعظم (قصيدة)	١٦/٨٥
محمود شيت خطاب	لغة القرآن الكريم	١٤/٨٨
» »	الكاتبون فى الدين (١)	٢٢/٩٤

تابع الكتّــاب

الاســـم	الموضـــوع	العدد/الصفحة
محمود شيت خطاب	المتكلمون فى الدين (٢)	١٣/٩٦
محمود محمد قاسم	فكرة الخير والشر (١)	٨/٩٢
» »	فكرة الخير والشر (٢)	٦٧/٩٥
محمود مهدى استانبولى	نظرية الاعــدام	٣٢/٩٢
» »	من غرائب المحاكمات فى التاريخ	٦٨/٩٣
» »	نصيحة ذهبية	٧٦/٩٤
مصطفى الشهابى	طبيبات مسلمات	٨٣/٩٠
مصطفى عبد الواحـــد	أهداف مجتمع الاسلام	٣٥/٩٤
مصطفى عيـــد	مسجد عبد الله العثمان	٨٧/٨٨
منـــاع قطان	دروس من الهجرة	٣١/٨٥
منذر شعار	مظهر التقوى فى أدب العرب	٦١/٩٠
نديم الجسر	ما وجدت لتبقى	١٩/٨٩
وجيه زين العابدين	التربية الجنسية للطفل	٦٢/٩٥
وليد الأعظمى	حول مقال الخطر الذى يهدد المصحف	١٠٦/٩٠
وهبـــه الزحيلى	الله أعلم حيث يجعل رسالته	٤٢/٨٧
» »	حق المساواة بين الناس	٥١/٩٠
» »	الارتباط الروحى بالقدس	٦٩/٩١
» »	رمضان منطلق لكل معانى القرآن	٢٢/٩٣
يحيى اسماعيل حبلوش	لصالح من ؟	١١٠/٩٦
يحيى هاشم حسن فرغـــل	مجمع البحوث الاسلامية	٤٤/٩٥
يوسف نوفـــل	هؤلاء المتصدون من يدعمهم	٨٦/٨٦
يوسف العظم	أغراض الشعر العربى	٤٨/٨٦



صورة الغلاف	العدد
المسجد الأزرق بتركيا	٨٥
مسجد أحمد عبد الله الصقر ـ الكويت	٨٦
المسجد النبوى الشريف	٨٧
مسجد الفولا ـ سيراليون	٨٨
مسجد الجابرى ـ الكويت	٨٩
مسجد القائد ابراهيم ـ الاسكندرية	٩٠
آيـة (سبحان الذى أسرى بعبده)	٩١
آيـة (قد نرى تقلب وجهك فى السماء)	٩٢
مسجد عبد الله العثمان ـ الكويت	٩٣
مسجد غازى خسرو ـ يوغسلافيا	٩٤
باب الحرم المكى	٩٥
الكعبة المشرفة	٩٦

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى — ص.ب : (١٣٢) .
بنغازى : مكتبة الخراز — ص.ب : (٢٨٠) .

تونس : مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عدن : مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جدة : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العراق : بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .

قطر : الدوحة : مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبى : مؤسسة دار العروبة .

الكويت : مكتبة الكويت المتحدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

فهرس عام للمجلة في عامها الثامن ١٣٩٢ — ١٩٧٣/٧٢ م

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت